جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم التاريخ الإسلامي



الخليفة الراضي بالله العباسي



سنة ٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٤-٩٤٠م

بحث مقدم

لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد

الطالبة / منيرة عبدالله عبدالرحمن الدريهان

اشراف

الأستاذ الدكتور حسام الدين السامرائي

١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الرسالة

محتويات الرسالـــة

المقدمة

نطاق البحث وتحليل لأهم المصادر

نطاق البحث وتحليل لأهم المصادر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعه باحسان الى يوم الدين .. وبعد

فقد امتد عصر الدولة العباسية أكثر من خمسة قرون من (١٣٢ - ٦٥٦هـ) (٧٥٠-١٢٥٨م).

ويعتبر العصر العباسى الأول العصر الذهبى للخلافة العباسية ، ويمتد من (١٣٢ : ٢٣٢ هـ) (٧٥٠ : ٨٤٧ م) اذ كان الخلفاء العباسيون يتمتعون فيه بسلطان مطلق .

أما العصر الثانى للدولة فقد امتد من (٢٣٢ - ٣٣٤ هـ) (٨٤٧ - ٩٤٦ م) وخضعت فيه الخلافة لسيطرة الأتراك ، وقد كان المعتصم[1] ٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٤٢ - ٨٤٧ م هو الذى هيأ لهم الفرصة ، اذ جعل منهم جندا للخلافة ، واستمر مركزهم فى التحصين والقوة خلال عصر الواثق بالله ، فقد أتيحت لهم الفرصة عند وفاته دون أن يختار وليا للعهد ، فتدخلوا فى الخلافة أعلى مراكز الدولة ، واختاروا المتوكل على الله خليفة. ومنذ ذلك الوقت بدأوا يتدخلون فى مختلف مرافق الدولة .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٥/٢٣١، ٢٦٤ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ٣٣٣ - ٣٣٦ .

أما الخليفة الراضي بالله ، الذى نحن بصدد البحث فى تاريخه ، فقد عاش فى أواخر العصر العباسي الثاني ، وحكم من ٣٢٢ : ٣٢٩ هـ / ٩٣٤ : ٩٤٠ م . وقد دفعني لاختيار موضوع دراسة عصر الخليفة الراضي بالله الرغبة فى التعرف على أحوال الدولة العباسية فى ذلك العصر. حيث أن البحوث التى ظهرت حتى الآن ، ركزت على عهد امرة الأمراء ، فى حين أنها أهملت وضع الخلافة ، ودور الخليفة ، ومدى تأثيره فى الأحداث وهو أمر غاية فى الأهمية من حيث دراسة تاريخ الادارة الإسلامية وتطورها .

تحلّى الخليفة الراضي بالله بصفات حميده ، فقد كان ذو شخصية ناضجة ، أدرك الصعوبات التى أحاطت بالدولة ، وذكر ذلك فى معرض كلامه ردا على من يستنكر اعتماده على بحكم التركى . حيث كان يقول : " كأنى بالناس يقولون ، أرضى هذا الخليفة ، بأن يدبر أمره عبد تركى ، حتى يتحكم فى المال ، وينفرد بالتدبير ؟ ولا يدرون أن هذا الأمر أفسد قبلي ، وأدخلني فيه قوم بغير شهوتى ، فسلمت الى ساجية وحجرية ، يتسحبون علي ، ويجلسون فى اليوم مرات ، ويقصدونني ليلا ، ويريد كل واحد منهم أن أخصه دون صاحبه ، وأن يكون له بيت مال ، وكنت أثوقى الدماء فى تركي الحيلة عليهم . الى أن كفاني الله أمرهم ، ثم دبر الأمر ابن رائق ، فدبره أشد تسحبا فى باب المال منهم ، وانفرد بشربه ولهوه . ولو بلغه وبلغ الذين من قبله ، أن على فرسخ منهم فرسانا ، وقد أخذوا الأموال ، واجتاحوا الناس ، فقيل لهم أخرجوا اليهم فرسخا ، لطلبوا المال وطالبوا بالاستحقاق ، وربما أخذوه ولم يبرحوا ، ويتعدى الواحد منهم أو من أصحابهم على بعض الرعية ، بل على أسبابي . وآمر فيه

بأمر ، فلا يمتثل ، ولا ينفذ ، ولا يستعمل ، وأكثر ما فيه أن يسألني فيه كلب من كلابهم ، فلا أملك رده ، وان رددته غضبوا ، وتجمعوا أو تكلموا . فلما جاء الغلام (يعني به بحكم) ، جاء من لا يقول لي صنيعتك ، أو أجلستك ، كما كانوا يقولون بل اجترأنا عليه بالاصطناع ، ووجدته ان تعدى أحد من أصحابه ، لم يرض الا بقتله ، والمبالغة في عقوبته . وان بلغه أن عدوا قد تحول في ناحية ، نهض اليه ، فسبق خبره من غير اعتساف لي بطلب مال ، ولا نلبث لوفاء استحقاق ، فرضيت ضرورة به وكان أوفق لي ، وأحب اليّ ممن قبله ، وكان الأجود أن يكون الأمر كله لي ، كما كان لمن مضى قبلي ، ولكن لم يجر القضاء بهذا لي "(1)

وهكذا فقد كان الراضي يدرك بأن السلطة العليا ، ينبغي أن تكون بيده دون تسلط من أحد ، الا أن واقع الأمر كان غير ذلك ، فقد جردت الخلافة تقريبا من السلطة الفعلية منذ فترة من الزمن ، وكان ذلك منذ عصر المتوكل على الله ، واستمرت طيلة التسع سنوات ، التى أعقبت مقتل المتوكل حين تسلط الجند على الخلافة ، واقترفوا شتى الفضائح ، واستضعفوا الخلفاء . " فكان الخليفة في أيديهم كالأسير . ان شاءوا أبقوه ، وان شاءوا خلعوه ، وان شاءوا قتلوه ".(2)

وهكذا أصبح تحكم الجند وسيطرتهم أمراً مألوفاً(3). فلم يكن باستطاعة

---

(1) الصولى : أخبار الراضي والمتقي ص ٤١ .

(2) الدورى : دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص ٥٩ ، ٦٠ ، السامرائى: المؤسسات الادارية ص ١٤

(3) السامرائى : المؤسسات الادارية ص ٧٤ .

الخليفة الراضي بالله ، أن يعيد وضع الأمور في نصابها ، ولعل هذا التسلط والتحكم ، هو الذي أراد الإشارة اليه في حديثه السابق عن ضعف الخلفاء ، وعدم قدرتهم على التفرد بتدبير الأمور .

ويمتاز الراضي بكرمه ورغبته في اعادة الحقوق لأصحابها ، وتحقيق العدالة . وبالاضافة الى ما سبق ذكره . فقد كان الخليفة الراضي بالله يقرض الشعر . إذ تشير المصادر الى أنه كان أديبا شاعرا ، يحب مجالسة الأدباء والشعراء ومناظرتهم ، إضافة الى أن جل ندمائه ، كانوا من الشعراء والكتاب والأدباء .(١)

وبالرغم من كثرة المصادر ، التي تتحدث عن الدولة العباسية في مختلف فتراتها ، إلا أن هذه المصادر لم تتناول في الغالب تواريخ سير الخلفاء بالتفصيل ، وإنما اهتمت بالحديث عن الدولة . وقد تتعرض أحيانا للإشارة الى جوانب أخرى من الادارة وما إليها ، فضلا عن أن جميع هذه المصادر باستثناء الصولي ، لم تورد إلا القليل عن هوايات الخليفة الراضي بالله وأشعاره .

ولهذا فقد بني البحث على معلومات موثقة ، استمدت من المصادر التاريخية المعاصرة ، والمتأخرة قليلاً عن العصر ، الذي نحن بصدد البحث فيه ، أما الثغرات والمواضيع التي لم تفصل فيها المصادر ، فقد استلزم

---

(١) الصولي : أخبار الراضي والمتقي ص ٨ ، ٩ .

الأمر الاعتماد فيها على بعض المصادر التى لم تخصص للتاريخ العـــام ، وانما كتبت لفن آخر مثل كتب الأدب ، ودواوين الشعراء وكتب التراجم ، كما أن البحث اعتمد فى جملة ما اعتمد على المراجع ، عندما لم يتيســـر للباحثه الرجوع الى المصادر المخطوطة ، أو حتى المطبوعة التي كانت فـــى متناول بعض الباحثين .

وهكذا فقد بني البحث على معلومات موثقة ملتزما فيه بأساليب النقـــد العلمي الظاهرى والباطنى ، السلبي والايجابى ، وتحليل المعلومات ، والإستنتاج المبني على النصوص المعتمدة .

ويحتوى هذا البحث على مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة فصول ، وخاتمة . وقد تضمنت المقدمة دراسة موجزة عن نطاق البحث ، وتحليل نقدى لأهـم المصادر ، فى حين أفردت التمهيد للحديث عن أوضاع الدولة فى عهـــــد الخليفة القاهر بالله ، والحال الذى وصلت اليه الدولة العباسية فى تلك الفترة ، كتسلط الوزراء والجند على مرافق الدولة وأجهزتها وغير ذلك .

كما اختص الفصل الأول بالتعريف بالخليفة الراضى بالله ومولده ونشأته ، تعليمه وثقافته ومؤدبيه ، وأثر جدته السيدة " شغب " أم المقتدر ، ومدى تدخلها فى توجيهه ، وما تلقاه من علوم ، وكذلك ظهور موهبة الشعـــر لديه ، مع استعراض لأحوال عصره ، وأهم الأحداث التى جرت خـــلال فترة حكمه .

أما الفصل الثاني فقد أفرد للكلام ، عن سمات وملامح الدولـــــة

العباسية ابان عصر الراضى ، وهو يتألف من ثلاثة أقسام : استعرض القسم الأول منها المنجزات الحضارية والثقافية فى عهد الخليفة الراضى بالله . أما القسم الثاني ، فقد عالج مسألة تناقص دور الوزراء ، ومتابعة ما آلت اليه حالهم واختصاصاتهم ، فيما أفرد القسم الثالث للكلام عن امرة الأمراء ، وظهور ابن رائق ، والصلاحيات التي تولاها ، وأثر ذلك فى اضعاف الخلافة ، وتقليص دور الوزراء ، على حد سواء وتولى بحكم ، وأثره فى سير الأحداث بالدولة ، كأمير للأمراء بعد ابن رائق .

أما الفصل الثالث : فقد خصص للحديث عن الأزمات التى مرت بها الخلافة فى عصر الخليفة الراضى بالله . وقد قسم الى ثلاثة أقسام تركز الكلام فى أولها عن الأزمة المالية ، أسبابها ومظاهرها ، ومحاولات علاجها فى حين ناقش القسم الثانى أزمة أخرى ، تمثلت فى سيطرة الولاة على الأقاليم وسعيهم لاضعاف نفوذ الخلافة وتقليص سلطانها ، بحيث لم يعد يتعدى ضواحى بغداد ، عاصمة الخلافة الاسلامية ، واستقلالهم بولاياتهم وطمعهم في التوسع على حساب جيرانهم ، دون حياد ، أوالتزام بتبعية لحكومة مركزية . وإنما كان رائدهم السيطرة والتسلط والتحكم فى رقاب الناس وجمع الأموال بالباطل .

وقد تمثلت الأزمة الثالثة فى تطور حركة القرامطة ، الذين أفرد القسم الثالث من هذا الفصل للحديث عنهم ، وعن مبادئهم وزعمائهم ، وأثرهم فى الاضطرابات ، وزعزعة حبل الأمن ، وإحداث الفوضى وشمولها .

وأخيرا ختم البحث باستعراض موجز لأهم النتائج التي تستخلص من البحث .

أما من حيث المصادر والمراجع التي جمعت منها المعلومات ، فقد كانت كثيرة ومتنوعة ، غير أن البحث اعتمد بشكل أساسي على جملة مصادر قيمة أهمها :

كتاب " أخبار الراضي بالله والمتقي لله " لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٧ م) من أهم الكتب التي اعتمدها البحث . فقد كان أبو بكر الصولي أديباً وكاتباً ، وواحداً من العلماء ، الذين عنوا بالأدب ، ومعرفة أخبار الملوك ، وأخبار الخلفاء والشعراء . ولد المؤلف في بغداد ونشأ فيها ، وأخذ عن المبرد (١) ، وثعلب (٢) ، وأبي داود السجستاني (٣) . وقد حضر مجالس عدد من الخلفاء ، وعُدّ من جملة ندمائهم ، أشرف الصولي على تعليم الراضي ، وتأديبه ، كما أنه أصبح من المقدمين في جملة ندمائه ، بعد اعتلائه الخلافة . وهو بذلك شاهد عيان عاصر الأحداث ، وعاش مع الخليفة الراضي بالله في بيته ، وقد أفاد البحث كثيراً من الأخبار التي أوردها الصولي . وبشكل خاص فيما يتصل بحياة الخليفة اليومية الشخصية .

---

(١) محمد المبرد : ٢١٠ - ٢٨٥ هـ / ٨٢٥ - ٨٩٨ م .
هو محمد بن يزيد الأزدي ، المعروف بالمبرد . أديب نحوي لغوي اخباري . توفي ببغداد . من مؤلفاته : الاشتقاق ، اعراب القرآن . ابن النديم : الفهرست ، ١ / ٨٧ .

(٢) ثعلب : ٢٠٠ - ٢٩١ هـ / ٨١٦ - ٩٠٤ م .
أحمد بن يحيى الكوفي المعروف بثعلب ، نحوي لغوي ، توفي ببغداد له من الكتب : المصون في النحو ، واختلاف النحويين . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ١ / ١٠٢ .

(٣) أبو داود السجستاني : محدث ، حافظ فقيه . له كتاب السنن ، توفي ٢٧٥ هـ / ٨٨٩ م . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢ / ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

فقد حقق جانبا فى غاية الأهمية ، فى انجاز هذه الدراسة على وجهها الأكمل . فالمعلومات التى جاءت فى الكتاب المذكور ، انما يقدمها رجل ثقة ، شهد الحوادث بنفسه ، وكان دقيقاً فى تصويرها ، ورواية كل تفاصيلها .

ويعتبر كتاب " مروج الذهب ومعادن الجوهر " للمسعودي[(١)] (ت ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م) من المصادر المهمة . التى اعتمد عليها البحث . ويقع الكتاب فى أربع مجلدات . سار فيه مؤلفه على نظام الموضوعات ، وبدأ أحداثه من بدء الخليقة حتى أواسط عصر الدولة العباسية ، وقد تعرض فيه لتاريخ بني اسرائيل ، وأخبار الهند ، وثقافتها ، وملوك الصين والترك ، وتاريخ العرب الثقافي فى الجاهلية . ثم ينتقل الى السيرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، ثم تاريخ الخلفاء الراشدين ، فالأمويين فالعباسيين خليفة خليفة ، حتى ينتهى سنة ٣٣٦ هـ . والملاحظ أن كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر هو مؤلف شامل ، يمثل المفهوم الواسع للتاريخ ، وقد استفاد البحث منه . فالمسعودى عاصر تلك الفترة التى نحن بصدد البحث فيها . وهو ينقل أخبارها عن ثقات ، عاصروا الأحداث أو رافقوا الخليفة الراضي بالله ، واحتكوا به كالصولي والعروضي . وقد أفاد البحث من هذا المؤلف فى توضيح جوانب من حياة الراضي ، وثقافته وسعة إطلاعه وعاداته . ذاكراً أهم صفاته ، ضاربا لها عددا من الأمثلة . وبالإضافة

---

(١) المسعودي : هو أبو الحسن على بن الحسن ، من ذرية عبد الله بن مسعود . اخبارى علامة توفى ٣٤٥هـ/٩٥٦م . محب للأسفار يتحدث عن اخبار المناطق التى زارها ، حديث الخبير بها وسجل تجربته كلها . قال عنه ابن خلدون أنه امام الكتاب والباحثين . ابن النديم : الفهرست ١/١٥٤ ، ياقوت : معجم الأدباء ١٣/٩٠ ، الذهبى : دول الاسلام ١/١٦٧ .

الى كل ذلك ، فقد قدم المسعودى معلومات قيمة ، أثرت البحث وخاصة فيما يتصل بعلاقة الخليفة بأمير الأمراء بجكم . الا أن المسعودي اختصر الأحداث كثيراً ، ولم يورد تفصيلا لجميع أحداث العصر ، إذ أنه فصل الحوادث فى كتاب " أخبار الزمان ومن أباده الحدثان " الذى فقد بعد ذلك .

وقد أفاد البحث أيضا ، من كتاب (صلة تاريخ الطبرى) لعريب بن سعد القرطبى(١) توفى ٣٦٩هـ /٩٧٩م. وقد أرخ فيه للأحداث بين ٢٩١ / ٣٢٠ هـ واتبع نظام الحوليات . الا أن توقفه عند سنة ٣٢٠ هـ جعل الافادة منه تقتصر على ماله علاقة بعصر القاهر الذى ذكر فى مقدمة البحث .

ويعتبر كتاب (تكملة تاريخ الطبري) للهمذاني(٢) (ت ٥٢١هـ/١١٢٧م) من مصادر البحث المهمة ، اذ اتبع فيه المؤلف نظام الحوليات أيضا ، ويبدأ من سنة ٢٩٥ هـ الى سنة ٣٦٧ هـ . وهو كتاب متوازن ، جيد العرض ، دقيق المعلومات ، وقد استفاد البحث منه فى الفصل الثانى ، عند الحديث عن الوزراء وما يتصل بتناقص دورهم. وكذلك عند الحديث

---

(١) عريب بن سعد القرطبى : طبيب مؤرخ من أهل قرطبة . توفى ٣٦٩ هـ / ٩٧٩ م . الزركلى : الأعلام ٤/٢٢٧.

(٢) الهمذانى : أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن ابراهيم الفرضي ، عاش من (٤٦٣ - ٥٢١ هـ / ١٠٧٠ - ١١٢٧ م) نشأ فى بيت علم وحديث. لكنه رغم ثقافته الدينية ، كان أميل للتاريخ . وله عدة مؤلفات . ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/١٩٨.

عن امرة الأمراء ، والعلاقة بينهم وبين حكام الولايات ، هذا بالإضافة الى المعلومات التي وردت فيه عن أخبار القراطة ، وكذلك الأزمات والنكبات التى حلت بالدولة .

كما يعتبر كتاب " تجارب الأمم " لابن مسكويه[1] ٤٢١ هـ/١٠٣٠ م من المصادر ذات الأهمية الخاصة ، التى استفاد منها البحث ، فهو يتناول التاريخ العام منذ بدء الخليقة على نظام الحوليات كغيره ، وهو يسهب فى شرح الأحداث ، ويعطى تفصيلات عن بعضها ، وخاصة عندما يتحدث عن العصر العباسى . وهنا تظهر فائدة الكتاب الجمة ، اذ أنه تحدث عن التاريخ السياسي للفترة التي هي موضوع البحث ، بشكل دقيق ، وقدم فيها الوثائق ، والكتب الرسمية والملامح الاقتصادية ، وقد أفاد البحث منه خاصة عند استعراض أحوال الدولة العباسية ، وتناقص دور الوزراء ، ودور أمير الأمراء ابن رائق ، كما أفاد منه أيضا . عند الحديث عن الأزمة المالية فى الدولة . ولا يمكن لأى باحث فى هذه الفترة ، الاستغناء عن هذا الكتاب ، لأهمية وثائقه وما احتواه من منقولات عن الكتب الرسمية اضافة الى ما قدمه من تفصيلات ، عن أحداث العصر آنذاك .

- ومن المصادر المهمة التى أفاد منها البحث ، كتاب " المنتظم فى تواريخ

---

(١) ابن مسكويه : أحمد بن محمد بن يعقوب ، الملقب بمسكويه الخازن توفى ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م . عالم مؤرخ أديب ، يتميز بفكر علمى واسع ، اشتغل بفروع مختلفة من العلوم. أنظر: ياقوت : معجم الأدباء ٥/١٩٥ .

الملوك والأمم " لابن الجوزي[(١)] (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠٦م) الذى بحث فى التاريخ العام ، ويقع الكتاب فى عشرة مجلدات . وقد اعتمد المؤلف فى الكتابة على نظام الحوليات ، الا أنه لم يفصل فى الأحداث كثيراً ، بل ركز حول بغداد وما حولها ، وأعطى التراجم مساحة أوسع من الأحداث. الا أنه أفاد البحث كثيرا ، عند الحديث عن الأزمات التى تعرضت لها الدولة الاسلامية فى هذه المرحلة .

- ويعتبر كتاب " الكامل فى التاريخ " لابن الأثير[(٢)] (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٤م) من أهم المصادر فى التاريخ العام . اذ اعتمد على التسجيل الحولى . ويقع فى اثنى عشر مجلدا ، وقد أورد فيه أخبار المشرق والمغرب ، وتعرض للحوادث المحلية فى الأقاليم ، معطياً الأحداث الهامة عناوينها ، ومعللاً بعض الظواهر ، ومنتقداً بعض الأخبار . ومما يبرز أهميته اعتماده على مصادر موثوقة فى أخباره ، فضلاً عن أسلوبه السهل المرسل ، وعرضه الشيق للأحداث فهو يتضمن معلومات سياسية وادارية ، واقتصادية واجتماعية ،

---

(١) ابن الجوزى : هو أبو الفرج . عبد الرحمن على بن محمد بن جعفر الجوزى القرشى . من مشاهير العلماء فى القرن السادس ، والثقات العدول ، برز فى علوم كثيرة ، توفى ٥٩٧ هـ/١٢٠٦ م. أنظر: ابن كثير: البداية والنهاية ، ٢٨/١٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٧٤/٦ .

(٢) ابن الأثير : هو الامام العلامة عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى الجزرى . ولد فى جزيرة أبى عمر سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م، شمال العراق ونشأ بها ، وسكن الموصل ، وحدث بدمشق ، الا أنه كان ميالا للتاريخ ، توفى سنة ٦٣٠ هـ/١٢٣٤ م. أنظر: ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣٤٨/٣ ، ٣٥٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٣٩/١٣ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، ١٣٧/٥ .

وقد أفاد البحث منه كثيرا فى أغلب فصوله .

بالاضافة الى ما سبق ، فقد استفاد البحث من كتب الباحثين المعاصرين مثل كتاب " دراسات فى العصور العباسية المتأخرة " للأستاذ الدكتور عبد العزيز الدورى ، الذي أغنى البحث بمعلومات هامة فيما يخص الأوضاع الاقتصادية ، والأنظمة الادارية . وكذلك فى بحثه موضوع القرامطة ومبادئهم .

كما أفاد البحث من كتاب " المؤسسات الادارية " للدكتور حسام الدين السامرائي ، خاصة عند الكلام عن تناقص دور الوزراء ، وتدهور الوزارة وظهور ابن رائق وأمرة الأمراء ، والأزمة المالية وما يخص المصادرة والمصادرين فى الدولة العباسية .

ولعل مهمة الحصول على المصادر الأصلية التى ترتبط بالبحث مهمة صعبة. حيث تعذر وجود هذه المصادر ، لأن مكتبة الطالبات لا تحوى المخطوطات الهامة ، ولا المصادر الأصلية ، حتى المتوفر منها نجد أن بعض أجزائها مفقود . كما أن استفادة الباحثات ، وطالبات الدراسات العليا من المكتبة المركزية فى الجامعة لا تتم بسهولة ، وليس هناك من الوقت ما يكفي للافادة مما فيها من مصادر ومخطوطات وكذلك الحال فى مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى .

وعلى الرغم من أن مكتبة الحرم المكي المبارك زاخرة بالمصادر والمخطوطة الا أن الافادة منها تكاد تكون معدومة ، لعدم وجود نظام إعارة خاص بالطالبات ، ويعتبر هذا خسارة جمة لعظيم أهمية مصادرها وكبير فائدتها .

ولابد فى هذا المقام أن أتقدم بخالص شكرى وتقديرى واعترافي بالجميل الى أستاذى المشرف الأستاذ **الدكتور حسام الدين السامرائي** الذى لم يبخل علي طيلة مراحل البحث بغزير علمه ، وسديد رأيه ، وتوجيهاته العلمية القيمة جزاه الله عني وعن طالباته خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر وجزيل العرفان الى سعادة الأستاذ الفاضل **الدكتور محمد بن سعد الرشيد** عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية السابق ولكل من أسهم أو أعان فى انجاز هذا البحث أو اخراجه .

وأسأل الله تعالى أن يجعل علمنا خالصا لوجهه الكريم وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وصلى الله وسلم على رسوله الأمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الطالبة

منيرة عبد الله عبد الرحمن العرينان

التمهيد

أوضاع الدولة العباسية في عهد القاهر بالله

أوضاع الدولة العباسية فى عهد القاهر بالله

تولى القاهر بالله(1) الخلافة ، بعد مقتل الخليفة المقتدر بالله فى شهر شوال (٣٢٠هـ/٩٣٢)(2) . ولم يكن قائد الجيش العباسى مؤنس الظفر مرتاحـا

---

(1) هو أبو منصور محمد بن المعتضد بن طلحة الموفق بالله بن المتوكل ، ولد سنة ٢٨٧ هـ. أمه أم ولد اسمها قبول . أنظر: ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٤م) ، الكامل في التاريخ جـ ٦ ص ٢٢٢ . دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م ، ابن الوردي : زين الدين عمر (ت ٧٤٩ هـ) : تتمة المختصر في أخبار البشر ص ٧٤٩ ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م ، الصفدى : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) : الوافى بالوفيات جـ ٢ ص ٣٣٤ ، الناشر فرانز شتاينر بفسباون ١٣٨١هـ/١٩٦١م ، السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥م) : تاريخ الخلفاء ص ٣٨٦ ، مطبعة السعادة بمصر ، ط١ ، ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢م ، القرماني : أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى (ت ٩٨٣ هـ) : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ص ١٦٧ ، مطبعة عباس التبريزى ، مدينة الزوراء ١٢٨٢ هـ ، دحلان : أحمد زينى (ت ١٣٠٤ هـ) : تاريخ الدول الاسلامية بالجداول المرضية ص ٢ ، الخضرى : الشيخ محمد : محاضرات فى تاريخ الأمم الاسلامية ، الدولة العباسية ص ٣٥٧ ، مطبعة الاستقامة - القاهرة - ط ١٠ ، ١٩٥٩م .

(2) المسعودى : أبو الحسن على بن الحسن (ت ٣٤٥هـ/٩٥٦م) : التنبيه والاشراف ص ٣٨٧ ، مكتبة خياط بيروت ١٩٦٥ ، القرطبى : عريب بن سعد (ت ٣٦٩هـ/٩٨٠م) : صلة تاريخ الطبرى ص ١٥٤ ، الناشر: دار المعارف بالقاهرة ، ابن الجوزى : أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم جـ ٦ ص ٢٤١ ، ط١ ، حيدر أباد - الدكن مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٧هـ ، ابن الأثير : الكامل ، ٢٢٢/٦ ، الأربلى : عبد الرحمن سنبط قينتو (ت ٧١٧هـ) : خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ص ٢٤١ ، مكتبة المثنى ببغداد .

لبيعته . ولعله كان كارها لها ، بسبب معرفته بطبائع القاهر وأخلاقـــه . الا أن مؤنس كان مضطراً لمجاراة الجند الذين أخرجوا القاهر ، وبايعـوه خليفة للمسلمين . حيث تبعهم الناس فبايعوه أيضاً ، حيث استقر له الأمر.
وقد اختار الخليفة القاهر ، أبا علي بن مقلة لوزارته ، وعين عليا بن يلبـق حاجباً له ، في حين ابتدأ خلافته في تعقب أبناء سلفه الخليفة المقتـدر بالله ، وحرمه ومصادرة أموالهم ، وقد وصل به الحقد الى درجة أنـــه أمر بتعذيب السيدة شغب والدة المقتدر ، المفجوعة بفقد ولدهـــا ، فقد أمر بضربها وتعذيبها ، الى أن اعترفت بكل مالديها من أموال ، ثم جرت مصادرتها .[(٢)]

وكان لهذه الاجراءات التعسفية وغيرها أثرها ، اذ اضطر العديد من كبار رجال الدولة أيام الخليفة المقتدر ، الى الاختفاء عن الأنظار ، ثـــم مغادرة العاصمة سراً ، وقد لجأ البعض منهم الى المدائن[(٣)] ، حيــــث تحصنوا فيها . وكان على رأس هؤلاء عبد الواحد بن الخليفة المقتـــدر وهرون بن غريب شقيق السيدة شغب ، وخال المقتدر بالله ، وكان معهما مفلح الخادم[(٤)] ، ومحمد بن ياقوت ، وابنا رائق[(٥)] . وبادر هرون بن غريــب

---

(١) القرطبي : صلة تاريخ الطبري ١٥٤ ، ابن الأثير: الكامل ٦/٢٢٢ .
(٢) القرطبي : صلة تاريخ الطبري ١٥٥ ، الدوري : عبد العزيز عبد الكريم : دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص ٢٣٠ ، مطبعة السريان، بغداد - ١٩٤٥م .
(٣) ابن الأثير : الكامل، ٦/٢٢٤ .
(٤) مفلح : هو خادم المقتدر من قواده المقربين اليه . توفي بمصر سنة ٣٥٦ هـ . أنظر: الصابي : أبو الحسين هلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) : رسوم دار الخلافة ص ٣٢، مطبعة العاني بغداد ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م .
(٥) ابن الاثير : الكامل ٦/٢٢٤ .

الخال بمراسلة القاهر ، طالباً منه الأمان ، مقابل أن يدفع ثلاثمائة ألف دينار الى الخليفة ، على أن يترك له أملاكه ، كما تعهد بدفع حقوق بيت المال عليه ، وقد وافق الخليفة القاهر بالله (١) ، على هذا العرض ، اظهار أمنه لحسن نيته من جهة ، ورغبة منه فى تطمين المعارضة من جهة أخرى ، حتى يتسنى له القضاء عليها ، وبعد أن يتمكن منهما . وقد بادر الى تقليد هرون بن غريب هذا أعمال ماه الكوفة (٢) وماسبذان (٣) ومهرجان قذق (٤) . لكن الأمر لم ينطل على عبدالواحد بن الخليفة المقتدر ، ومن معه من المخالفين ، ذلك أن الأخير بادر الى الخروج بمن معه

---

(١) ابن مسكويه : أبوعلى أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١ هـ - ١٠٣٠ م) : تجارب الأمم ٥/٢٥٣ ، مطبعة شركة التمدن الصناعية - القاهرة ، ١٣٣٢ هـ/١٩١٤ م ، ابن الأثير : الكامل ٦/٢٢٤ .

(٢) ماه الكوفة : هى بلاد الدينور من أعمال الجبل . أنظر خريطة رقم (٢) ، ولمزيد من التفاصيل أنظر : ياقوت : شهاب الدين أبى عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى (ت ٦٢٢ هـ/١٢٢٩ م) : معجم البلدان جـ ٢ ، ٥ ، ص ٥٤٥/٤٩ . دار الكتاب العربى - بيروت .

(٣) ماسبذان : مدينة من اقليم الجبل قرب السيروان . أنظر : القزوينى : زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ) : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢٦٠ ، دار صادر بيروت ، ابن رستة : أبو على أحمد بن عمر ، (ت ٢٩٠ هـ) : الأعلاق النفيسة ص ١٠٩ - المجلد السابع ، طبعة ليدن ، بمطبعة بريل ١٨٩٢ م .

(٤) مهرجان قذق : كورة واسعة ذات مدن قرب الصيمرة ، من نواحى الجبال . أنظر : ياقوت : معجم البلدان ٢/٢٣٣ ، ابن رستة : الأعلاق النفيسة ١٠٩ .

من القادة والجند الى السوس(١) وسوق الأهواز(٢) ، حيث أعلن تمرده على السلطة المركزية ، كما وضح ذلك في تصرفاته هناك ، فقد طرد العمال ، وأقام بالأهواز يجبى الأموال لنفسه(٣) .

وجه القاهر قوة عسكرية ، من الجيش العباسي الى الأهواز بقيادة يلبق ، بقصد القضاء على هذا التمرد ، واستعادة سيادة السلطة المركزية على الاقليم . وما أن علم عبد الواحد بن المقتدر بالله ، حتى بادر بالتوجه الى تستر لمنعتها ، الا أن كثيرا من القادة والجند فارقوه ، بسبب استبداد محمد بن ياقوت(٤) . وهكذا دخل عسكر الخليفة القاهر بالله الأهواز ، وقد نهب القراريطى(٥) أهلها ، وصادر أموالهم . وعلى كل حال فقد عادت المنطقة تحت الاشراف المباشر للخلافة العباسية .

---

(١) السوس : مدينة في اقليم خوزستان . لمزيد من التفاصيل أنظر : ياقوت : معجم البلدان ٣/ ٢٨٠ ، ٢٨١ ، شيخ الربوه : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب (ت ٧٢٧ هـ) : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص ١٧٩ - مكتبة المثنى - بغداد .

(٢) سوق الأهواز من مدن اقليم الأهواز . أنظر : ياقوت : معجم البلدان ، ٣/ ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٢٤ .

(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٢٥٥ ، الهمذاني : محمد بن عبد الملك (ت ٥٢١هـ/ ١١٣١م) : تكملة تاريخ الطبرى ، دار المعارف - القاهرة ، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٧٧ .

(٥) الوزير القراريطى : أبو اسحق محمد بن أحمد القراريطى ، الكاتب ، عمل كاتبا لمحمد بن رائق ، ثم وزر للمتقى . كان ظالما غشوما ، توفي ببغداد سنة ٣٥٧ هـ . أنظر : الصفدى : الوافي بالوفيات ٢/ ٤١ .

أدرك عبد الواحد بن المقتدر عدم الجدوى من استمراره في التمرد ، لذلك فقد بادر الى طلب الأمان[1] ، حيث أجيب الى ذلك . ومع أن القائد محمد بن ياقوت قد تردد في بداية الأمر ، في أن يحذو حذو عبد الواحد بن المقتدر ، لأنه كان يخشى من وجود مؤامرة للقضاء عليهم . غير أنه بعد أن اطمأن الى سلامة الاجراءات ، بادر هو الآخر الى طلب الأمان حيث بذل له ذلك[2] ، وبالتالي استسلمت مدينة تستر بعد دخول ابن المقتدر ، ومحمد بن ياقوت في الأمان . فدخلها الجيش العباسي بقيادة يلبق ، وعادت الى سيطرة الخلافة العباسية .

وبعد استقرار الأمور ، بادر قائد الجيش الى توجيه طالبي الأمان الى العاصمة ، وقد عمد البريدي وأعوانه ، وكان في صحبة قوات الخلافة العباسية ، الى نهب مدينة تستر طمعا في أموال أهلها ، ورغبة في اضعاف مقاومة المدينة . اذ كان يؤمل أن يتولى اقليم الأهواز[3] .

وعاد يلبق الى بغداد بعد أن حقق جميع الأهداف الموكلة اليه في القضاء على التمرد ، واستعادة سيادة الدولة على المنطقة ، لذا فقد خلع عليه الخليفة القاهر خلع الشريف ، وطوقه وسوره بأساور من الذهب

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ٦/٢٢٤ .
(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٥/٢٥٧ .
(٣) الهمذاني : تكملة تاريخ الطبري ٢٧٧ .

تكريماً له ، وتقديرا لفضله فى القضاء الحاسم على هذا الخطر الداهم[١].

أما فى عاصمة الخلافة فقد سيطر الوزير أبو على بن مقلة ، وحاجب الخليفة على ابن يلبق على سير الأمور فيها ، واستأثر بالسلطة ، وتحكما فى الأموال ، وكانا جشعين الى درجة أنهما منعا أرزاق الحشم من أن تصرف[٢]. وقد زاد الأمر سوءاً بعد عودة يلبق من تأديب المتمردين من استعادة تستر ، وازداد تعنته واستبد بالأمور ، حتى بلغت به الجرأة ، أن طالب الخليفة بتسليمه فرش وأمتعة السيدة والدة الخليفة السابق المقتدر بالله . ولم يجد الخليفة من سبيل الا الاستجابة لطلبه ، فعمد يلبق الى التصرف فيها ، كما أنه باع بعضها .

تقرب محمد بن ياقوت من الخليفة القاهر ، مما أخاف قائد الجيش مؤنس المظفر ، فاتفق مع كل من يلبق الحاجب ، والوزير ابن مقلة على التخلص منه ، بدعوى وشايته بهم عند الخليفة . ولما بلغ ابن ياقوت ذلك فبادر الى الاستتار[٣]. وقد جرى نهب أمواله ، وأموال أصحابه ، مما أثار حفيظة الخليفة القاهر ، الذى أخذ يعد العدة لاستعادة سلطاته كخليفة . وقد أدرك القاهر أن عودة السلطات الأساسية اليه ، لا يمكن أن تتم إلا بالتخلص من قائد الجيش مؤنس المظفر ، والوزير ابن مقلة[٤]،

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٢٥٨ .
(٢) الهمدانى : تكملة تاريخ الطبرى ٢٧٧ ، ابن الجوزى : المنتظم ٦/٢٤٩ .
(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٢٥٩ ، الهمدانى : التكملة ٢٧٨ ، ابن الأثير : الكامل ٦/٢٢٥ .
(٤) الدورى : دراسات فى العصور العباسية المتأخرة ٢٣١ .

وقائد حرس الخلافة يلبق ، وابنه علي بن يلبق حاجب الخلافة . والحقيقة فان كلاً من الطرفين ، قد بدأ يعد العدة للتخلص من أخطار بقاء الطرف الآخر في مركز القوة ، وقد بادر القاهر بالتحرك ، اذ أنه استدعى أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله الكاتب (١) ، ووعده بالوزارة وأمره أن يأتيه بأخبار ابن مقلة ، لأنه كان واحداً من أصحابه .

في حين اتفق ابن مقلة ، ويلبق وابنه علي ، على خلع القاهر ، وتقليد أبا أحمد بن المكتفي بالله الخلافة ، (٢) وعقدوا له الأمر سراً ، ثم أخبروا مؤنس المظفر ، الذي نصحهم بالتريث . اذ أن الخليفة القاهر ، كان قد عمل على تأليب فرقة الساجية على قيادة الجيش الممثلة في مؤنس . (٣)

كما استدعى الخليفة القاهر بالله القائد طريفا السبكري ، وأعلمه بأنه قلده رياسة الجيش ، كما عهد اليه بالاشراف على بيوت الأموال (٤) ، وهذه أمور كان يتولاها مؤنس المظفر . وقد تمكن طريف السبكري من القاء القبض على يلبق ومؤنس المظفر وقتلهما . (٥) أما علي بن يلبق فقد هرب واستتر ،

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٢٦١ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٢٥ .
(٢) ابن الوردي : تتمة المختصر ٣٩٣ ، الدوري : دراسات ٢٣١ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٢٦ .
(٤) ن.م.س : ٦ / ٢٢٦
(٥) ن.م.س : ٦ / ٢٢٦ ، أبو الفداء : عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢ هـ - ١٣٣١ م) : المختصر في أخبار البشر ٢ / ٧٧ . المطبعة الحسينية المصرية . الطبعة الأولى ، الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) : العبر في خبر من غبر ، ٢ / ١٨٥ ، طبع في الكويت ١٩٦٠ م .

غير أن ذلك لم يدم طويلاً ، اذ سرعان ما قبض عليه ، فضرب وحبس.[1] وقد تم نهب دور المقبوض عليهم وأعوانهم. وبحث القاهر عن أحمد بن المكتفى ، مرشح المتآمرين عليه للخلافة . وتمكن من القبض عليه ، فبنى عليه بالجص والآجر، فكانت نهايته.[2] أما محمد بن ياقوت فقد تولى الحجابة غير أن كراهية طريف والساجية له ، أدت به الى ترك منصبه ، والسفر سراً الى فارس خوفا من المكروه ، وقد عاتبه الخليفة على ذلك وولاه الأهواز[3] ثم أصبهان.[4]

اتخذ القاهر بالله ، بعد نجاح خطته فى القضاء على المتآمرين عليه جملة قرارات . إذ عزل الوزير ابن مقلة عن الوزارة[5] ، واختار لوزارته أبى جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله ، بعد أن خلع عليه خلعة سنية . وكان ذلك يوم الأحد غرة شعبان سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م.[6] أما الحجابة فقد ولاها سلامة الطولوني.[7] كما ولي الشرطة أبا العباس أحمد بن خاقان .

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٢٦٦.
(٢) ن.م.س : ٥/٢٦٦ ، الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ٢٨١ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ٥/٣٩٤ ، الدورى : دراسات ٢٣٢.
(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٢٦٥ ، ابن الأثير : الكامل ٦/٢٢٧.
(٤) الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ٢٨١.
(٥) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٢٦٤ ، ابن الأثير : الكامل ٦/٢٢٧.
(٦) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٢٦٥ ، ابن الأثير : الكامل ٦/٢٢٧ ، الدورى : دراسات ٢٣٢ ، السامرائى : حسام الدين قوام : المؤسسات الادارية فى الدولة العباسية ١٨٨ ، مكتبة دار الفتح بدمشق .
(٧) سلامة الطولوني : الحاجب المعروف بالمؤتمن حجب لعدد من خلفاء العباسيين ، توفى سنة ٣٣٢ هـ . أنظر: الصابى : رسوم دار الخلافة ص ٧٦.

وقد استتر البريدى عند عزل ابن مقلة ، وولى مكانه على خراج الأهواز والبصرة أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخى ، فتوسط الوزير محمد بن القاسم بن عبيد الله للبريدى عند الخليفة كى يرضى عنه ، كما عمد الى ذم الكرخي . فاستشار الخليفة القاهر بالله عيسى المتطبب (١) ، فى وساطة الوزير هـــذه ، فأشارا عليه بعكس رأى الوزير. وأضاف الى ذلك نصحه للخليفة بعــزل الوزير ، وتقليد أبى العباس أحمد بن عبيد الله بن سليمان الخصيبى الوزارة (٢). ويظهر أن هذه النصيحة ، قد لاقت هوى عند الخليفة (٣) .

فقد أمر الخليفة القاهر بكبس دور البريديين . لكن ذلك كـــان دون نتيجة تذكر. فقد كانت المداهمة متوقعة ، منذ أن استتر أبـــو عبد الله البريدى . وصدر الأمر بتولية على بن عيسى أعمال واسط ، كمــا صدر الأمر بالقبض على قائد الجيش طريف السبكرى حيث تم سجنه (٤) .

---

(١) عيسى المتطبب هو : عيسى بن يوسف المعروف بابن العطارة . كان متطبب القاهر ، وكان محل ثقته ، ومسيره ، وسفيره بينه وبين وزرائه . أنظر : القفطى : جمال الدين أبى الحسن على بن القاضى الأشـــرف يوسف (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ١٦٦ دار الآثار للطباعة والنشر - بيروت .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٢٢٩/٦ ، الدورى : دراسات ٢٣٢ ، السامرائى: المؤسسات ٩٨ .

(٣) وكانت وزارة أبو جعفر ثلاثة أشهر واثنا عشر يوما .
ابن مسكويه : تجارب الأمم ٢٧٢/٥ ، ابن الأثير: الكامل ٦/ ٢٢٩ ، السامرائى : المؤسسات ، ٩٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٢٢٩/٦ .

وقد اتخذ الخليفة القاهر بالله ، فى نفس الوقت ، بعض الخطوات الاصلاحية ، وخصوصا فى مجال النظرة الشرعية الى الخلافة ، وكانت هذه الاصلاحات ذات مغزى ومردود طيب فى مجال الدعاية له ، فقد أصدر أمراً بمنع الخمر والنبيذ ، وطرد القيان من دار الخلافة[١] رغم أنه كان لا يكاد يفيق من سكره[٢].

أما بالنسبة لشرق الدولة فان مرداويج مؤسس الدولة الزيارية قد سار من الري الى جرجان. لكن خوفه من السامانيين جعله يعود ويصالح السعيد نصر بن أحمد الساماني[٣]. وقام مرداويج بتقليد علي بن بويه الكرج فأحسن على بن بويه الى الناس ، وشاع عدله ، وقد جبى ابن بويه الأموال فى الكرج ، ثم توجه الى أصبهان حيث جبى خراجها[٤]. وقفل عائدا الى الكرج . الا أن مرداويج خشي من تزايد نفوذ ابن بويه ، ونزعته الاستقلالية ، فتوجه وشمكير أخو مرداويج بقواته لتأديبه ، فى الوقت الذى كان على بن بويه قد اتجه الى أرجان[٥] وكان ذلك فى شهر ذى الحجة (٣٢١ هـ / ٩٣٣ م) بعد انسحاب محمد بن ياقوت والى الخليفة منها الى رامهرمز ، وهكذا أصبحت أرجان أمام على بن بويه مدينة بلا مقاومة فاستولى عليها .

---

(١) الذهبى : العبر فى خبر من غبر ٢ / ١٨٥ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ٣٨٦ .
(٢) القرطبى : صلة تاريخ الطبرى ١٥٦ ، ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٢٦٩ ، الدورى : دراسات ٢٣٣ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٢٩ .
(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٢٨٠ ، الدورى : دراسات ٢٤٥ .
(٥) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٢٨٠ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٣٣ ، الدورى : دراسات ٢٤٥ .

وجه علي بن بويه أخاه الحسن (ركن الدولة) الى كازرون [١] ، حيث تمكن من ايقاع الهزيمة بقوات محمد بن ياقوت . في حين أسرع عماد الدولة بن بويه نحو كرمان بقصد احتلالها ، وقد حاول محمد بن ياقوت منعه من ذلك ، فوقعت معركة بين الطرفين . وانتهت بانتصار البويهيين [٢] واستيلاء عماد الدولة على شيراز . [٣] ولم يحاول القاهر بالله أن يتدخل فيما يجرى من أحداث وصراع ، بين مرداويج والبويهيين والسامانيين والقوات الموالية للعاصمة ، والتي كانت تحت قيادة ياقوت وابنه محمد . ولم يرسل أية امدادات ، ويمنع بها توسع قوة البويهيين ، نظراً لسوء الأوضاع في الدولة ، والتنافس الواقع بين قادة الجند في العاصمة . كما أن ظروف الحروب السريعة والمتغيرات فيها من جهة ، وفى العاصمة من جهة أخرى . لم تعط الخليفة القاهر الفرصة الكافية للتدخل ، فقد كان ابن مقلة ، الذى عزل عن الوزارة مستتراً ، يدبر للقضاء على الخليفة القاهر بالله . [٤] ويراسل قادة الجند الساجية والحجرية ، ويخوفهم من غدر الخليفة القاهر . ويذكرهم بما حصل لأكثر المقربين له ، ولأغلب من خدمه أمثال مؤنس ، ويلبق ، وابنه علي بن يلبق [٥] ، وسجنه لطريف السبكرى ، وقد أشاع ابن مقلة وأعوانه بأن الخليفة القاهر يخطط للقضاء على سيما قائد الجند الساجية . [٦] مما أثار

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٣٣ ، أبوالفداء : المختصر ٢ / ٧٨ ، ابن الوردى تتمة المختصر ، ٣٩٥ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٣٥ .
(٣) ابن الجوزى : المنتظم ٦ / ٢٧٠ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ٣٩٧ .
(٤) الهمذانى : التكملة ٢٨٢ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٣٦ ، الأربلى : خلاصة الذهب ٢٤٤ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ٣٨٧ .
(٥) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٣٦ .
(٦) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٢٨٦ .

حفيظتهم فاتصلوا بالحجرية ، واتفقوا معهم على خلع القاهر ، ومن جهة ثانية فقد أشغل القاهر نفسه ، بالبحث عن ابن مقلة ، الا أن اسرافه الدائم فى الشراب ، جعله لا يعي ما يدبر له ، رغم محاولة الخصيبى الوزير وسلامة الحاجب، وعيسى المتطبب[١] ، تحذيره مما بلغهم ، من خبر اتفاق الساجية والحجرية ضده . وقد تطورت الأمور بسرعة . ففى الوقت الذى بدىء فيه بتطبيق الخطوات العملية ، والتى أدت الى القضاء على القاهر . وكان الخليفة يعيش حالة فقدان وعى ناجم عن سكره الشديد[٢] وقد توجه الجند الذين أفزعهم افتضاح أمر اتفاقهم ، وكلهم حريص على الانتهاء من أمر القاهر ، قبل أن يفيق خوفاً من أن يقعوا تحت طائلة بطشه ، وما عرف عنه من تعطش لسفك دماء خصومه ومعارضيه ، وهكذا فإنهم ركبوا إلى دار الخلافة ، وأقاموا على كل باب غلاماً من الساجية وآخر من الحجرية[٣] ، واتفقوا على أن يتم هجوم الجميع فى وقت واحد . وقد علم الخصيبى وسلامة الحاجب بالأمر ، فاستترا . وانتبه القاهر من سكره[٤] ، وهرب الى سطح حمام[٥] . غير أن المهاجمين استدلوا عليه ، فقبضوا عليه يوم الأربعاء السادس من جمادى الآخرة سنة ٣٢٢ هـ / سنة ٩٣٤ م[٦] . وساروا به ، الى حيث كان يسجن قائد الجند طريف السبكرى ، حيث

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٢٨٨/٥ ، الهمذانى : التكملة ٢٨٢ .
(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٢٨٨/٥ ، ابن الأثير : الكامل ٢٣٦/٦ .
(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٢٨٨/٥ .
(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٢٨٨/٥ ، الدورى : دراسات ٢٣٣ .
(٥) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٢٨٩/٥ ، الهمذانى : التكملة ٢٨٣ .
(٦) الأربلى : خلاصة الذهب ٢٤١ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ٣٨٧ .

أطلقوه ، وسجنوا القاهر مكانه[1] وقد أوكلت حراسته الى جماعة من الساجية والحجرية ، ثم سملت عيناه ، وهو أول خليفة يتعرض لمثل هذا ، وهكذا انتهت خلافة القاهر ، التي استمرت سنة واحدة وستة أشهر وثمانية أيام[2].

والملاحظ أنه رغم قصر فترة خلافة القاهر فقد حدثت تبدلات سريعة فى الوزارة ، اذ ولى الوزارة فيها ثلاثة من الوزراء .

وقد اختلت الأمور فى العاصمة ، بعد انتشار خبر عزل الخليفة ، وعمت القوضى واضطراب الأمن ووقع النهب فى أموال الناس[3] والاعتداء الوحشى على البعض منهم .

. . . . . .

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٢٨٩ .
(٢) المتوفى : محمد عبد المعطى بن أبى الفتح بن أحمد بن عبد الغنى الاسحاقى (ت ١٠٧١) : أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول ص ٩٥ ، ابن الأثير : الكامل ٦/٢٣٧ ، الهمذانى : التكملة ٢٨٣ .

الفصل الأول

الراضي بالله

حياته وعصره

أخلاقه وصفاته

وفاته

حياته وعصره

الفصل الأول

الراضي بالله

(١) حيـــاته وعصـــره

ولد أبو العباس محمد بن جعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله بن طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد[(١)]، ليلة الأربعاء الخامس من شهر ربيع الثاني سنة سبع وتسعين ومائتين[(٢)] سنة ٩٠٩ م، في

---

(١) الصولي: أخبار الراضي بالله والمتقي ص ١، المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسن (ت ٣٤٥): مروج الذهب ومعادن الجوهر ٤/ ٢٣١، دار الأندلس للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٦م، الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م): تاريخ بغداد أو مدينة السلام جـ ٢ ص ١٤٢، دار الكتاب العربي بيروت، ابن العمراني: محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠ هـ): الانباء في تاريخ الخلفاء ص ١٦٣، المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية - القاهرة، لايدن ١٩٧٣، الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٨ م): دول الاسلام ١/ ١٩٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م، السيوطي: تاريخ الخلفاء ٣٩٠.

وقد ذكرت بعض المصادر بأن اسمه أحمد وما أثبتناه هو الراجح اعتماداً على أهم مصدر معاصر، وهو كتاب الصولي: أخبار الراضي والمتقي. ص ١.

(٢) القرطبي: صلة تاريخ الطبري ٣٦، ابن الجوزي: المنتظم ٦/ ٢٦٥، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ١٩٦، الطبعة الثانية. بيروت. مكتبة المعارف.

أيام خلافة أبيه المقتدر في دير حنيناء[1] من بلاد الشام ، وأمه أم ولد رومية ، تسمى ظلوم.[2] عاشت حتى أدركت خلافته .

بويع الراضي بالله بالخلافة ، يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة للهجرة[3] (في نيسان سنة ٩٣٤م)[4] بعد أن تعاون الجند الساجية[5] والحجرية[6] على خلع عمه القاهر بالله ، ثم أخرجوا

---

(١) القرطبي : صلة تاريخ الطبري ٣٦.
دير حنيناء من أعمال دمشق ، ولمزيد من التفاصيل أنظر : ياقوت : معجم البلدان ٣١٢/٢.

(٢) الهمذاني : تكملة تاريخ الطبري ٢٨٤ ، ابن الجوزي : المنتظم : ٢٦٥/٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٩٦/١١ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ٣٩٠.

(٣) الصولي : أخبار الراضي والمتقي ص ١ ، ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ) : الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، ص ٢٨٠ ، دار صادر للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م ، الذهبي : دول الاسلام ١٩٦/١ ، دحلان : الجداول المرضية ٢٢.

(٤) محمد مختار باشا : التوفيقات الالهامية ، في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية ص ٣٥٤. المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

(٥) الساجية : فرقة من الجند نسبة الى يوسف بن أبي الساج . لمزيد من التفاصيل أنظر : فاروق عمر : الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ص ٢٣٨ ، منشورات مكتبة المثنى ببغداد ١٩٧٧م.

(٦) الحجرية : هم ضرب من الحرس الخاص ، وجدوا في دار الخلافة ، وظهر هؤلاء خلال عهد الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩ - ٢٨٩هـ) عندما استخدم جماعة من الغلمان الأتراك لغرض القيام بخدمته في دار الخلافة وكان قد وضعهم في حجرات خاصة ، وهنا جاءت تسميتهم بالحجرية أنظر : القلقشندي : أحمد بن عبد الله (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) : صبح الأعشى في صناعة الانشا ج٣ ص ٤٧٧ ، مطابع كوستا تسوماس وشركاه ، القاهرة ، فاروق عمر : الخلافة العباسية ١٣٩.

أبا العباس محمد بن المقتدر ووالدته من السجن ، وبايعوه وسلموا عليه بالخلافة ، ثم بايعه العامة.[1] وتسلم الراضي بالله خاتم الخلافة ، وهو من فضة وفصه نقش عليه محمد رسول الله.[2]

أرسل الخليفة الجديد في طلب مؤدبه أبي بكر الصولي ، كي يختار له لقبا مناسبا ، وهذه بدعة جديدة في تقاليد الخلافة ، إذ لم تجر عادة من سبقه من **الخلفاء** بذلك ، ولعل هذا قد حصل بتأثير مكانة الصولي في نفس الخليفة .

أرسل الصولي اقتراحا بثلاثين لقبا ، ترك فيها حرية الاختيار للخليفة رغم أنه كان قد أشار عليه باختيار لقب " المرتضي بالله " . وقد باشر الصولي في نظم قصيدة غادية ، يخلد فيها هذه المناسبة السعيدة ، وكانت بنفس وزن اللقب الذي أشار به[3] ، الا أن اللقب الذى اختاره أبوالعباس هو " الراضي بالله " ولعل اختياره هذا كان بسبب تشاؤمه من لقب " المرتضي بالله " اذ أن ابراهيم ابن المهدي[4] عندما بويع أيام خروجه على المأمون ،

---

(١) الهمذاني : تكملة تاريخ الطبري ٢٨٤ ، ابن الأثير : الكامل ٦/٢٣٧ .
(٢) الهمذاني : تكملة تاريخ الطبري ٢٨٤ .
(٣) الصولي : أخبار الراضي ٣ ، ٤ .
(٤) ابراهيم بن المهدي : بويع في محرم سنة ٢٠٢ هـ ولقب بالمبارك ، وكان ذلك بعد القضاء على الأمين ، واستقرار المأمون في مرو ، اذ جعل المأمون على الرضا وليا للعهد ، فاستاءت الشيعة العباسية ببغداد ، فأعلنوا خلع المأمون ، ومبايعة عمه ابراهيم بن المهدي . وتشير المصادر ، الى أن الحسن بن سهل قد أخفى ذلك عن المأمون ، لأن الفرس (=)

واختار ولي عهد له المنصور بن المهدي[1] ، وقد لقب آنذاك " المرتضى بالله " غير أن ذلك المرشح لم يصل الى منصب الخليفة .

وقد حفظ لنا الصولي نص الكلمة ، التى افتتح بها الراضى عهده ، فقال بأن الخليفة الراضي بالله استدعى لمجلسه العروضي[2] واسحاق بن المعتمد ، ويوسف وأحمد ابنا يحيى بن المنجم[3] ، وعلي بن هارون[4] . وبعد أن اكتمل الجمع أنشد أحمد بن يحيى ، وعلي بن هارون قصيدتين ، قدما فيهما التهنئة الى

(=) الشيعة يروق لهم ، أن يتولى الخلافة علوي ، فهو فى نظرهم أحق بالخلافة والمأمون متأثر بذلك ، فأمه أم ولد فارسية تسمى " مراجل " ، وتربى فى حجر جعفر البرمكي ، ومنه انتقل الى الفضل بن سهل . وكلهم ممن يؤمن بهذه الفكرة ، وأخفى الفضل بن سهل أحداث بغداد ، والقتال بين الحسن بن سهل ، وابراهيم بن المهدى عن المأمون ، الا أن المأمون علم بذلك ، فأخذ فى المسير الى بغداد مقر الخلافة . وتوفي علي الرضا فى الطريق ، وقتل الفضل بن سهل ، ووصل المأمون بغداد ، واستتر ابراهيم بن المهدى فأهدر دمه ، وجاءه مستسلما ، فسجنه ستة أشهر ، ثم طلبه اليه فاعتذر ابراهيم بن المهدى ، فعفا عنه . وكانت خلافته ببغداد سنتين الا خمسة وعشرين يوما " ٢٠٢ - ٢٠٤ هـ " . أنظر : الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠ هـ / ٩٢٣م) : تاريخ الأمم والملوك ١٠ / ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، المطبعة الحسينية المصرية ، ط١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ / ٢٤٧ ، ٢٥١ .

(١) الصولي : أخبار الراضي بالله ص٤ . تذكر بعض المصادر أن ولي عهده هو اسحاق بن الهادى . أنظر : ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ) : تاريخ ابن خلدون " العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ٣ / ٢٤٧ ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

(٢) العروضى : أحمد بن محمد أبو الحسن العروضى (ت ٣٤٢هـ / ٩٥٣م) ، سيرد التعريف به فى الفصل الخاص بصفات الراضى .

(٣) أحمد بن يحيى المنجم ، أديب ، (ت ٣٢٧هـ) . سيرد التعريف به فى الفصل الخاص بصفات الراضى .

(٤) علي بن هارون المنجم ، شاعر ، (ت ٣٥٢هـ) ، سيرد التعريف به فى الفصل الخاص بصفات الراضى .

الخليفة بمناسبة مبايعته ، ثم أنشد الصولي قصيدته الضادية على قافية الراضي فلاقت استحسانا عند الخليفة وأبدى اعجابه بها.[(١)] ثم قال : " والله لقد جاءني هذا الأمر ، وما شرعت فيه ، ولا أحببته ، ولا علم الله ذاك مني في سر ولا علانية ، لا جهلاً مني ما فيه من الشرف والجلالة لكني لتغيير الأحوال ، وقلة الأموال ، وكلب الجند ، وخراب الدنيا ، وانه يستصحبني من الغم ، والأسف والغيظ ، والإهتمام أكثر مما يؤمل من السرور واللذة . فما أجد في زماني مياسير من الكتاب والتجار ، يجمل بمثلهم الملك ، ويلجأ المهم اليهم مثل ابن الجصاص[(٢)] في التجار ، ومن يقاربه ، وأرجو أن يعينني الله بجميل نيتي ، فقد ضقت ذرعا ، بما دفعت اليه " قال الصولي : فقلت له " اذن يعينك الله يا أمير المؤمنين ، ويوفقك بشهادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ووعد به . فقال الراضي وكيف ذاك ؟ قلت " الصولي " ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تسأل الامارة ، فانك ان أعطيتها عن مسألة ، وكلت اليها ، وان أعطيتها عن غير مسألة ، أعنت عليها ".[(٣)]

---

(١) الصولي : أخبار الراضي والمتقي ص ١٦ .

(٢) ابن الجصاص : هو الحسين بن عبد الله بن الحسين ، المعروف بابن الجصاص . التاجر الجوهري (ت في شوال سنة ٣١٥ هـ) أنظر : ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ٣/٧٧ ، صادر بيروت ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٣/٢١٨ ، مطابع كوستاتسوماس وشركاه - القاهرة .

(٣) الصولي : أخبار الراضي ٦/١٧٢ .

نستنتج من النص السابق ، أن الخليفة الراضى بالله ، كان مدركاً للأوضاع التى تمر بها الخلافة . حيث قلت الأموال ، وازداد تدخل الجند الأتراك فى الأمور مما نجم عنه التدهور الشامل فى أوضاع الدولة.

ومع ذلك فان الخليفة الراضى بالله كان يسعى لتسيير دفة الحكم ، ويحاول الامساك بزمام الأمور. وقد اجتمع بعلى بن عيسى بن الجراح ، وسأله أن يتولى الوزارة ، ولكن الأخير اعتذر عن ذلك لكبر سنه ، وأشار عليه بتولية ابن مقلة.(١) وهكذا عاد ابن مقلة الى منصب الوزارة ، حيث بدأ عهده باطلاق سراح جميع من سجنهم القاهر بالله(٢) واختار أبا الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ليكون نائبا عنه فى الوزارة(٣). وولى أبا عبد الله البريدى ولاية خوزستان(٤) وقلد أخوه البريدى البصرة والسوس(٥) وجند يسابور.(٦)

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ٤/ ٢٣١ ، الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ، ٢٨٤ ، الذهبى : دول الاسلام ١/ ١٩٦.

(٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ٣٩٠.

(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٢٩٤.

(٤) خوزستان : تعرف بالأهواز ، وهى اقليم ممتد بين فارس والبصرة وواسط أنظر : الخريطة رقم/ ١. ولمزيد من التفاصيل أنظر : ياقوت : معجم البلدان ٢/ ٤٠٤، ٤٠٥ ، القزوينى : آثار البلاد ١٥٢.

(٥) السوس : مدينة فى اقليم خوزستان،لمزيد من التفاصيل أنظر : ياقوت: معجم البلدان ٣/ ٢٨٠ ، ٢٨١ ، شيخ الربوة : نخبة الدهر ١٧٩.

(٦) جند يسابور : مدينة باقليم خوزستان ، أنظر الخريطة رقم/ ٢ ، ياقوت : معجم البلدان ، ٢/ ١٧٠ - ١٧١ ، شيخ الربوة : نخبة الدهر ١٧٩.

وكتب الى علي بن خلف بن طناب[١]، باقراره على ولايتي فارس وكرمان[٢]. وقد استدعى الخليفة الراضي بالله ابن رائق[٣]، وأمره بالانحدار الى واسط[٤] والياً عليها، وأعاد محمد بن ياقوت إلى الحجابة. واتخذ أبا عبد الله الكوفي[٥] كاتباً له. وبعد وفاة ابراهيم بن خفيف[٦]، الذي كان يتولى ديوان

---

(١) على بن خلف بن طناب من رجال الدولة العباسية، كان فى سنة ٣١٩هـ ضامنا أموال الضياع والخراج بفارس، ثم ولاه الراضي الموصل سنة ٣٢٣هـ ثم استوزره بجكم سنة ٣٢٦ هـ وعزله سنة ٣٢٧ هـ. أنظر:
التنوخى: أبو على المحسن بن على (ت ٣٨٤ هـ - ٩٩٤م): جامع التواريخ المسمى بنشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ١٧٥/٣، تحقيق عواد الشالحى المحامى، طبعة سنة ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

(٢) كرمان: ولاية مشهورة واسعة شرقيها مكران، وغربها أرض فارس وشمالها مفازة خراسان، وجنوبها بحر فارس. أنظر: الخريطة/٢، ياقوت: معجم البلدان ٤٥٤/٤.

(٣) هو أبو بكر محمد بن رائق، سيرد الحديث عنه فى الفصل الخاص بامرة الأمراء (ت سنة ٣٣٠ هـ)، أبو الفدا: المختصر، ٨٩/٢.

(٤) واسط: مدينة تقع فى موقع متوسط بين البصرة والكوفة. أنظر الخريطة رقم/٢ ولمزيد من التفاصيل أنظر: ياقوت: معجم البلدان ٣٤٧/٥.

(٥) أبو عبد الله الكوفى: من مشاهير الكتاب، عمل كاتباً ببجكم، كان له التدبير أكثر من الوزراء، الصابى: الوزراء ٣٤٣.

(٦) ابراهيم بن خفيف السمرقندى، توفى سنة ٣٢٣هـ، وأبوه كان من مشاهير الحجاب أيام المعتضد والمكتفى: الصولى: أخبار الراضي ٦١، الصابى: رسوم دار الخلافة ٧٢.

النفقات ، فاختار ابن مقلة خلفا له محمد بن يحيى بن شيرزاد.[١] ويعتبر ديوان النفقات من أهم الدواوين الدائمة في الدولة العباسية ، فهو يقوم بنفقات دار الخلافة وحاجاتها ، ونفقات الدواوين المركزية[٢] وبالاضافة الى هذا الديوان هناك أيضا ديوان الخراج. ويشمل خراج أراضي الدولة الاسلامية ، على أنواع مختلفة من الملكية ، وكان في كل إقليم من أقاليم الدولة ديوان خراج خاص به. يقوم مقام خزانة الدولة ضمن الإقليم.[٣] أما ديوان بيت المال فكان يتولى الاشراف على ماكان يرد الى بيت المال في العاصمة من الأموال ، وما كان يخرج منه في وجوه النفقات والإطلاقات. وقد كان يثبت في سجلاته جميع أصول الأموال[٤] في الدولة. وكان يفرد لكل صنف سجل خاص به. أما ديوان الجيش أو ديوان الجند ، وهو استمرار للديوان الذى كان في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقد وصل أوج تطوره في العهد العباسي ، حيث كان يجرى فيه تصريف أمور الجند. أما ديوان المظالم ، فكان للنظر في شكاوى الشعب ضد رجال الحكم. وكان الخلفاء يباشرون بأنفسهم النظر في ظلامات المتظلمين. إلا أنه في العصر العباسي الثاني ، جرت العادة أن يعهد بذلك أحيانا للوزراء ، أو من يرونهم من

---

(١) محمد بن يحيى بن شيرزاد : أبو جعفر بن شيرزاد ، تولى في عهد المتقي الكتابة لتوزون أمير الأمراء. وخلفه بعد موته في محرم ٣٣٤هـ في إمرة الأمراء وظل في عهد المستكفي ، ثم اختفى بدخول بني بويه بغداد. الصولي : أخبار الراضي ٢٨٤ ، ابن الأثير: الكامل ٦/٣١٣، ٣١٤، د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، جـ٤/٣٤، ٣٦، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى ١٩٦٧م القاهرة.

(٢) السامرائي : المؤسسات الادارية ص ٢٣٠.

(٣) ن.م.ص : ١٩٥.

(٤) ن.م.ص : ٢٤٤.

الثقاة.[1] وكان ديوان البريد والسكك والطرق، يتولى مسئولية ايصال ما يصدر عن الخليفة أو الوزير الى العمال فى الاقليم، كما كان يتلقى ما يرد منهم الى دار الخلافة، فيعرضها.[2] أما ديوان الرسائل أو الإنشاء، فكانت تجرى فيه كتابة العهود والتقليدات. وكان ديوان الفض شعبة من ديوان الرسائل. وعمله استلام الرسائل والتقارير الواردة، وفضها، وتصنيفها، وعمل خلاصات لها.[3] أما ديوان التوقيع فيقوم بالتعليق على الطلبات أو الرقاع، التي ترفع الى الخليفة[4]، وقد أوجد كذلك ديوان الخاتم لمنع وقوع خطأ، أو تزوير فى الكتب المهمة. كما أنشئ ديوان المصادرين للإشراف على استيفاء أموال المصادرات، التى كانت تقرر، بعد أن يتعهد الأشخاص المصادرين بدفعها، حيث توجه لبيت أموال العامة أو الخاصة، حسب رأي الخليفة.[5] ومثلت مورداً هاماً من موارد بيت المال.

هذه الدواوين المركزية الدائمة فى الدولة لم تنشأ فى وقت واحد، انما يرجع بعضها لعهد عمر بن الخطاب، والبعض الآخر لزمن الأمويين أو للعهد العباسى الأول. وكان انشاؤها يأتى نتيجة الإستجابة للحاجة الملحة، التى تنجم عن تطور المجتمع وتعقد الإدارة فيه. ولابد من الإشارة هنا الى أن متولى الدواوين، يتعرض للتغيير بتغير الوزير.

---

(١) السامرائى : المؤسسات ٢٦٤.
(٢) ن.م.س : ٢٦٨.
(٣) ن.م.س : ٢٨١.
(٤) ن.م.س : ٢٨٣.
(٥) ن.م.س : ٢٩٠.

الا متولى ديوان البريد ، فانه يبقى فى منصبه بالرغم من تبدل الوزير ، لأن تعيينه كان يجرى من قبل الخليفة [١] .

عين الخليفة الراضى بالله بدر الخرشني [٢] واليا على شرطة بغداد ، لكن الجند الساجية والحجرية عارضوا هذا الاختيار فى البداية ، وما لبثوا أن قبلوا به [٣] بعد ذلك. كما ولي القضاء أبا الحسين عمر بن محمد [٤] . ويبدو أن الخليفة الراضى بالله رغب فى أن يحيى مراسم الخلافة العباسية ، ويتشبه بالسلف من الخلفاء العباسيين . فقد عمد الى تقليد ولديه أبى جعفر وأبى الفضل إمرة المشرق والمغرب . وأرسل بذلك مرسوما الى الولايات الاسلامية [٥] .

لم تكن السياسة وتسيير دفة الحكم هى شغل الخليفة الراضى بالله الشاغل فقط وانما كان يديم مجالسة بعض ندمائه [٦] مثل ابن حمدون

---

(١) السامرائى : المؤسسات ٢٦٨ .
(٢) بدر الخرشنى : من الغلمان الذين أصبحوا قادة وذوى سلطة ، وخلع عليه المتقى وقلد الحجابة . الصابى : الوزراء ١٧٣ ، ابن تغر بردى : النجوم الزاهرة ٣/٢٧٢ .
(٣) ابن مسكويه جـ : تجارب الأمم ٥/٣١٩ .
(٤) الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ٢٨٨ ، ابن الجوزى : المنتظم ٦/٣٠٠ .
(٥) كان ذلك اجراء شكلى ، لأن كثيرا من أجزاء المشرق والمغرب استقلت عن الدولة العباسية ، والبعض يتبعها اسميا ، ويتضح ذلك فى الفصل الخاص بتغلب الولاة على الأقاليم .
(٦) النديم : الذى يرافقه فى مجلس على مأكله ومشربه ، ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى (ت ٧١١هـ) : لسان العرب ١٦/٥٠ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة .

والصولي إلا أنه انقطع مدة عن مجالستهم ، لكثرة شغب الجند المتحكمين الفطليين في الخلافة ، وخشي اتهامه بالانشغال بلذاته عن أمور الدولة.(١) ورغم ذلك فان الأمور لم تستقر له تماماً. فمنذ السنة الأولى لخلافة الراضي بالله ، حاول بعض القواد ، أخذ البيعة لجعفر بن المكتفي في رمضان سنة ٣٢٣ هـ ،(٢) غير أن الوزير ابن مقلة تمكن من كشف ذلك ، حيث تم القبض على جعفر هذا ، ونهبت داره ، وجرت متابعة من بايعه(٣) وحبسهم.

ومن المشاكل التي صادفت الخليفة الراضي بالله منذ توليه ، موقف هارون بن غريب ابن خال الخليفة المقتدر بالله ، الذى كان يؤثر تولي العباس بن المقتدر الخلافة على أخيه الراضي ، لأن الأول تربى في حجره ، بينما تربى الراضي في حجر مؤنس المظفر ،(٤) ولم يكن بين هارون ومؤنس وفاق ومودة.

وقد كان هارون قد ولي ماه الكوفة(٥) وما سبذان(٦) في عهد القاهر، لذا فقد طمع بالخلافة بعد خلع القاهر(٧) لقرابته ، وأخذ يدعو لنفسه. فراسل

---

(١) الصولي : أخبار الراضي والمتقي ، ١٩.
(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ٢٧٦/٦.
(٣) ن.م.س : ٢٧٦/٦ ، ابن كثير: البداية والنهاية ١٨٢/١١.
(٤) الصولي : أخبار الراضي ص ٥.
(٥) ماه الكوفة : سبق التعريف بها عند الحديث عن عصر القاهر.
(٦) ماسبذان : " " " " " " " .
(٧) ابن الأثير : الكامل ٢٤٠/٦ ، ابن كثير: البداية والنهاية ١٧٩/١١.

القواد والأمراء،[١] وأخذ يغريهم بزيادة الأموال ، والأرزاق . في الوقت الذى كانت فيه الخلافة تعانى حينذاك من أزمة مالية . وقد جبى هارون أموال خراسان ، وتعسف وظلم،[٢] فوصلت أخباره وأعماله التعسفية وأطماعه الى الوزير ابن مقلة . ورئيس الحجاب محمد بن ياقوت ، فاجتمعوا مع قادة الجند الساجية والحجرية ، وأبلغوا الأمر الى الخليفة الراضى بالله .[٣]

كتب الخليفة الراضى خطابا الى هرون ، أمره فيه أنه " يقيم فى مكانه ، ولا يتجاوزه الى الحضرة ".[٤] مما يشير الى رغبته فى حل الأمور معه سلمياً ، كما عرض عليه ولاية طريق خراسان ، إضافة الى ما يقوم به من عمل.[٥] غير أن جهود الخليفة الراضى السلمية هذه ، ذهبت أدراج الرياح ، ازاء أطماع هارون بن غريب . الذى تمادى فى جوره ، واحتج على تعيين محمد بن ياقوت حاجباً للخليفة ، زاعماً بأنه أحق بالرياسة منه ، بحجة أنه نسيب المقتدر،[٦] واتجه بقواته الى بغداد مخالفاً جميع محاولات الخليفة لتسوية الأمور معه بالحسنى . وقد أدرك الخليفة الراضى سوء نوايا هارون فأرسل اليه رسالة عاجلة ، حملها ابن شيرزاد كاتب محمد بن ياقوت ،

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٦/ ٢٤٠ ، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ١٧٩ .
(٢) الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ٢٨٧ ، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٤٠ .
(٣) الصولى : أخبار الراضى ٦ ، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٤٠ .
(٤) الصولى : أخبار الراضى ٦ ، ابن الأثير: الكامل ٦/ ٢٤٠ .
(٥) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٤٠ .
(٦) الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ٢٨٧ .

وأمره فيها بالعودة إلى الدينور.[١] كما أعلمه بأنه سيأذن له فى القدوم إلى بغداد، عندما يجد أن الوقت أصبح مناسبا لذلك.[٢] ولكن هارون بن غريب ركب رأسه، واستمر فى سيره بالجند الى بغداد، مما اضطر الخليفة الراضى بالله إلى توجيه ابن ياقوت[٣] على رأس الجند، ليوقف تقدم جيش هارون. واصطدم الفريقان، واشتد القتال بينهما قرب النهروان. وقد انتصر جنود هارون أول الأمر لكثرة عددهم.[٤] فانسحب محمد بن ياقوت نحو قنطرة نهربين[٥] قرب النهروان. ودفع هذا الانتصار هارون الى محاولة الإيقاع بمحمد بن ياقوت وقتله، غير أن الأمور سارت على عكس ماكان يؤمل، إذ جمح به فرسه فوقع فى ساقية قرب القنطرة، مما أتاح الفرصة لمحمد بن ياقوت فقتله.[٧]

وكان ذلك اليوم - الثلاثاء لسبع بقيت من جمادى الآخرة سنة ٣٢٢ هـ (فى مايو ٩٣٤ م) - يوماً مشهوداً فى عاصمة الخلافة، حين

---

(١) الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ٢٨٧.
(٢) الصولى : أخبار الراضى ٦ .
(٣) ن.م.س: ٧ .
(٤) الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ٢٨٧، ابن الأثير: الكامل ٦/ ٢٤٠.
(٥) نهربين : طسوج من سواد بغداد متصل بنهربوق. أنظر: ياقوت : معجم البلدان، ٥/٣١٨، ٣١٩.
(٦) الصولى : أخبار الراضى، ٧.
(٧) ن.م.س: ٧، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٤٠.

دخلت قوات محمد بن ياقوت برأس هارون فخلع الراضي على محمد بن ياقوت الخلع ، وطوقه وسوره مكافأة له على انقاذه الخلافة من هذه المحنة القاسية ، كما كافأ الوزير ابن مقلة لأنه أحسن تدبير الأمور ، وتعاون مع ابن ياقوت في تحقيق ذلك.[1] إلا أن العلاقة بين الوزير ابن مقلة ، وبين محمد بن ياقوت الحاجب ، تدهورت بسرعة نتيجة تسلط محمد بن ياقوت واستبداده بالأمر[2] دون الوزير ، وقد ذكر الصولي ذلك بقوله " وتمزق الأمر بين محمد ياقوت ومحمد بن علي بن مقلة ، واستبد ابن ياقوت بالأمر دونه ، فلا ينفذ شيء في حاضرة الخلافة الا بتوقيعه "،[3] حتى أنه أشرف على الدواوين ، فلم يعد يولي أحد ، أو يعزل الا بارادته.[4] أما الشئون المالية التي هي أصلاً من اختصاص الوزير . فقد استبد محمد بن ياقوت بها ، واعتمد في تدبير شئونه على كاتبه محمد بن أحمد القراريطي.[5] وهكذا لم يعد الوزير كما ذكر الصولي بدأ من أن يظهر " اطباق دواته وترك النظر في شيء البتة ".[6]

---

(١) الصولي : أخبار الراضي ٧.

(٢) ن.م.س : ص ٣١ ، ابن الأثير : الكامل ٢٤٧/٦.

(٣) الصولي : أخبار الراضي ٣١.

(٤) ابن الأثير : الكامل ٢٣٩/٦.

(٥) أبو اسحاق الاسكافي محمد بن أحمد القراريطي ، عمل كاتبا لابن رائق ووزيرا للمتقي ، توفي سنة ٣٥٧ هـ. أنظر : الصفدي : الوافي بالوفيات ، ٣٧/٢.

(٦) الصولي : أخبار الراضي ٣١.

أثار تصرف محمد بن ياقوت هذا ، واستئثاره بالسلطان ، حقد الوزير ابن مقلة ، فسعى به لدى الخليفة الراضي ، الى أن بلغ مراده[١] في إقصاءه عن جميع مناصبه بخدعة دبرها له. وكان ذلك في جمادى الأولى سنة ٣٢٣ هـ (ابريل ٩٣٥ م)[٢] فقد توجه جميع قادة الجند الى مجلس الخليفة على عادتهم ، وحضر الوزير ابن مقلة ،[٣] وأظهر الخليفة الراضي أنه يريد أن يقلد جماعة من القواد أعمالاً ، فحضر محمد بن ياقوت ، ومعه كاتبه (القراريطي) . وحينما استدعى محمد بن ياقوت للتشاور مع الخليفة الراضي أسرع بالدخول عليه فعدل به الخادم الى حجرة في القصر . حيث حبسوه هناك ، ثم استدعوا كاتبه ، وأخذوه إلى حجرة أخرى وحبسوه فيها ، وأرسلوا في طلب المظفر بن ياقوت من بيته ، فلما حضر حبسوه أيضاً[٤] .

وهكذا استرجع ابن مقلة جميع اختصاصات الوزارة ، بعد سجنه لمحمد بن ياقوت وأخيه وحاجبه وابنيه ، ولم يعر اهتماماً كبيراً لارتباط الجند الساجية والحجرية بمحمد بن ياقوت أو موالاتهم له[٥] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٤٧ .
(٢) محمد مختار باشا : التوفيقات الالهامية ص ٣٥٥ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٤٧ .
(٤) ن.م.س : ٦/٢٤٧ .
(٥) الصولي : أخبار الراضي ٦٤ .

استبد الوزير ابن مقلة بالأمور[1] ، واستخلف ابنه أبا الحسين على جميع الدواوين والأعمال ، وصارت مكاتبة جميع الدواوين اليه . يعزل من يشاء ، ويولى من يريد[2] ، واصطنع له كاتباً ماهراً ، هو أبا عبد الله أحمد بن على الكوفى . ولعل ذلك ما يشير الى تحسن فى وضع الوزارة ، واستقرار فى الأحوال الادارية للدولة .

إلا أن ياقوت نفسه كان في فارس ، ولم يعلم بسجن ولديه . فلما بلغه الخبر[3] ، أرسل الي الراضى يستعطفه ، ويطلب منه أن يرسل اليه ولديه محمد والمظفر ، كيما يعيناه فى حروبه فى اقليم فارس[4] .

وقد كان مرداويج بن زياد الديلمى ، قد سبق وأعلن مخالفته للخلافة ، منذ أيام خلافة القاهر ، وكان يسيطر على أجزاء واسعة من الاقليم ، شملت أذربيجان[5] ، وأرمينية[6] ، وقم[7] ، ونهاوند[8] ، وسجستان[9] ،

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٢٤٧/٦ .
(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٣١٩/٥ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ٢٤٧/٦ .
(٤) ابن الجوزى : المنتظم ٢٦٨/٦ ، ابن الأثير : الكامل ٢٤٧/٦ .
(٥) أذربيجان : اقليم واسع غرب بلاد فارس ، أكبر مدنه تبريز . أنظر الخريطة رقم ١ ، وأنظر : ياقوت : معجم البلدان ١٢٨/١ ، شيخ الربوة : نخبة الدهر ١٨٧ .
(٦) أرمينية : اقليم واسع شمال أذربيجان . أنظر الخريطة ١/ ، وأنظر : ياقوت : معجم البلدان ١٥٥/١ ، ١٦١ ، شيخ الربوة : نخبة الدهر ١٨٩ .
(٧) قم : مدينة فى فارس فتحت سنة ٢٣ هـ . أنظر الخريطة ٢/ ، وياقوت : معجم البلدان ٣٩٧/٤ ،
(٨) نهاوند : مدينة عظيمة قرب همذان ، فتحت سنة ٢١ هـ . أنظر الخريطة ٢/ ، وياقوت : معجم البلدان ٣١٣/٥ .
(٩) سجستان : اقليم واسع جنوب هراة . أنظر الخريطة ١/ ، وياقوت : معجم البلدان ١٩٠/٣ .

غير أن خطره عظم في عهد الراضي[١]. حتى أنه مد حدوده إلى أصبهان، وضمها إليه. الا أنه أثار غضبه، أن يستولي علي أبو الحسين بن بويه على شيراز[٢] (قصبة فارس)[٣] وأرسل الى الخليفه الراضي يخبره بأنه على الطاعة، ويضمن ذلك بدفع ثمانية الاف ألف درهم[٤]. ولكنه ما لبث أن ماطل في دفع المال. وأراد ياقوت أن يحمل للقضاء عليه، فرأى أن يستولي على الأهواز[٥]، ليحول بين ابن بويه والسير الى مركز الخلافة. الا أنه خشي من أن يقف مرداويج حائلاً بينه وبين ابن بويه، خاصة وأنه وصل الى قنطرة نهر المسرقان[٦]، فسار إلى الأهواز ومعه كاتبه أبو عبد الله البريدى. لكن مرداويج تمكن من إنزال الهزيمة بياقوت، وتوالت عليه الهزائم، فهزم أيضا أمام بني بويه. وتمكن أبو عبد الله البريدى من خداع ياقوت والتغلب على الأهواز. فقوى شأنه، واستمال اليه عدد كبير من جند ياقوت. وما لبث أن دخل في معركة ضده، انتهت بمقتل ياقوت وهزيمة قواته[٧]. وهذا ما سنفصله فيما بعد في الفصل الخاص بتغلب الولاة على الأقاليم.

---

(١) الذهبي: العبر في خبر من غبر ١٧٨/٢.
(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم ٢٨٠/٥، ابن الأثير: الكامل ٢٣٤/٦.
(٣) ياقوت: معجم البلدان ٢٢٦/٤، وأنظر الخريطة رقم ١.
(٤) ابن مسكويه: تجارب الأمم ٣٠٠/٥، ابن الأثير: الكامل ٢٣٥/٦.
(٥) ابن الأثير: الكامل ٢٣٩/٦.
(٦) نهر المسرقان: نهر بخوزستان (الأهواز). أنظر: ياقوت: معجم البلدان ١٢٥/٥، شيخ الربوة: نخبة الدهر ١٧٩.
(٧) ابن مسكويه: تجارب الأمم ٢٤٧/٥، ابن الأثير: الكامل ٢٥٣/٦.

بادر البريدى الى الاستيلاء على اموال وجواري ياقوت في تستر (١)، وقبض على ابنه المظفر ، وطغى وتجبر ، وقطع الأموال عن الحضرة (٢) ، والراجح أن البريدى قد تعمد اخفاء خططه عن الخلافة ، وأنه كان يسمح بوصول المعلومات التي تخدم خططه وأغراضه. فوصول أخبار مقتل ياقوت مثلاً ، أحدثت اضطراباً كبيراً في العاصمة ، فقد ثارت الجند الحجرية في بغداد وكلهم أنصاره لدى سماعهم بخبر قتله. وينقل لنا الصولى حقيقة ما جرى فيقول " لما ورد قتل ياقوت على الحجرية ، اضطربوا اضطراباً شديداً ، واجتمعوا الى الراضى بالله ، وقالوا أقبضت على ابنه أبى بكر لغير ذنب ، فحبسته ، ثم قبضت على أخيه أبى الفتح ، ثم كتبت الى أن البريدى فى قتله ، فجلس لهم وأحضر القاضى ، وأحضر معه أبا الحسن الهاشمى بن أم شيبان ، وابن عمه عبد الوهاب ، وجلس الراضى لهم ليلا. فدخلوا عليه وهو على كرسي ، فلغطوا . وكان الصغار أشد كلاما ، وأبسط ألسناً من كبارهم وقوادهم. فتركهم حتى تكلموا بكل ما أرادوه ، وأخرجوا مافى أنفسهم ، ثم أقبل عليهم رابط الجأش ، ذرب اللسان ، فكلمهم أحسن كلام ، وقال : ان كان هذا الأمر قد صح عندكم . فعرفونى من أي وجه صح ، لأعرفها كمعرفتكم ؟ وان كان ظناً ، فالظن يخطىء ويصيب ، وانما ظننتم هذا بمجىء أخ البريدى أبى الحسن الى الدار

---

(١) تستر : مدينة باقليم خوزستان (الأهواز) أنظر الخريطة رقم/ ٢ .
وأنظر: ياقوت : معجم البلدان ٢ /٢٩ .

(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ /٣٥٠ .

(٣) الصولى : أخبار الراضى ٥٧ .

هذه الأيام ، وإنما كان يجيء بكتب أخيه ، يشكو معاملة ياقوت ، ثم أخرج فصولاً من كتب ، فدفعها الى القاضي ، فقرأها عليهم. وفيها جوابات من ياقوت الى ابن البريدي ، وقد أنفذها ابن البريدي اليه . ثم قال له : ما قبلت في ابن البريدي . إلا رأى محمد بن ياقوت. والآن فقد وقفتم على الخبر ، وأنا أعزلهم ، وأنفذ الجيوش اليهم ، وأخرج معكم ، ان أردتم. ثم كلمهم القاضي وفرقهم".(1)

نلاحظ في هذا النص الذي نقله لنا شاهد عيان ، معاصراً للأحداث دقيقاً أميناً في نقله . مدى اضطراب البريد من جهة ، وجرأة البريدي المتغلب على الأهواز من جهة أخرى . وفي نفس الوقت يظهر النص مدى تأثير الجند في العاصمة ، وكيف أن الخليفة قد جلس بنفسه للجند الحجرية ، ليبين جهله بما حدث ، واستعداده لتنفيذ كل ما يطلبونه .

واستمر البريدي في حكم الأهواز ، ومنع ارسال الأموال الى العاصمة مما دفع أمير الأمراء ابن رائق لحربه كما سنرى فيما بعد .

وقد أصدر الراضي أمراً بتولية محمد بن طفج الأخشيد على مصر(2) بدلا من أحمد بن كيغلغ(3)، أما الموصل فكانت تحت امرة ناصر الدولة

---

(1) الصولي : أخبار الراضي ٥٨ .
(2) أبو الفدا : المختصر ٢/ ٨٢ ، القرماني : أخبار الدول ١٦٨ .
(3) أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن كيغلغ : تركي الأصل ولد ونشأ ببغداد ووصل الى مرتبة القواد من أمراء العصر العباسي . ولاه القاهر مصر سنة ٣٢١ هـ وعزل سنة ٣٢٣ هـ ، وتولاها محمد بن طفج . لمزيد من التفاصيل أنظر: ابن تغريبردي : النجوم الزاهرة ٣/ ١٠٩ ، ٢٠٦ ، خيرالدين الزركلي : الأعلام ١/ ٨٥ - دار العلم للملايين - بيروت - ط ٥ ١٩٨٠م .

الحسن بن حمدان ، الذي تمكن من قتل عمه أبا العلاء سعيد بن حمدان ،[1] وذلك لأن والده عبدالله بن حمدان - ويكنى أبو الهيجاء - كان أول من تولى الموصل[2] ، في عهد المكتفي (٢٨٩ - ٢٩٥هـ)[3] (٩٠٢ - ٩٠٨م)[4] ثم أقام ببغداد ، وجعل ابنه ناصر الدولة نائبا عنه في الموصل ، وعندما توفى أبو الهيجاء عزل الخليفة ابنه ناصر الدولة عن الموصل (٣١٨هـ/ ٩٣٠م) وولاه ديار ربيعة ونصيبين كما ولى الموصل عمه أبا العلاء بدلاً منه[5] على أن يتحمل أبو العلاء مبلغ الضمان عن الموصل ، وعن المنطقة التى تولاها ناصر الدولة. وعندما توجه أبو العلاء الى ابن أخيه ، ليطلب مال الخليفة[6] ، ودخل دار ناصر الدولة. عمد الأخير الى الخديعة ، فأرسل الى عمه من أخبره بأنه غير موجود في الدار ، وطلب اليه أن ينتظر عودته ، في الوقت نفسه أرسل الى عمه أحد غلمانه فقتله[7] ، ويظهر أن هذه الخيانة ، قد وصلت الى مسامع الخليفة ، الذى أرسل جيشاً بقيادة وزيره ابن مقلة ، فاختفى ناصر الدولة حال وصول ابن مقلة الى الموصل.[8] وأقام ابن مقلة بالموصل طيلة شهر شعبان سنة ٣٢٣ هـ. ثم عاد الى بغداد في شوال من السنة نفسها . وما أن غادر الوزير الموصل ، حتى ظهر ناصر الدولة ، وكتب

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٦/ ٢٤٨ ، أبو الفدا : المختصر ٢/ ٨٣ ، الذهبي : دول الاسلام ١/ ١٩٨ ، ابن خلدون: العبر ٣/ ٢٣١ .
(٢) أبو الفداء : المختصر ٢/ ٨٣ .
(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ١١/ ١٠٤ .
(٤) الخضري : تاريخ الأمم الاسلامية ٣٢٦ .
(٥) ابن الأثير: الكامل ٦/ ٢٠٨ ، ٢٠٩ .
(٦) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٢٣ ، ابن الأثير: الكامل ٦/ ٢٤٨ .
(٧) ابن الأثير : الكامل ، ٦/ ٢٤٨ .
(٨) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٢٤ ، أبو الفدا : المختصر ٢/ ٨٣ .

للخليفة طالبا منه أن يصفح عنه ، مؤكدا استعداده على دفع مبلغ ضمان الموصل ، بمال يحمله الى الحضرة . فوافق الخليفة على ذلك[١].

ونلاحظ في هذه الفترة ظهور بعض الحركات المارقة عن الشريعة الاسلامية ، ولعل ما شجعها على الظهور ، ضعف الدولة ، واستبداد جند الخلافة ، فقد ظهر ببغداد رجل اشتهر بابن العزاقر ، وهو أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني[٢] ، وادعى الألوهية ، ونادى بشريعة خاصة[٣]. وقد اغتر به كثيرون ، وتبعوه ، ومنهم بعض أعيان المجتمع البغدادي مثل الحسين بن القاسم بن عبيد الله[٤] وعلم الخليفة الراضي بأمره ، فأمر باحضاره ، واستجوابه ، فأنكر ما نسب اليه ، ونوظر أمام الفقهاء أكثر من مرة ، غير أنه استطاع التخلص. وأخيراً عثر على أوراق تدل على صدق ما نسب اليه من ادعاء الألوهية ، والقدرة على إحياء الموتى ، وفي تلك

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٢٤ ، أبو الفدا : المختصر ٢ / ٨٣ .

(٢) ابن النديم أبو الفرج محمد بن اسحاق (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) : الفهرست، ٥٠٧ ، دار المعرفة للطباعة ، بيروت ، ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٢٧١ ، أبو الفدا : المختصر ٢ / ٨٠ ، الذهبي : دول الاسلام ١ / ١٩٦ ، الزركلي : الأعلام ٦ / ٢٧٣ ، عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ١١ / ١٦ ، مكتبة المثنى - بيروت ، ودار احياء التراث العربي - بيروت ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م .

(٣) عقيدته " هو أن الله يحل في كل انسان على قدره ، وادعى احياء الموتى " . لمزيد من التفاصيل أنظر : الذهبي : دول الاسلام ١ / ١٩٦ ، ابن العماد أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٣ / ٢٩٣ - المكتب التجاري للطباعة - بيروت ، الزركلي : الأعلام ٦ / ٢٧٣ ، كحالة : معجم المؤلفين ١١ / ١٦ .

(٤) تولى الوزارة في عهد المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ) (٩٠٨-٩٣٢م) أنظر : الخضري : تاريخ الأمم الاسلامية ٣٠٤ .

الأوراق كان أتباعه يخاطبونه بما لا يخاطب به البشر[1]، فأفتى علماء بغداد بإباحة دمه ، فضربت عنقه[2] في ذي القعدة سنة ٣٢٢.

وقد بلغ الوزير ابن مقلة كذلك أن رجلاً آخر يعرف بابن شنبوذ[3]، وهو محمد بن أحمد بن أيوب يغير حروفا من القرآن[4]، فطلب الوزير احضاره ، وأحضر القاضي أبا عمر محمد بن يوسف[5]، وأبو بكر بن مجاهد[6]، ونوقش أمامهم فنسب لهم الجهل وكان قد سافر لطلب العلم ، فأمر الوزير بضربه

---

(١) الذهبي : دول الاسلام ١/ ١٩٦ - ١٩٧.

(٢) المسعودي : التنبيه والاشراف ٣٩٦ ، ابن الجوزي : المنتظم ٦/ ٢٧١ ، الذهبي : دول الاسلام ١/ ١٩٧.

(٣) ترجمة ابن شنبوذ موجودة في : ابن النديم : الفهرست ٤٧ ، ٤٨ ، فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي ١/ ٢٨ ، ترجمة د . محمود فهمي حجازي ، وفهمي أبو الفضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.

(٤) "أي يقرأ بخلاف ما أنزل ، فيلاحظ بعض الزيادات ، فكان يقول : تبت يدا أبي لهب وقد تب ، فأمضوا الى ذكر الله في الجمعة" أنظر : ابن الجوزي : المنتظم ٦/ ٢٧٥ ، ابن الأثير: الكامل ٦/ ٢٤٣ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ٢/ ٣٣٧ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٣/ ٢٤٨.

(٥) هو محمد بن يوسف بن يعقوب الأزدي . ولد بالبصرة سنة ٢٤٣ هـ . ولي القضاء بمدينة المنصور . كانوا يضربون المثل بعقله وحلمه . لمزيد من التفاصيل أنظر: الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٣/ ٤٠١ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٣/ ٢٤٨.

(٦) أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس. أصله من بغداد . ولد سنة ٢٤٥هـ . وهو أول من جمع القراءات السبع ، وجعلها القراءات الصحيحة . توفي في بغداد سنة ٣٢٤ هـ/ ٩٣٦ م . لمزيد من التفاصيل أنظر: ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٤٣ ، الذهبي : العبر في خبر من غبر ٢/ ١٩٥ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٣/ ٢٤٨.

سبع دور ، وأجبر على التوبة ، ونفي الى البصرة[1] وتاب الى رشده وكتب له الوزير محضرا بذلك . وعاد يقرأ بمصحف عثمان بن عفان[2] .

في هذه الفترة الزمنية من عهد الدولة العباسية ، التي نحن بصدد البحث فيها . والتي عمتها الفوضى ، وكثرت فيها الفتن في أمور الدين والدنيا . وعلى الرغم من ظهور بعض من خالف الدين وادعى الألوهية . فقد كانت ردود الفعل على النقيض منها ، وعلى نسق يماثل عنف الانحراف الذي استشرى في المجتمع وقد ظهر في نفس الوقت ، من تشدد في التمسك بالدين من المناهضين لأهل البدع ، وعظم أمر الحنابلة وعلى رأسهم شيخهم بالعراق أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري[3] (٢٣٣ - ٣٢٩هـ/ ٨٤٧ - ٩٤١م) وقد تطوعوا للقيام بالواجب الشرعي ، الذي نص عليه كتاب الله العزيز في قوله تعالى : " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون" ، فعملوا على انفاذ حكم الشارع في المنكرات ، وهكذا أصبحوا يداهمون دور القواد والعامة ، فان وجدوا نبيذاً أراقوه ، وان وجدوا مغنية ضربوها ، وكسروا آلة الغناء[4] . مما دفع خصوم البربهاري الى السعي به لدى الخليفة[5] ، فأمر الخليفة

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٤٣ ، ابن تغربردى : النجوم الزاهرة ٣/ ٢٤٩ .
(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ٣/ ٣١٣ ، ٣١٤ .
(٣) الذهبى : العبر في خبر من غبر ٢/ ١٩٦ ، ابن تغربردى : النجوم الزاهرة ٣/ ٢٧٣ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٣/ ٣١٩ ، ترجمة البربهارى فى الزركلى : الأعلام ٢/ ٢١٦ ، ٢١٧ ، كحالة : معجم المؤلفين ٣/ ٢٥٣ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٤٨ .
(٥) سزكين : تاريخ التراث ٢/ ٢١٣ .

الراضي بالله ابن مقلة أن يقبض على البربهاري الذى استتر[(١)]، فقبض على كبار أصحابه وخرج صاحب الشرطة ، وهو بدر الخرشني ، ونادى بأن لا يجتمع اثنان من الحنابلة ، ولا يناظر الحنابلة في مذهبهم ،" فزاد بذلك تشددهم على الناس"[(٢)] فأصدر الخليفة أمراً ، أعلن على الناس تضمن هجوما على الحنابلة وتنديدا بهم و" بطرائقهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهددهم فيه بالتعذيب ، بل وحتى القتل والتحريق"[(٣)]
" خرج خطاب الراضي ليقرأ على الحنابلة ينكر عليهم فعلهم ، ويوبخهم باعتقاد التشبيه وغيره ، فمنه" تارة انكم تزعمون أن صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين ... والصعود الى السماء ، والنزول الى الدنيا . تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا ، ثم طعنكم على خيار الأئمة ، ونسبتكم شيعة آل محمد صلى الله عليه وسلم الى الكفر والضلال ، ثم استدعاؤكم المسلمين الى الدين بالبدع الظاهرة ، والمذاهب الفاجرة ، التى لا يشهد بها القرآن ، وانكاركم زيارة قبور الأئمة، وتشنيعكم على زوارها بالابتداع ، وأنتم مع ذلك تجتمعون على زيارة قبر رجل من العوام ، ليس بذى شرف ، ولا نسب ولا سبب برسول الله صلى الله عليه وسلم . وتأمرون بزيارته ، وتدعون له معجزات الأنبياء ، وكرامات الأولياء . فلعن الله شيطانا زين لكم هذه المنكرات ، وما أغواه ، وأمير المؤمنين يقسم بالله جهداً إليه ، يلزم الوفاء به ، لئن لم تنتهوا عن

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ١١/ ٢٠١ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢١٨ .
(٣) ن . م . س : ٦/ ٢٤٨ .

مذموم مذهبكم ، ومعوج طريقتكم ، ليوسعنكم ضرباً . وتشريداً ، وقتلا وتهديدا ، ويستعملن السيف فى رقابكم ، والنار فى منازلكم ومحالكم".(١)

وهكذا فقد نجح خصوم الحنابلة فى ايغار صدر الراضي عليهم ، وتشويه صورتهم فى نظره ، والحقيقة أن ماقام به الحنابلة ، ليس إلا من باب الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر . فى زمن زادت فيه المفاسد والبدع ، والبعد عن الدين .

وفى أثناء وزارة ابن مقلة هذه . اشتدت الأزمة المالية لانفصال الأقاليم عن الخلافة ، وقلة الواردات واستمرار معدل النفقات المرتفع على مستواه السابق . مما أدى إلى فراغ الخزينة من الأموال . فشغب الجند أكثر من مرة مطالبين بأرزاقهم .(٢) ففى جمادى الآخرة سنة ٣٢٣هـ/٩٣٥م ، حصل هياج بين الجند بسبب نقص العطاء ، وقصدوا دار الوزير ونقبوها مما اضطر الوزير للهرب . لكن الساجية تدخلوا ، اذ حضروا إلى دار الوزير وطيبوا خاطر الجند ، وردوهم ، وأعادوا الوزير وابنه الى منزلهما . وقد اتهم الوزير أصحاب ابن ياقوت باثارة هذه الفتنة ، وقرر ابعادهم . كما نادى المنادى بألا يقيم أحد منهم بالحضرة .(٣) ولكن الجند عادوا الى الشغب فى شهر ذى الحجة من نفس العام . وقصدوا دار الوزير ثانية ،

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٤٨ .
(٢) ابن الجوزى : المنتظم ٦/٢٧٦ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٥٠ .

غير أن غلطانه منعوهم ، ورموهم بالنشاب من فوق السور ، وردوهم على أعقابهم.[(١)]

كان ابن رائق ضامنا أعمال واسط ، غير أنه استغل اضطراب الأحوال في العاصمة فقطع الحمل[(٢)] عن الخليفة. وقد أرسل اليه الوزير ابن مقلة ، يطالبه بالأموال فأحسن الى الرسل ، ولكنه أرسل الى الخليفة يخبره ، أنه اذا فوضت اليه أمور تدبير الدولة ، فان بامكانه القيام بكل نفقات الخليفة . كما تعهد بدفع أرزاق الجند.[(٣)] غير أن الخليفة الراضى لم يجبه الى مطلبه .

أراد ابن مقلة أن يسير ابنه الى ابن رائق . ولكن الظروف لم تتح له ذلك .[(٤)] فقد شغب الجند الحجرية ، بالتعاون مع المظفر بن ياقوت وجماعته ، وقبضوا على ابن مقلة ، وأخبروا الخليفة بذلك.[(٥)] فاستحسن عملهم، لأنه لم تكن له من السلطة ما يوقف به شغبهم.[(٦)] وأحرق الجند دار الوزير،

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٣٠ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٥٠ .
(٢) القلقشندى : مآثر الأنافة ٢٨٧ ، ابن تغربردى : النجوم الزاهرة ٣ /٢٥٧ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٥٠ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٥١ ، أبو الفدا : المختصر ٢ / ٨٣ .
(٥) الصولى : أخبار الراضي ٨١ .
(٦) الصولى : أخبار الراضي ٨١ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٣ / ٣٠٠ .

وطالبوا الخليفة بتعيين وزير آخر . بعد أن قبضوا على الوزير ، وأحرقوا داره ، فخشي أنه لو اختار من لا يرغبون به ، فسيقبضون عليه . فالأفضل أن يترك لهم حرية الاختيار . فأشاروا عليه باستيزار على بن عيسى (١) ، غير أن الأخير رفض قبول الوزارة لكبر سنه وضعفه . وأشار بأخيه عبد الرحمن بن عيسى (٢) .

وقد تولى عبد الرحمن بن عيسى الوزارة في الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ٣٢٤ هـ (٣) / مارس سنة ٩٣٦ م (٤) حيث سلم اليه الوزير السابق ابن مقلة بعد أن ضرب ضرباً مبرحاً ، وصودر على مليون دينار ، منها أربعمائة ألف دينار معجلة (٥) ، غير أنه لم يدفع شيئا ، وقد طالب الخليفة على بن عيسى وأخيه الوزير عبد الرحمن بن عيسى بتحصيل الأموال التى لم تدفع . ولكن سوء الأحوال دفعت عبد الرحمن بن عيسى الى أن يستعفى من الوزارة (٦) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٥١ .

(٢) الصولى : أخبار الراضي ٨١ ، ابن العمرانى : الأنباء في تاريخ الخلفاء ١٦٧ ، القلقشندى : مآثر الأناقة ٢٨٧ ، السامرائى : المؤسسات الادارية ١٨٩ .

(٣) السامرائى : المؤسسات ١٨٩ ، زامباور : معجم الأنساب ٨ .

(٤) محمد مختار باشا : التوفيقات الالهامية ٣٥٦ .

(٥) الصولى : أخبار الراضي ٨٢ ، ٨٣ .

(٦) الصولى : أخبار الراضي ٨٤ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٥١ .

- ولم يستمر ، وكانت مدة وزارته خمسين يوما .

وقلد الخليفة الراضي بالله الوزارة أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي[(1)]. الذى بادر الى مصادرة سلفه الوزير عبد الرحمن بن عيسى على مائة ألف دينار.[(2)] وعجز الكرخي عن القيام بأعباء الوزارة. إذ اشتدت الأزمة المالية. فقد قطع ابن رائق الحمل من واسط، والبريديون من الأهواز، وتغلب على بن بويه على فارس. ومحمد بن الياس على كرمان.[(3)] وزادت المطالب والأعباء على الوزير، الذى لم يتمكن من الاستمرار بمباشرة، أو تحمل أعباء الدولة، فاستتر بعد ثلاثة أشهر من تولية الوزارة. وكان ذلك فى الثامن من شهر شوال[(4)] سنة ٣٢٤ هـ مما جعل الراضي يستوزر سليمان بن الحسن بن مخلد.[(5)]

هذا التبديل السريع فى الوزراء، ومصادرة أموالهم عند عزلهم، لم يؤد إلى حل الأزمة المالية المستحكمة التى كانت تقاسي منها عاصمة الخلافة. وقد ظلت الأزمة المالية قائمة طيلة وزارة سليمان بن الحسن

---

(١) الصولى : أخبار الراضي ٨٤.
(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٢٣٨، الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ٣٠٣.
(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٣٥٠.
(٤) الصولى : أخبار الراضي ٨٥، الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ٣٠٣.
(٥) سليمان بن الحسن بن مخلد : سبق وأن تولى الوزارة فى عهد المقتدر سنة ٣١٩ هـ. أنظر ابن الجوزى : المنتظم ٦/٢٨١، ابن الطقطقى : الفخرى ٢٨١، ابن تغربردى : النجوم الزاهرة ٣/٢٥٧، السيوطى : تاريخ الخلفاء ٢٤٢، الخضرى : تاريخ الأمم ٢٩٤، السامرائى : المؤسسات ٧٦، فاروق عمر : الخلافة العباسية ١٢٣.

مما اضطر الراضي الى أن يعرض إمرة الأمراء على ابن رائق [1]، الذى سبق له أن أبدى استعداده لتحمل كل نفقات الخلافة ، وأرزاق الجند فى مقابل ذلك العرض . وقد سر ابن رائق ، حينما أرسل الخليفة الجند الساجية ، ومعهم أمر الراضي بتقليده امرة الجيش [2]، وهكذا أصبح أبو بكر محمد بن رائق أمير الأمراء ، وقد تولى إضافة اليها أمر الخراج والدواوين كما خطب له على المنابر بعد الخليفة . وتوجه اليه أصحاب الدواوين والكتاب والحجاب . إلا أن الجند الحجرية لم يتوجهوا اليه [3]. وكان ابن رائق قد أقدم على الغدر بالجند الساجية ، وصادر أموالهم ، وقتل أمراءهم ، وجل رجالهم [4]، فخاف الحجرية أن تدور الدائرة عليهم ، فلجأوا الى الخليفة ، وأصروا على الاقامة بجانب دار الخلافة ، فى مخيم أقاموه لهذا الغرض . وقد وصل ابن رائق الى بغداد ومرفقته قائده بجكم [5]. وسيطر على الأمور فى العاصمة ، وهكذا فقدت الوزارة والدواوين أهميتها . وأصبحت الأموال ترسل الى ابن رائق [6]. ولم يعد لبيت المال أهمية تذكر .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٥٤ ، ابن الطقطقى : الفخرى ٢٨٢ ، الذهبى : العبر في خبر من غبر ٢ / ٢٠٠ ، القلقشندى : مآثر الانافه ٢ / ٢٨٧ ، الخضرى : تاريخ الأمم ٣٦٢ ، السامرائى : المؤسسات ٧٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٥٤ ، ابن الطقطقى : الفخرى ٢٨٢ ، عبد الفتاح السرنجاوى : النزعات الاستقلالية فى الخلافة العباسية ١١٤ ، الناشر دار الكتب الأهلية - القاهرة ١٩٤٥ م . ط٤ ، مطبعة عطايا .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٥٤ ، ابن الطقطقى : الفخرى ٢٨٢ ، أبو الفدا : المختصر ٢ / ٨٤ ، السرنجاوى : النزعات الاستقلالية ١١٤ .

(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٥١ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٥٤ ، العصامى : عبد الملك بن حسين (ت ١١١١ هـ) سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى ٣ / ٣٦٢ ، المطبعة السلفية - القاهرة .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ٦ / ٢٨٩ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٥٦ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٥٥ ، القرمانى : أخبار الدول ١٦٨ ، العصامى : سمط النجوم العوالى ٣ / ٣٦٢ .

وهكذا أصبح ابن رائق المتصرف الفعلى فى أمور الدولة . ولم يعد للراضى بالله سوى اسم الخلافة والخطبة . واختار ابن رائق الفضل بن جعفر بن الفرات لمنصب الوزارة . فاستدعاه الراضى وولاه الوزارة .(١) الا أن نفوذه لم يتعد حدود العاصمة . اذ أن ولايات الدولة ، كانت فى أيدى المتغلبين عليها . فخوزستان (الأهواز) فى يد أبى عبدالله البريدى ،(٢) وفارس تحت حكم عماد الدولة بن بويه ،(٣) وكرمان فى يد أبى على محمد بن الياس ،(٤) والرى وأصبهان والجبل يتنافس عليها كل من ركن الدولة بن بويه ، ووشمكير أخو مرداويج بن زيار الديلمى ،(٥) وخراسان وما وراء النهر فى يد نصر بن أحمد السامانى ،(٦) وطبرستان وجرجان فى يد الديلم ،(٧) والبحرين واليمامة فى يد طاهر القرمطى .(٨) والموصل وديار بكر ومضر وربيعة فى يد بنى حمدان(٩)

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٢٨٩ ، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٥٦ .
 ـ كان الفضل بن جعفر يتولى خراج مصر .
(٢) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٥٥ ، القرمانى : أخبار الدول ١٦٨ ، العصامى : سمط النجوم ٣/ ٣٦٢ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٥٥ ، القرمانى : أخبار الدول ١٦٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٣/ ٣٠٥ ، العصامى : سمط النجوم العوالى ٣/ ٣٦٢ .
(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٥٢ ، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٥٥ .
(٥) أبو الفدا : المختصر ٢/ ٨٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١١/ ١٨٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٣/ ٣٠٥ .
(٦) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٥٥ ، أبو الفدا : المختصر ٢/ ٨٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٣/ ٣٠٥ .
(٧) ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٢٨٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١١/ ١٨٤ ، القرمانى : أخبار الدول ١٦٨ .
(٨) ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٢٨٨ ، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٥٥ .
(٩) ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٢٨٨ ، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٥٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١١/ ١٨٤ .

ومصر والشام فى يد محمد بن طفج [١]، والمغرب وافريقية فى يد أبى القاسم القائم بأمر الله بن المهدى العلوى. [٢] والأندلس فى يد عبد الرحمن بن محمد الملقب الناصر. [٣]

وكان هؤلاء المتغلبون يحاول كل منهم، توسيع نطاق نفوذه. فقد حاول معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه التوجه الى كرمان [٤]، للاستيلاء على بعض مدنها، ولكنه بذل جهدا كبيرا دون جدوى، فأمامه محمد بن الياس واليا من قبل نصر بن أحمد السامانى صاحب خراسان، وعلى بن زنجى المعروف بعلى كلويه [٥] رئيس القفص والبلوص [٦].

فعمل ابن بويه على القضاء على كل منهما على حده، وقد تغلب أولا على محمد بن الياس، ثم تفرغ للقضاء على علي كلويه. ولكنه لم يتقدم

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم ٦/٢٨٨، ابن الأثير: الكامل ٦/٢٥٥، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/١٨٤. القرمانى: أخبار الدول ١٦٨، كرد على: الاسلام والحضارة العربية ٤٤٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. ط ٣ سنة ١٩٦٨م - القاهرة.
(٢) ابن الجوزى: المنتظم ٦/٢٨٨، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/١٨٤.
(٣) ابن الجوزي: المنتظم ٦/٢٨٨، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/١٨٤، القرماني: أخبار الدول ١٦٨،
(٤) ابن الأثير: الكامل ٦/٢٥٥.
(٥) ابن الأثير: الكامل ٦/٢٥٥.
(٦) القفص والبلوص: بلاد واسعة بين فارس وكرمان. أنظر الخريطة رقم/١، وأنظر: ياقوت: معجم البلدان ٤/٤٩١.
- وكان على كلوية وأسلافه مسيطرين على تلك الناحية.

كثيرا فى الفتوحات ، اذ أمره أخوه عماد الدولة بالتوقف والعودة للإستقرار فى أصطخر.(١)

أما ابن رائق فكان ذا تأثير كبير على الخليفة الراضى ، فقد نصحه بالسير الى واسط لمحاربة أبى عبد الله البريدى ،(٢) فخالف الجند الحجرية هذا الأمر ، لخشيتهم من غدر ابن رائق . وأن تكون تلك الرحلة حيلة قصد منها القضاء عليهم. ولكن ابن رائق لم يهتم لمخالفتهم ، بل سار هو والراضى متوجهين نحو واسط ، وذلك أن أبا عبد الله البريدى،(٣) كان قد منع ارسال الأموال الى بغداد . وقد لحق بعض الحجرية بابن رائق والخليفة ، فحدث ماتوقعوه ، إذ قتل جماعة منهم ، ونهبت دورهم فى بغداد باشراف صاحب الشرطة لؤلؤ ، وصودرت أموالهم وأملاكهم ، وقطعت أرزاقهم. أما الخليفة الراضى فقد تابع مسيره بقواته متوجها نحو الأهواز وبصحبته ابن رائق . حيث طلب من البريدى أن يتعهد بدفع الأموال المطلوبة. فوافق البريدى على أن يدفع ثلاثمائة وستين ألف دينار مقسطة(٤) ، كما وافق على أن يسلم وقيادة الجند الى من يعينه الخليفة ، وقد تم الاتفاق على ذلك غير أن البريدى لم ينفذ شيئا من هذا الاتفاق ، بل حاول الاستيلاء على البصرة(٥) ، وأقام جنده بحصن مهدى

---

(١) اصطخر : مدينة من أهم وأقدم مدن اقليم فارس . أنظر الخريطة رقم/ ٢ ، ولمزيد من التفاصيل أنظر: ياقوت : معجم البلدان ١ / ٢١١ .
(٢) ابن الأثير: الكامل ٦ / ٢٥٧ .
(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٥٧ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٥٧ .
(٤) ابن الأثير: الكامل ٦ / ٢٥٧ ، ابن كثير: البداية والنهاية ١١ / ١٨٧ .
(٥) ابن الأثير: الكامل ٦ / ٢٥٩ .

بقيادة غلامه اقبال[١] ، ومما زاد تأزم الأوضاع استغلال البريدى للظروف الصعبة ، التي يمر بها الجند الحجرية ، والعداء المستحكم بينهم وبين ابن رائق ، فعمل على ضمهم إلى جيشه[٢] واعتذر البريدى لابن رائق بأنه لم يفعل ذلك الا خوفاً منهم ، وبأنهم قد منعوه من حمل الأموال الى مقر الخلافة. أما تحركه لحصن مهدى ، وتوجهه نحو البصرة ، فقد تذرع بأن ذلك انما كان بقصد حماية أهل البصرة من خطر القرامطة ، بحجة أن محمد بن يزداد - والى البصرة من قبل ابن رائق - غير قادر على حمايتهم[٣].

وقد تمكن رجال البريدى بقيادة غلامه اقبال من دخول البصرة ، حيث انهزم ابن يزداد وتراجع الى الكوفة[٤].

أثارت هذه الاجراءات والتصرفات غضب ابن رائق ، فاستدعي بدر الخرشنى ، وأحضر بجكم[٥] ، وخلع عليهما ووجههما لمحاربة البريدي في البصرة الذى أرسل لهما جيشا يرأسه غلامه محمد المعروف بالحمال[٦]. ودارت رحى الحرب بين الطرفين عند السوس ، لتوغل بجكم فيها ،

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٣٦٥ ، ابن الأثير: الكامل ٦/٢٥٦.
(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٣٦٥ ، ابن الأثير: الكامل ٦/٢٥٩.
(٣) ابن مسكويه : ٥/٣٦٨ ، ٣٦٩.
(٤) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٥٩.
(٥) بجكم التركى من قواد الجيش الأتراك ، تولى امرة الأمراء بعد ابن رائق توفى سنة ٣٢٩ هـ . أنظر:
ابن الجوزى : المنتظم ٦/٣٢٠-٣٢٢ ، ابن الأثير: الكامل ٦/٢٧٩.
(٦) ابن الأثير: الكامل ٦/٢٦٠.

مما اضطر جيش البريدى الذى يرأسه الجمال الى التوجه اليه هناك . وقد هزم رجال البريدى [١] على كثرتهم ، وتمكن بجكم من الاستيلاء على الأهواز. [٢] كما أرسل البريدى غلامه اقبال الى مطارا [٣] ، لمواجهة أصحاب ابن رائق هناك ، فتمكن من انزال الهزيمة بالرائقية ، وعاد بدر الخرشنى الى واسط. [٤]

أرسل محمد بن رائق جيشا آخر ، وقسمه قسمين برا وبحرا [٥] ، فانهزم الرائقية الذين على البر أما الذين فى الماء فقد قام أهل البصرة بالتصدى لهم ، الى أن أجلوهم ، وقد هرب البريدى الى جزيرة أوال [٦] - خوفاً على نفسه من أن تدور عليه الدوائر - بعد أن ترك أخاه أبا الحسين على البصرة وتوجه هو الى عماد الدولة بن بويه ، ليستجير به ، ويبين له ما تعانيه الخلافة من ضعف ، فى محاولة منه لاغرائه - كما يظهر - للوقوف إلى جانبه فى تصفية الأمور لمصلحتهما . فعزم ابن رائق على الخروج بنفسه لقتال البريدى . وأرسل الى بجكم ليلحق به الى البصرة [٧] ، وتقدم وقاتل

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٧١ ، أبو الفدا : المختصر ٢ / ٨٥ .
(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٧١ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٦٠ ، أبو الفدا : المختصر ٢ / ٨٥ .
(٣) مطارا : من قرى البصرة ، على ضفة دجلة والفرات فى ملتقاهما بين المذار والبصرة . أنظر : ياقوت : معجم البلدان ٥ / ١٤٧ .
(٤) الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ٣١٠ .
(٥) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٧٢ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٦٠ .
(٦) أوال : جزيرة فى الخليج العربى ناحية البحرين . أنظر الخريطة رقم / ١ . وأنظر : ياقوت : معجم البلدان ١ / ٢٧٤ .
(٧) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٧٢ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٦٠ .

معه ، الا أن أهل البصرة اشتدوا فى قتال ابن رائق ، وشتموه . مما اضطره الى العودة ثانية من حيث أتى ، فى حين كان أبو عبد الله البريدى قد ترك ولديه أبا الحسن محمد وأبا جعفر الفياض رهينة عند عماد الدولة بن بويه.[(١)] وتوجه نحو الأهواز برفقة معز الدولة بن بويه[(٢)] ، فعلم أمير الأمراء بوصول البريدى وابن بويه الى أرجان.[(٣)] فأرسل بجكم لصدهم لكن هذا امتنع عن المسير شريطة أن يكون له الحرب والخراج.[(٤)] فوافق ابن رائق على ذلك . غير أن بجكم هزم بسبب الأمطار ، فتراجع منكسرا الى الأهواز ، ومنها الى واسط.[(٥)] وقد طلب من ابن رائق أموالاً ليصرفها على جنده يدفعهم لمتابعة القتال ، وقد حاول البريدى الاستيلاء على الأهواز.[(٦)] وعزم على أن يغدر بمعز الدولة ، كما سبق أن غدر بياقوت غير أن معز الدولة أحبط خططه ، فكتب الى أخيه عماد الدولة ، يطلب منه نجدة ، تساعده على التوسع فى المنطقة . اذ أنه لم يضم اليه سوى عسكر مكرم. فلبى أخوه طلبه ، وأرسل اليه جيشا قويا وتمكن بمساندته

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٦/ ٢٦٠ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٣/ ٣٠٦ .
(٢) الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى . ٣١ ، ابن الأثير: الكامل ٦/ ٢٦٠ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٤٠٤ .
(٣) أرجان : مدينة كبيرة بين شيراز والأهواز . أنظر الخريطة رقم / ٢ ، وأنظر: ياقوت : معجم البلدان ١/ ١٤٣ .
(٤) الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى . ٣١ ، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٦٠ .
(٥) ابن الأثير: الكامل ٦/ ٢٦٣ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٤٠٤ .
(٦) ابن الأثير: الكامل ٦/ ٢٦٣ ، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ١٨٩ .

من احتلال بقية الأهواز[١]، وقد هرب البريدى عائدا الى البصرة ، خوفاً على مكانته بين جنده اذ أن ابن بويه طلب عسكره الذين بالبصرة ، ليوجههم لمساعدة أخيه ركن الدولة فى حربه مع وشمكير بأصبهان[٢] ثم طالبه أيضا بعسكره الذين كانوا بحصن مهدى . ليوجههم الى واسط[٣] فشك البريدى فى الأمر ، وخشى أن يعزل عن رجاله ، خاصة وأن الديلم لا يحترمونه كثيرا . فهرب الى البصرة[٤] . وهكذا أصبح معز الدولة يحكم الأهواز ، والبريدى البصرة . بينما استقر بجكم فى واسط[٥] .

أقدم ابن رائق على مراسلة البريدى لمصالحته كى يتعاونا معا خوفا من أن يقوى شأن بجكم[٦] . وقد علم بجكم بذلك ، فرأى أن يقضى على البريدى أولاً . وقد تمكن فعلاً من أن يهزم البريدى ، ولكنه ما لبث أن عاد الى مصالحته ثم مصاهرته كما قام بتوليته مدينة واسط[٧] . وأخذ

---

(١) أبو الفدا : المختصر ٢/٨٥ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٦٣ ، ابن خلدون : العبر ٣/٤٠٤ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٦٣ ، ابن خلدون : العبر ٣/٤٠٤، ٤٠٥ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٦٤ .
(٥) ن.م.س : ٦/٢٦٤ .
(٦) ن.م.س : ٦/٢٦٥ .
(٧) ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٥/٣٨٥ ، ابن الأثير : الكامل ٦/٢٦٥ .

الاثنان يخططان للقضاء على ابن رائق ، في الوقت الذى تولى فيه ابن مقلة منصب الوزارة ، بسبب عجز ابن الفرات[١] عن حل الأزمة المالية في الدولة وتركه الوزارة ثم مسيره الى الشام. وقد كان ابن رائق يستبد بالأمور دون الوزير ابن مقلة. كما أنه صادر له أملاكه وأملاك ابنه ، لكراهيته له ، ولعلمه بأنه يسعى به لراضى. أثارت تصرفات ابن رائق هذه حقد ابن مقلة عليه ، فأرسل الى بجكم يطلب منه المجىء الى بغداد[٢]، للقضاء على ابن رائق ، ويعده بمساعدته في تحقيق هذا الأمر ، وقد حاول الوزير ابن مقلة اقناع الخليفة الراضى بجدوى ذلك. الا أن ابن رائق علم بالخبر ، فأسرع باعتقال الوزير باسم الخليفة ، وأمر بسجنه. حيث قطعت يده ثم لسانه[٣].

أعيد أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات الى منصب الوزارة بعد أن كان مستترا ووضع عبد الله بن النقرى[٤] نائبا عنه ببغداد. وفي أثناء ذلك كان بجكم يسير متوجها الى بغداد يدفعه علمه بضعف الخلافة وطمعه في منصب امرة الأمراء. وقد تمكن من دخول بغداد في الثالث عشر

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٦٥ ، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/١٨٨.
(٢) ابن العمرانى : الانباء في تاريخ الخلفاء ١٦٣ ، ابن الأثير: الكامل ٦/٢٦٥.
(٣) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٦٩ ، أبو الفدا : المختصر ٢/٨٥ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٣/٣٠٧ ، العصامى : سمط النجوم العوالى ، ٣/٣٦٢.
(٤) ابن الجوزى : المنتظم ٦/٢٨٩ ، ابن الأثير: الكامل ٦/٢٧٠ ، زامباور ادوارد نون : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامى ، مطبعة جامعة فؤاد - القاهرة - ١٩٥١م.

من ذى القعدة سنة ٣٢٦ هـ / سبتمبر سنة ٩٣٨ م. حيث تولى منصب أمير الأمراء[١] بدلا من ابن رائق الذى استتر عندما علم بالأمر. وقد توجه الخليفة الراضى بالله بعد ذلك يرافقه أمير الأمراء بجكم الى الموصل لمحاربة ناصر الدولة بن حمدان[٢]، الذى كان قد ماطل فى ارسال الأموال المستحقة عليه الى بيت المال فى بغداد. وفى الطريق تخلف الراضى بالله[٣] فى مدينة تكريت[٤]. بعد أن وجه قائد جيشه أمير الأمراء بجكم لمعاقبة ناصر الدولة. وقد تمكن بجكم من السيطرة على الموصل، ودحر قوات[٥] ابن حمدان، الذى طلب الصلح[٦] على أن يدفع خمسمائة ألف درهم معجلة، فوافق الراضى على ذلك خاصة وأن بيت المال كان بحاجة ماسة الى تلك الأموال.

عندما عاد بجكم والخليفة الراضى الى بغداد[٧]، كان ابن رائق قد خرج منها - خلال انشغال الخليفة وبجكم فى معالجة مشكلة ابن حمدان بالموصل - ثم توجه الى الشام، وتمكن من التغلب على أبى نصر بن طغج الأخشيدى[٨]، وبذا أصبحت الشام تحت سيطرة محمد بن رائق، وقد اختار

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٩٣، ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٢٨٨، أبو الفدا : المختصر ٢/ ٨٦، ابن العماد : شذرات الذهب ٣/ ٣٠٧.
(٢) ابن العمرانى : الانباء فى تاريخ الخلفاء ١٦٤، ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٢٩٦، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٦٩.
(٣) ابن العمرانى : الأنباء فى تاريخ الخلفاء ١٦٤.
(٤) تكريت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل غربى دجلة . أنظر الخريطة رقم/ ٣. وأنظر أيضا : ياقوت : معجم البلدان ٢/ ٣٨.
(٥) ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٢٩٦.
(٦) ابن العمرانى : الانباء ١٦٤، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٦٩.
(٧) ابن كثير : البداية والنهاية ١١/ ١٨٩.
(٨) ن.م.س : ١١/ ١٨٩.

الراضى أبا عبد الله البريدى[1] وزيرا له ، لكن الوزير البريدى ظل فى واسط وأناب عنه فى بغداد عبد الله بن على النقرى[2]. نائب الوزير السابق ، وكان أبو عبد الله البريدى يريد دخول بغداد ، ولكنه حبذ أن يدخلها بعد أن يبعد بجكم عنها ، ليتمكن هو من الاستيلاء عليها ، لذا فقد أشار على بجكم بأن يبادر الى المسير نحو بلاد الجبل لفتحها . وأعلمه بأنه هو أيضا سيتولى استعادة الأهواز من ابن بويه . الا أن الذى حدث أن بجكم تحرك نحو بلاد الجبل ، أما البريدى فلم يحاول التحرك حسب الإتفاق ، رغم أن بجكم أرسل له معونة من الجند وعددهم خمسمائة[3]. وانما كان ينتظر أن تدور الدوائر على بجكم ، ويتم القضاء عليه أثناء سيره الى بلاد الجبل . ثم يتوجه هو لبغداد فيتمكن منها ولكن الخبر وصل إلى بجكم عن طريق صاحبه أبى زكريا السوسى . فعاد مسرعاً إلى بغداد ليتولى تأديب البريدى . فعزل البريدى عن الوزارة ، وولاها سليمان بن الحسن بن مخلد[4] وتجهز للزحف الى واسط ، ووجه جنده برا الى واسط ، بينما توجه هو على الطاء ، فما كان من البريدى الا أنه فر من واسط الى البصرة[5] ، مما سهل مهمة بجكم الذى استولى على واسط . وفى هذه الفترة توفي الراضي ، وكان لبجكم دور فى اختيار خلفه المتقى لله .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٧٠ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٣/ ٣٠٨ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٧٠ .
(٣) ن . م . س : ٦ / ٢٧٣ .
(٤) ن . م . س : ٦ / ٢٧٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١١ / ١٩١ .
(٥) ن . م . س : ٦ / ٢٧٣ .

أخلاقه وصفاته

(٢) أخلاقه وصفاتـــه

كان أبو العباس محمد بن المقتدر قصير القامة [١] أسمر رقيق السمـرة [٢]، نحيفا [٣]، خفيف العارضين [٤]، أسود الشعر [٥]، فى وجهه طول [٦]، وكـان فطناً ذكيا [٧]، كما وصفه مؤدبه الصولى [٨]، الذى لاحظ ذلك منذ أول لقـاء بينهما، عندما انتدب لتعليمه، وأخاه هارون. وقد اكتشف حاجتهمـا

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ٦/٢٦٥، ابن كثير : البداية والنهاية ١١/١٩٦.
(٢) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٧٧، ابن كثير : البداية والنهاية ١١/١٩٦.
(٣) الذهبى : العبر فى خبر من غبر ٢٦٨، ابن كثير : البداية والنهاية ١١/١٩٦، الديار بكرى : حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٨٣ هـ ١٥٨٢م) : تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس ٢/٣٥١، مؤسســة شعبان للنشر والتوزيع . بيروت ١٣٨٣ هـ.
(٤) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٧٧.
(٥) ابن الجوزى : المنتظم ٦/٢٦٥، ابن كثير : البداية والنهاية ١١/١٩٦.
(٦) ابن الجوزى : المنتظم ٦/٢٦٥، الذهبى : العبر فى خبر من غـبر ٢١٨، ابن العماد : شذرات الذهب ٣/٣٢٤.
(٧) الصولى : أخبار الراضي والمتقى ٢٤، ٢٥.
(٨) قال الصولى : انه رسم لتأديب الراضي وهارون أيضا أبا عبد الله محمد بن العباس اليزيدى . أنظر : أخبار الراضي والمتقى ٨، ٩.
أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبى محمد اليزيـدى النحوى . كان إماماً فى النحو والأدب ونقل النوادر وكلام العرب. لـه تصانيف من ذلك كتاب الخيل. وكان قد استدعى فى آخر عمره الى تعليم أولاد المقتدر بالله فلزمهم، وتوفى ليلة الأحد لاثنتى عشر ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ٣١٠ هـ وعمره اثنتان وثمانون سنة وثلاثة أشهـر
- لمزيد من التفاصيل أنظر :
ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤/٣٣٧، ٣٣٨.

الى العلوم ، فسعى الى تزويدهما بها ، ويبدو أن الراضي بالله كان أحرص من أخيه[١] هارون على تحصيل الأدب . وقد أثرى الصولي خزانتهما بكتب الفقه والشعر واللغة والأخبار[٢] . كما تنافس الأخوان في اقتناء الكتب ، ودراسة الأخبار والشعر.

بدأ الصولي بتدريسهما الحديث . فأحضر لهما أعلم أهل الاسناد في عصره وهو أبو القاسم ابن بنت منيع ،[٣] الذى وصف بأنه أفضل أهل زمانه.[٤] ودرس الراضي بالله بعض كتب اللغة على الصولي ، منها كتاب خلق الانسان للأصمعي[٥] . والطريف أنه حينما لاحظ بعض الموكلين بخدمة الراضي بالله انكبابه وأخوه هارون على الدرس والمطالعة . فانهم لم يقدروا

----

(١) الصولي : أخبار الراضي والمتقي ٢٤ ، ٢٥ .
(٢) ن.م.ص : ٢٤ ، ٢٥ .
(٣) أبو القاسم : عبدالله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ، ويعرف بابن بنت منيع . ولد سنة أربع عشرة ومائتين . وتوفي سنة سبع عشرة وثلثمائة . وله من الكتب : كتاب المعجم الكبير ، وكتاب المعجم الصغير وكتاب المسند ، وكتاب السنن على مذاهب الفقهاء .
لمزيد من التفاصيل أنظر :
ابن النديم : الفهرست ١/٣٥ .
(٤) الصولي : أخبار الراضي ٢٥ .
(٥) عبدالملك الأصمعي : (١٢٢ - ٢١٦ هـ / ٧٤٠ - ٨٣١ م) أديب لغوي نحوي . اخباري . محدث فقيه . ومن أهل البصرة . قدم بغداد في أيام هارون الرشيد ، وتوفي بالبصرة ، من تصانيفه كتاب اللغات عن ترجمته . أنظر :
ابن النديم : الفهرست ، ١/٨٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٧/١٧٠ - ١٧٦ ، كحالة : معجم المؤلفين ٦/١٨٧ .

قيمة ذلك بل شكو الأمر الى والدهما الخليفة المقتدر بالله وجدتهما السيدة شغب أم المقتدر ، ونقلوا اليهما بأن الصولى يعلم ولديهما أشياء ليسا بحاجة اليها ، فطلب الخليفة المقتدر من نصر الحاجب (١) أن يتحرى حقيقة الأمر. لما كان يتميز به من رجاحة العقل ، فنظر نصر في الكتب ، التي كانا يدرسانها ، فعرف أنها كتب في علوم اللغة والفقه . فأقرّ الأمر (٢) ، وقام بتوضيحه للخليفة المقتدر.

أما جدتهما السيدة أم المقتدر ، فقد تصرفت بطريقة أخرى أكثر اثارة وغرابة ، اذ حضر بعض خدمها الى الراضي ، وهو يقرأ شعر بشار بن برد بين يدي الصولي (٣) ، وكان بين يديه كتب لغة وأخبار فجمعوها وذهبوا بالكتب إليها ، وبعد أن اطلعت عليها ، ردوها آخر النهار. فقال لهم الراضي : " قولوا لمن أمركم بهذا ، قد رأيتم هذه الكتب ، وانما هي حديث وفقه وشعر ولغة ، وأخبار وكتب العلماء . ومن كمله الله بالنظر في مثلها ، وينفعه بها ، وليست من كتبكم التي تبالغون فيها . مثل عجائب البحر ، وحديث سندباد

---

(١) أبو القاسم نصر القشوري : من أشهر حجاب دار الخلافة العباسية أيام المقتدر . أنظر : الصابى : رسوم دار الخلافة ١٢ .

(٢) الصولى : أخبار الراضي والمتقي ٢٥ .

(٣) ن . م . س : ٢٥ .

والسنور والفأر ".[1]

وعليه فانه بالامكان القول بأن الخليفة المقتدر بالله ، اهتم بتنمية ثقافة الراضى بالله على يد مؤدبيه فى أكثر من جانب . وكان فى ذلك اعداد له كي يتولى منصب الخلافة بجدارة . وليجعله في منأى عن تأثير الخرافات . والأساطير ، والقصص الشعبى . الذى كان منتشرا وضاربا أطنابه ، وحديث كل مكان حتى دار الخلافة نفسها .

رغب الصولى فى أن يظهر لعلماء ذلك العصر ، مدى نجاحه فى تأديب الراضى ، وما بلغه الأخير من علم وفضل . فدفع الراضى لأن يجتمع بالحسين بن اسماعيل المحاملي[2] ، القاضي والمحدث الحافظ ، ونصحه بأن يقبل عليه . ويبدو أن الصولي قد قصد أن يسمع الحاشية الثناء على شخصه ، من مثل ذلك العالم الجليل . وقد تم اللقاء فى مجلس علم فى قصر السيدة والدة الخليفة المقتدر ، حيث تبسط المحاملي في مذاكرة الراضي ، الى أن قال لأبى بكر الخرقي ، وكان حاضراً المجلس مشيدا بما وصل اليه الراضى ، ومباركاً جهود الصولى " ما رأيت فى أهل هذا البيت شيخاً ولا كهلاً ولا حدثاً يشبه هذا الفتى . يقول حدثنا

---

(١) الصولي : أخبار الراضي والمتقى ٦ .

(٢) الحسين بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل البغدادى الضبي المحاملي (٢٣٥-٣٣٠هـ) (٨٤٩-٩٤١م) . أبو عبد الله محدث حافظ ثقة . ولد فى أول سنة ٢٣٥ . وولى قضاء الكوفة ستين سنة . وتوفي في ٢٣ ربيع الآخر سنة ٣٣٠ هـ . ومن آثاره كتاب : السنن فى الفقه ، وكتاب صلاة العيدين . أنظر: الصولى : أخبار الراضى والمتقى ٢٣٠ .
- ولمزيد من التفاصيل أنظر: ابن النديم : الفهرست ٣٢٥/١ ، كحالة : معجم المؤلفين ٥/٣ ، ٣٠ .

وأخبرنا ، وينشد ويعرب ، وهذا كله من فعل هذا[1] وأوما الى الصولي .

وهكذا نجح الصولي فى اقناع السيدة الوالدة جدة الراضي ، ومن معها بفضله بعد أن شهد المحاملي بسعة إطلاع الراضى وفضله ، كما شهد وأشاد بفضل الصولي في هذا الانجاز . واضافة الى سماع الراضي على المحاملي ، فقد اهتم أيضا بسماع شيوخ عصره الآخرين ، وقد أشار العلامة ابن الجوزى الى أن الراضي قد اجتمع الى الشيخ البغوى وسمع عنه[2] .

ولعل الراضى هو آخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة[3] ، وتشير المصادر الى أنه عندما أراد الخطبة فى العيد ، أرسل الى الفقيه أبي محمد اسماعيل بن علي[4] ، وأخبره بعزمه على أن يصلي بالناس صلاة العيد،

---

(١) الصولى : أخبار الراضي والمتقي ٢٦ .
(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ٦/٢٦٦ .
(٣) التنوخي : نشوار المحاضرة ١/٣ ، ابن دحية : أبي الخطاب عمر بن أبي علي حسن بن علي (ت٥٤٤هـ) : النبراس فى تاريخ خلفاء بني العباس ص ١١٤ ، مطبعة المعارف بغداد ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م ، ابن الأثير : الكامل ٦/٢٧٧ ، ابن الساعي : علي بن أنجب (ت٦٧٤هـ/١٢٧٥م) : مختصر أخبار الخلفاء ٨١ ، المطبعة الأميرية ببولاق . مصر . ط١، ١٣٠٩هـ
(٤) اسماعيل بن علي بن اسماعيل بن يحيى البغدادى الخطبي (أبو محمد) مؤرخ محدث اخبارى أديب خطيب . ولد في المحرم ٢٦٩ هـ . وتوفي في جمادى الآخرة ٣٥٠ هـ من مؤلفاته : تاريخ كبير على ترتيب السنين (٢٦٩-٣٣٠هـ ٨٨٢-٩٦١م) .
- لمزيد من التفاصيل أنظر : الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ٦/٣٠٤ ، ابن الجوزى : المنتظم ٧/٣، ٤ ، ياقوت : شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى (٦٢٢هـ -١٢٢٩م) : معجم الأدباء ٧/١٩، ٢٣ دار الفكر للطباعة - بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ابن العماد : شذرات الذهب ٣/٣ ، كحالة : معجم المؤلفين ٢/٢٨٠ .

وسأله عما يجب أن يقوله عند ما يبلغ موضع الدعاء للخليفة فأجابه أبو محمد اسماعيل بن علي : قل " رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ" الآية. فقال حسبك . فتبعه الخادم بخمسمائة دينار، وثياب ، ففرقها".(١)

ويذكر الصولي بأن الخليفة الراضي بالله قد بويع بالاختيار وليس بالاكراه ، وبأن الناس قد اجتمعوا عليه دون أن يواطئهم على ذلك، رغم كراهة الناس لعهد القاهر. كما يذكر بأن الخليفة الراضي قال له في أول عهده : " والله لقد جاءنى هذا الأمر ، وما شرعت فيه ولا أحببته ولا علم الله ذاك مني في سر ولا علانية ، لا جهلاً مني ما فيه من الشرف والجلالة ، لكني لتغير الأحوال ، وقلة الأموال ، وكلب الجند وخراب الدنيا ، وانه يستصحبني من الغم والأسف والغيظ والاهتمام ، أكثر مما يؤمل من السرور واللذة ، فما أجد في زماني مياسير من الكتاب والتجار ، يجمل بمثلهم الملك ويلجأ المهم مثل ابن الجصاص في التجار ومن يقاربه ، وأرجو أن يعيننى الله بجميل نيتي ، فقد ضقت ذرعا بما دفعت اليه".(٢) وقد أجابه الصولي بقوله فيما ذكر : "اذن يعينك الله يا أمير المؤمنين ، ويوفقك ".(٣) وهكذا فالراضي يقرر فى هذا النص الطريف والمهم ، أنه لم يسع للأمارة لأن اختيار الخلفاء فى الدولة حينذاك كان يخضع لرأى الجند الأتراك - المسيطرين على الخلافة - وهو يبين أنه لم يرغب بها رغم علمه بقدرها ، وذلك لأنه اعتبرها

---

(١) ابن دحية : النبراس ١١٤.
(٢) الصولي : أخبار الراضى والمتقى ١٦/١٧.
(٣) ن.م.س : ١٧.

تكليفا أكثر منها تشريفا . خاصة في ذلك العهد الذى قلت فيه الأموال ، وتمرد الجند ، وتدخلهم في شئون الدولة . فهو في توليه الخلافة يحمل عبئا ثقيلا على كاهله . وهو لا ينتظر أن تكون فترة الخلافة يسيرة أو سعيدة ومريحة .

ولم يتوان الراضي في أخذ رأى مؤدبه في المسائل العلمية والأدبية ، وخصوصا فيما يختص بالخطب . وقد خطب يوما ، وصلى بالناس الجمعة ، حين لاحظ وجود مؤدبه الصولي بين المصلين . فكتب اليه بعد طول انقطاع ، يسأله رأيه في الخطبة برسالة رقيقة جاء فيها : " أبقاك الله يامحمد ، قد لحظك طرفي . وأنا أخطب وأنت الى جانب اسحاق " المقصود به اسحاق بن المعتمد " قريبا مني غير بعيد عني ، فعرفني على تحرى الصدق ، واتباع الحق ، كيف ماسمعت ، وهل تهجن الكلام بزيادة فيه ، أو اختل بنقص منه ، ووقع ذلك في لفظه ، أو احالة في معناه ، جاريا فيه على عادتك في حال الامرة ، غير مقصر عنها للخلافة ان شاء الله ".(١)

وقد أجابه الصولي برسالة ضمنها الشعر ، تطرق فيها الى صفات الخليفة الراضى ، وشمائله وبلاغته وكرم خلقه واحيائه للسنة المطهرة .(٢)

---

(١) الصولى : أخبار الراضي والمتقى ٧٧، ٧٨ ، ابن العمراني : الأنباء في تاريخ الخلفاء ١٦٣ .

(٢) لمعلومات أوفى يرجع الى القصيدة المنشورة فى أخبار الراضي ص ٧٩ ، ٨٠ .

وقد رد عليه الراضي برسالة استحسن فيها شعره ، ولكنه انتقد لجوءه الى الصناعة اللفظية " من لزوم الواو في أرداف القافية ". أما بخصوص المديح فانه أجابه عنه بقوله : " ورأيت المدح مليحا ، قد وقع كله في القسم ، ورأيت الأوصاف فى صدر الأبيات فى نهاية الحسن . . . ، وقد تأملت البيت الأخير ، وأنفذت اليك فى هذا الوقت ، ماتبنى به المنهدم من حالك ، الى أن تنجلي الهبوة التى نحن فيها ان شاء الله . ومع الرقعة صرة ديباج مختومة بخاتم راغب الخادم ، وفيها ثلاثمائة دينار "[1] .

وهكذا فالراضي كما يظهر من هذه المساجلات كان أديبا ناقدا متمرساً في صناعة الأدب ، وقد أبدى رأيه في القصيدة بتفصيلاتها ، وبين محاسنها ومساوئها ، مما لايدع مجالاً للشك في أن الراضي نفسه كان ممن يقرض الشعر ، ويتذوقه وهو يعتبر آخر خليفة من بني العباس له شعر مدون[2] . وقد عدّه الصولى " أكثر بني العباس شعرا ، وأحسن الناس علما بالشعر ، ونقدا له "[3] .

وقد كان يقول الشعر في مناسبات عدة ، اذ أنه عندما لامه الناس على كرمه ، وحبه للعطاء رغم ما تعانيه الدولة من أزمة مالية قال :

---

(١) الصولى : أخبار الراضي والمتقى ٨٠ ، ٨١ ؛ ابن العمرانى : الأنباء في تاريخ الخلفاء ١٦٣ .
(٢) الصولى : أخبار الراضي ١٩ ، ابن العمرانى : الأنباء في تاريخ الخلفاء ١٦٥ ، ابن الجوزى : المصباح المضيء في خلافة المستضيء ٥٧٧ - مطبعة الأوقاف - بغداد ١٩٧٦م/١٣٩٦هـ . ابن الأثير : الكامل ، ٦/٢٧٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١١/١٩٦ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٢/٢/٣٢٤ ، العصامى : سمط النجوم العوالي : ٣/٣٦٢ .
(٣) الصولى : أخبار الراضي والمتقي ١٩ .

لا تعذلي كرمي على الإسراف ... ربح المحامد متجرُ الأشرافِ
أجري كآبائي الخلائف سابقا ... وأشيد ما قد أسّستْ أسلافي
اني من القوم الذين أكفهُم ... معتادة الاخلاف والاتلافِ (١)

ومن شعره في الحكمة أيضا قوله :

كل صفو إلى كدر ... كُل أمر إلى حذر
ومصير الشباب للموت ... فيه أو كبر
دَرّ دَرّ المشيب من ... واعظٍ ينذر البشر
أيها الآمل الذي ... تاه في لُجّة الغرر
أين من كان قبلنا ... ذهب الشخص والأثر
سيُردّ المعار من ... عمر كله خطر
رب اني ذخرت عنـ ... ـدك أرجوك مدخر
انني مؤمن بما ... بين الوحي والسور
واعترافي بترك نفعي ... وايثاري الضرر
رب فاغفر لي الخطيـ ... ـة ياخير من غفر (٢)

وفي بعض المناسبات كان الصولي يقرض بعض الأبيات ، فيقوم الخليفة الراضي بمعارضتها واجازتها على نفس البحر ، مثال ذلك

---

(١) الصولي : أخبار الراضي ٥٤ ، ابن الجوزي : المصباح المضيء ٥٨١ .
(٢) الصولي : أخبار الراضي ٥٤ ، ابن الجوزي : المصباح المضيء ٥٨١ ، الكتبي : محمد بن شاكر : فوات الوفيات والذيل عليها ٣٧٦/٢ ، دار الثقافة - بيروت ، القفطي : جمال الدين أبي الحسن (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) : المحمدون من الشعراء وأشعارهم ٢٦٠ ، مطبعة الحجاز - دمشق - ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥م .

قول الصولى :

غشيتني من الهموم غواش | لعذول يلوم فيك وواش
لو يلاقوا الذى لقيت من الوجد لشوق بين الجوانح فاش
ثم بالسر عندهم دمع عينى | ان سر المحب بالدمع فاشي(١)

حيث عارضه الخليفة الراضى بالأبيات التالية :

نحول الجسم من واش | ودمعي للهوى فاشي
لأنى في زمان الوصل من هجرك الى خاشي
لا صغارك للشكوى | واصغائك للواشي(٢)

ويعزى البعض شعر الراضي للصولى ، باعتباره مؤدبه ونديمه . الا أن الصولي نفى ذلك(٣) ، ومما حفظته لنا المصادر من جيد أقواله قوله : " لله أقوام هم مفاتيح الخير ، وأقوام مفاتيح الشر ، فمن أراد الله به خيرا قصد به الخير ، وجعله الوسيلة الينا . فنقضي حاجته ، وهو الشريك فى الثواب والشكر . ومن أراد الله به سوءا ، عدل به الى غيرنا فهو الشريك بالاثم والوزر"(٤)

ويلاحظ فى النص أنه يتضمن اشارة الى استمرار النظرة العباسية الى الخلافة . اذ قصد الراضي أن يقول بأنه هو - دون الناس - ظل الله

---

(١) الصولى : أخبار الراضي ، ٥٢ .
(٢) ن٠م٠س: ٥٣ .
(٣) ن٠م٠س: ٤٦ .
(٤) ابن الجوزى : المصباح المضيء ٥٧٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١١ / ١٩٧ .

في الأرض ، والسلطان على العباد ... وأن كل لجوء الى غيره ، هو سر يأثم فاعله والناصح به ، والغريب أنه كما يبدو في النص يشجع على اتخاذ الوساطة فى تسيير الأمور ، وتشجيع الحاشية على قبولها .

ورغم أن عهد الراضي كان عصيبا من حيث قلة الأموال ، الا أن الراضي نفسه اتصف بالكرم. وقد حاول جاهدا الاستمرار فى تقديم الجوائز والهدايا لجلسائه عند توفر المال لديه . ويعتبر الراضي بالله آخر خليفة عباسي كانت نفقته وجوائزه وعطاياه وخدمه وحجابه ومجالسة جارية على ترتيب المتقدمين[١] . ولم يكن يسمح لأحد من ندمائه بالانصراف ، قبل أن يصله بصلة أو خلعة أو طيب[٢] .

ومن الأخبار التى وردتنا وتدل على كرم الراضي : أن الصولى دخل عليه وهو يشرف على هدم وبناء بعض المرافق فى قصره . وكان الراضي يجلس على آجرة تجاه العمال ومعه مجموعة من الجلساء ، فأمرهم بالجلوس بحضوره ، فأخذ كل منهم آجرة ليجلس عليها . وحدث أن الصولى بعد أن أنشده قصيدة ، مدحه فيها أخذ آجرتين ملتصقتين باسفيذاج ، وجلس عليهما . فأمره الراضي عند انصرافه أن يدفع لكل من هؤلاء الجلوس

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ٢٦٧/٦ ، ابن الأثير : الكامل ٢٧٧/٦ ، ابن الساعي : مختصر أخبار الخلفا ٨١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٩٦/١١ ، المقريزي ؛ أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ١٩/١ ، مطبعة لجنة التأليف والنشر - القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٥٦م ، الديار بكري : تاريخ الخميس ٣٥٢/٢ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ٢٤٤/٤ .

وزن آجرته دراهم. فتضاعفت جائزة الصولي عن الباقين ، لتضاعف وزن آجرته على وزن آجرهم [١].

وقد امتدح الصولي أخلاق الخليفة الراضي فقال : انه ما بخل بشيء قط ولا تعاظم شيء يهبه "[٢].

كان الراضي في أول عهده ، قد انشغل بمعالجة طمع وطموح هارون بن غريب الخال - ابن شقيق السيده شغب أم المقتدر - فهو يمت للخليفة بصلة القرابة ، اذ أنه ابن خال والده ، وقد كان طموحاً اذ أخذ يدعو الناس لنفسه بالخلافة ، كما أنه راسل القواد والأمراء[٣] ، ثم جبى أموال خراسان وعسف وظلم[٤]. فوصلت أخباره للراضي ، الذى حاول حل الأمور مع هارون بشكل سلمي ، إلا أن الأخير تمادى في جوره وظلمه ، مما دفع الخليفة الى محاربته[٥] ، وتدلنا هذه الحادثة على مرونته ، في أخذه المتمردين باللين والسياسة في البداية ، فان لم يرتدوا عن غيهم لجأ الى العنف معهم .

وقد اتصف الراضي بالحرص على دوام صلة الرحم ، والرغبة في العفو عن المخالفين من أقاربه ، ولهذا فهو لم يتبع أسلوب ايقاع

---

(١) التنوخي : نشوار المحاضرة ١/٢٩٨ ، ابن الجوزي : المنتظم ٥/٢٦٧ .
(٢) الصولي : أخبار الراضي والمتقي ١٩ .
(٣) ابن الأثير: الكامل ٦/٢٤٠ ، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/٧٩ .
(٤) الهمذاني : تكملة تاريخ الطبري ٢٨٧ ، ابن الأثير: الكامل ٦/٢٤٠ .
(٥) قد وضحنا كيفية القضاء على هارون بن غريب في القسم السابق الخاص بحياة الراضي وعصره .

العقوبة والقسوة ضد من يخالفه من أخوته فعندما بلغه أن أخاه العباس ، قد عزم على خلع البيعة له ، وقبض عليه فى رجب سنة ٣٢٣هـ/ يونيـــــة ٩٣٥ م. أمر باحضار القاضي والشهود ، فأبلغهم بأنه تقديراً منــــه للمروءة والدين وما تفرضه السياسة عليه فى حق أخيه فقد عفا عنـــــه ، وطلب منهم أخذ البيعة منه ، وأطلق سراحه بعد أن أكرمه ، وســـد احتياجاته من المال.(١) فهل هناك أخوة أسمى من هذه ؟

وهذا مثل آخر في الاخاء وصلة الرحم نتبينه فى هذا الاعتـــــذار الذى يعتبر من ألطف الاعتذارات. فقد كتب الراضي لأخيه المتقـــي متعذراً له عن اساءته اليه. وبالرغم من أنه كان الأصغر سنا، فقـــد اعتدى على أخيه ولكنه كتب اليه : " بسم الله الرحمن الرحيم ، أنـــا معترف لك بالعبودية فرضاً ، وأنت معترف لي بالأخوة فضلاً. والعبد يذنب والمولى يعفو "(٢) وأشفع ذلك بأبيات من شعر العتاب بـــين الاخوان وكان ذلك سبباً فى اصلاح ما كان بينهما واجتماع شملهما.(٣)

أما علاقته بأخيه هارون بن المقتدر فقد كانت وطيدة جداً ، ويشير الصولي الى ذلك بقوله " حتى كأنهما نفس واحدة ".(٤) ولا غرابة فى ذلـــك فمنذ أيام طفولتهما وحتى شبابهما ، كان أمرهما واحد ، حتى أن طباخي

----

(١) ابن دحية : النبراس ١١٤.
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١١/١٩٧.
(٣) ن.م.س : ١١/١٩٧.
(٤) الصولي : أخبار الراضي والمتقي ٧.

الطعام للراضي كانوا يطبخون لها شهراً ، وفي الشهر الثاني كان طباخو هارون يقدموه لهما . وقد دعاه أخاه هارون يوماً الى الثريا[(١)]. فشرب هارون ، وأحب الراضي مشاركته فدخل في النبيذ[(٢)] الى أن أثر عليه . وكان يقرأ في ذلك الوقت على مؤدبه الصولي شعرا لأبي نواس[(٣)]، فأنشده الصولي بيتا لأبي ذؤيب[(٤)]:

اذا رأتني صريع الخمر يوما فرعتها

بقرآن ان الخمر شغب صحابها[(٥)]

---

(١) الثريا : من قصور الخلافة بناه المعتضد قرب التاج . والتاج قصر مشهور بناه المعتضد في الجانب الشرقي من بغداد . لمزيد من التفاصيل أنظر : ياقوت : معجم البلدان ٢/ ٣ ، ٧٧ .

(٢) النبيذ : ما نبذ من عصير ونحوه ، ويقال للخمر المعتصر من العنب نبيذ، كما أنه يطلق على ما يعمل من الأشربة من التمر والزبيب والعسل والحنطة والشعير - وانتبذته اتخذته نبيذاً ، سواء كان مسكرا أو غير مسكر. أنظر: ابن منظور : لسان العرب ٥/ ٤٨ .

(٣) الحسن بن هانيء : أبو نواس (١٤٥ - ١٩٦هـ) (٧٦٢ - ٨١٢م) ، شاعر ولد بالأهواز ، ونشأ في البصرة ، ورحل الى بغداد . واتصل بالخلفاء من بني العباس ومدح بعضهم.له ديوان شعر. لمزيد من التفاصيل أنظر: المرزباني : أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤ هـ) : الموشح مآخذ العلماء على الشعراء في أنواع من صناعة الشعر ص ٤٠٧ ، دار نهضة مصر- القاهرة ١٩٦٥م ، كحالة : معجم المؤلفين، ٣/ ٣٠٠ .

(٤) أبو ذؤيب : خويلد بن خالد الهذلي . شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام ، وسكن المدينة ، واشترك في الغزو والفتوح . من آثاره ديوان شعر ، توفي سنة ٢٧ هـ / ٦٤٨ م. لمزيد من التفاصيل أنظر: حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي ت ١٠٦٧ هـ: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٧٧١، كحالة : معجم المؤلفين ٤/ ١٢١ .

(٥) الصولي : أخبار الراضي والمتقي ٨ ، بحثت عن هذا البيت في ديوان شعر الهذليين والمصادر الاخرى فلم أجده الا في المصدر المذكور.

فتنبه لقصد مؤدبه فقال له ألم تقرأني بالأمس قول أبي نواس :

فما العيش الا أن تراني صاحيـــــــاً

وما العمر الا أن يتعتعني السكـــــر [1]

فقطع الشراب ، وانصرف عنه ، وظل سنين في خلافته لا يذكر عنـــه أنه شرب النبيذ . وكان مؤدبه الصولي يحسن له تركه [2]. الا أن جلســاء ه كانوا يشربون بين يديه . وربما شرب هو الجلاب [3]. ولكن جلساءه مازالــوا به حتى أثروا عليه . فقال "اني أعطيت الله عهدا أن لا أشربه أبـــدا" [4]، وحاول أن يستخرج فتوى ليخرج عن يمينه ! مما يبين لنا مدى انتشـــار الفساد والبعد عن الدين [5] في ذلك العصر .

---

(١) الصولي : أخبار الراضي والمتقي ٨ . وقد بحثت عن هذا البيت فـــي ديوان أبو نواس ، حققه وضبطه وشرحه : أحمد عبد المجيد الغزالـــي الناشر دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٧٢ هـ/ ١٩٥٣م . ووجـــدت اختلافا بسيطا في بعض الألفاظ الا أن المعنى لا يختلف .

(٢) الصولي حسن له تركه ، لأنه قد شرب النبيذ مع أخيه هارون . ثـم تركه بنصيحة من مؤدبه ولم يذكر قول صاحب العزة جل جلاله "فاجتنبوه" ويرى أبو حنيفه تحريم القليل والكثير .
- لمزيد من التفاصيل أنظر : المنذري : زكي الدين عبد العظيم بـــن عبد القوى (ت٦٥٦) : الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ٣/ ٢٥٣ الناشر : دار احياء التراث العربي - بيروت - ط ٣ ١٣٨٨هـ/١٩٦٦م ، سيد سابق : فقه السنة ٢/ ٣٧٨ ، دار الكتاب العربي - بيروت .

(٣) الجلاب : ماء الورد : وهي تسمية فارسية معربة يقال له جل وآب .
- لمزيد من التفاصيل أنظر : ابن منظور : لسان العرب ١/ ٢٧٤ .

(٤) الصولي : أخبار الراضي ٤٧ .

(٥) ن . م . س : ٤٧ .

ويبدو أنه قد تمكن في أول عهده من الصبر بدون الشراب ، ولكن ارادته ضعفت أمام تأثير جلسائه ، الذين يبدو أنهم كانوا يلحون كثيراً حتى يصلو الى شرف منادمة الخلفاء ومجالستهم. وقد طلب الراضي الى الصولي أن يحضر الى مجلسه هؤلاء الندماء والجلساء تمشيا مع عادة من سبقه من الخلفاء.(١)

فقال له الصولي : انه لم يبق منهم حياً الا اسحاق بن المعتمد ومحمد بن عبد الله بن حمدون وابن المنجم. فأمر أن يحضروا الى مجلسه في مستهل شهر رجب سنة ٣٢٢ هـ / يونية ٩٣٤ م. وهكذا فقد أصبح يجتمع باستمرار الى جلسائه وهم اسحاق بن المعتمد والصولى والعروضي(٢) ويوسف وأحمد ابنا يحيى بن المنجم(٣) ، وعلى بن هارون(٤) وغيرهم.

---

(١) ابن الوردى : تتمة المختصر ٤٠٧.

(٢) العروضي : هو أحمد بن محمد أبو الحسن العروضي عالم بالعروض. علم أولاد الراضي . من مؤلفاته كتاب فى العروض ، توفى (سنة ٣٤٢هـ/ ٩٥٣ م) . لمعلومات أوفى أنظر: الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ٥/ ١٤٠ ، كحالة : معجم المؤلفين ٢/ ٧٣.

(٣) أحمد بن يحيى بن أبى منصور المنجم أبو الحسن أديب شاعر متكلم فقيه. من أصحاب أبى جعفر الطبرى. من كتبه الأوقات ، وأتم أخبار الشعراء المخضرمين لأبيه . توفى سنة ٣٢٧ هـ/ ٩٣٩م.
- عن ترجمته أنظر: ابن النديم : الفهرست ١/ ١٤٧ ، كحالة : معجم المؤلفين ٢/ ٢٠٤.

(٤) على بن هارون : أبو الحسن علي بن أبى عبد الله بن هارون بن علي بن يحيى بن المنجم. الشاعر المشهور ، ذو نسب عريق ، من ظرفاء الأدباء ، وندماء الخلفاء والوزراء له من التصانيف كتاب " شهر رمضان " عمله للامام الراضي ، وكتاب " الرد على الخليل "، توفى سنة ٣٥٢ هـ .
- ترجم له : ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣/ ٣٧٥ ، ٣٧٦.

واتصف الراضي بالله بحبه للعدل واعادة الحقوق لأصحابها . فقد مات رجل من التجار يعرف بالطبري ، وخلف مالاً عظيماً ، وكان له أخ بطبرستان ، وابن أخ ببغداد . فقام ابن رائق ، وحمل من داره وحوانيته أموالاً ومتاعاً كثيراً فاستاء الناس من عمل ابن رائق واعتبروه اعتداء على حق فرد مسلم . وقد تدخل القاضي العروضي ، وكان يتولى أمر المواريث ، وكان ثقة . فأخبر الراضي بما حدث من ابن رائق ، فأنكره وأمره برد جميع ما أخذه الى موضعه .(١)

وهكذا نجد الراضي حريصا على تحقيق العدالة بين أفراد رعيته بما فيه مصلحة المسلمين . وكان يهاب العلماء ويكرمهم ويجلهم ، وقد كان قاضي القضاة في عهده أبو الحسين عمر بن محمد بن يوسف(٢) ، الذى تشير أخباره الى أنه قد بلغ مبلغاً عظيماً من العلم . وبأنه كان بجانب تبصره في القضاء ضليعاً في الفقه واللغة ، وعندما وافته المنية حزن الراضي حزناً شديداً لوفاته ، مما يعكس حبه لأهل العلم ومجالستهم ، وقد رآه الحاضرون يبكي ، وتشير المصادر الى أنه قال في حقه : " كنت أضيق بالشيء فيوسعه علي ".(٣)

---

(١) الصولي : أخبار الراضي ١٠٤ ، ١٠٥ .
(٢) التنوخي : نشوار المحاضرة ٤ / ٢١٠ .
- وقد توفى القاضي يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، وصلى عليه ابنه أبا نصر .
(٣) التنوخي : نشوار المحاضرة ٢ / ٢١٠ ، ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٣٠٧ .

وعين الخليفة الراضي بالله أبا نصر يوسف بن عمر في منصب قاضي الحضرة بعد وفاة أبيه . وكان شديد الشبه به بارعاً في الأدب والكتابة[١] وكان قد سبق له أن تولى خلافة القضاء في الحضرة ، عندما خرج والده مع الخليفة الراضي الى الموصل سنة ٣٢٧ هـ/٩٣٩ م. فبهر عقول الناس بعلمه ، ومضاء حكمه ، وجعل أخاه أبا محمد الحسين بن عمر على قضاء أكثر السواد وواسط والبصرة .[٢]

وفي سنة ٣٢٩ هـ جعل أبا الحسين على قضاء مدينة المنصور ، وأبا نصر على الجانب الشرقي من الحضرة والكرخ .[٣]

. . . . . .

---

(١) التنوخي : نشوار المحاضرة ٧/١٧ - ١٨ ، ابن الجوزي : المنتظم ، ٦/٢٩٦.

(٢) التنوخي : نشوار المحاضرة ٧/١٧ - ١٨.

(٣) التنوخي : نشوار المحاضرة ٧/١٧ - ١٨، ابن الجوزي : المنتظم ، ٦/٣٠٠.

وفاتہ

(٣) وفاتـــــه

توفي الخليفة الراضي بالله محمد بن المقتدر ، ليلة السبت لأربع عشر ليلة[١] بقين من شهر ربيع الأول ، سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ،[٢] ٢٠ ديسمبر سنة ٩٤٠ م ،[٣] اثر مرض ألم به ، ويعود تاريخه الى أيام سجنه في عهد الخليفة القاهر بالله . وأخذ يتزايد عليه مع الزمان . وقد ذكر سنان بن ثابت[٤] بأن علته ، قد ازدادت قبل وفاته بسنة ، "وفسد مزاجه ، وكان يلقي من فمه دماً كثيراً ، حتى أنه ألقى منه في يومين وليلتين أربعة عشر رطلا ، وكان أكثر ذلك بحضرتنا"[٥] حتى أن سنان عندما حاول أن يعالجه بتقديم ملعقة بها دواء ، لم يتمكن الراضي من شربه بسهولة ، اذ غلبه الدم حتى أنه اضطر الى أن يظل ممسكاً بملعقة الدواء ساعة كاملة قبل أن يتمكن من تناولها[٦] ، ويشير ابن الأثير الى أن علته كانت الاستسقاء[٧] .

---

(١) الصولي : أخبار الراضي والمتقي ١٨٣ .
(٢) الصولي : أخبار الراضي ١٨٣ ، ابن دحيه : النبراس ١١٨ ، ابن الأثير : الكامل ٢٧٦/٦ ، ابن الساعي : مختصر أخبار الخلفاء ٨١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٩٦/١١ ، الذهبي : العبر في خبر من غبر ٢١٩/١٢ .
(٣) محمد مختار باشا : التوفيقات الالهامية ٣٦١ .
(٤) سنان بن ثابت بن قرة الحراني : أبو سعيد ، كان طبيباً مقدماً كأبيه وكان طبيب المقتدر الخاص ، ثم خدم القاهر والراضي ، توفي ٣٣١ هـ .
- لمزيد من التفاصيل أنظر : القفطي : أخبار الحكماء ١٣٠/١٣١ .
(٥) الصولي : أخبار الراضي ١٨٣ .
(٦) ن ٠ م ٠ س : ١٨٤ .
(٧) ابن الأثير : الكامل ٢٧٦/٦ ، القرماني : أخبار الدول ١٦٩ .

ولعل من أسباب تزايد علته عدم التزامه بتوصيات أطبائه ومشورتهم ، فقد طالبوه بالحمية ،[١] غير أنه على ما يبدو لم يتمكن من أن يلتزم بذلك . مما زاد عليه المرض ، وساءت حاله ، الى أن توفى وكان عمره اثنتان وثلاثون سنة ونصف .[٢]

حاول الراضي أن يعهد بالخلافة بعده الى ابنه الأصغر أبي الفضل[٣] ، وأرسل الى بجكم ليعقد له ولاية العهد ،[٤] غير أن رغبته هذه لم يقدر لها أن تتحقق ، ولعل السبب يعود الى ضعف مركزه وتأثيره من جهة ، وقوة تأثير الجند الكبيره من جهة أخرى اذ كانوا هم أصحاب السلطة الفعليين ، وقد عارضوا رغبة الراضي بالله ، وأقروا مبايعة أخيه المتقي لله ابراهيم بن المقتدر .[٥]

ويقدم القاضي التنوخي صورة مأسوية حية ، لما جرى عليه الأمر عند وفاته . اذ يقول :[٦] " وأغلقت الخزائن بعد أن رد كل انسان ما عليه اليها . فعندما استدعى القاضي أبو الحسن الهاشمي[٧] لغسله ، وجده

---

(١) الصولى : أخبار الراضي ١٨٤ .
(٢) الديار بكرى : تاريخ الخميس ٢/٣٥٢ ، وكانت خلافته ست سنوات وعشرة أشهر وعشرة أيام .
(٣) ابن الجوزى : المنتظم ٦/٣١٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١١/١٩٨ .
(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ١١/١٩٨ .
(٥) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٧٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١١/١٩٨ .
(٦) التنوخى : نشوار المحاضرة ٢/٧٢ .
(٧) أبو الحسن : محمد بن عبد الواحد الهاشمي . كان قاضيا بالبصرة وعزل عنه سنة ٣٥٦ : أنظر الصولى : أخبار الراضي ١٨٣ ، التنوخى : نشوار المحاضرة ٢/٧٢ .

مسجى وعليه ازار مروزى[1] غليظ. فاستنكر ذلك ، كيف يكون هذا الازار الغليظ على وجه خليفة المسلمين. وطلب مرجلا لغلى الماء ، فلم يجد ، الا أن بعضهم جاء به من حجرة بعض الخدم. وكفنه القاضي بأكفان من داره حتى أن الحنوط أحضر له من محل أحد العطارين بالكرخ ، وذلك سبب اغلاق الخزائن ، حسب أوامر بجكم أمير الأمراء الذى كانت الأمور كلها بيده "[2]، وقد صلى عليه القاضي أبو نصر وأبو الحسن والخدم فى القصر ودفن بالرصافة[3].

. . . . . .

---

(١) الثياب المروية : هى ثياب غليظة تنسب الى مرو .
(٢) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٧٧ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ٤٠٧ .
(٣) الصولي : أخبار الراضي ١٨٣ ، التنوخي : نشوار المحاضرة ، ٢/٧٢ .

الفصل الثاني

أحوال الدولة العباسية في عصر الراضي بالله

المنجزات الحضارية والثقافية

تناقص دور الوزراء

إمرة الأمراء

المنجزات الحضارية والثقافية

الفصل الثـانى

أحوال الدولة العباسية فى عصر الراضي باللـــه

(أ) المنجزات الحضارية والثقافية فى عهد الراضي باللـــه

على الرغم من مظاهر الضعف التي اجتاحت الدولة العباسية في عصرها الثانى ، فان هذا لم يكن ذا تأثير كبير على الناحية الثقافية ، فى العصر الذى عاش فيه الراضي بالله ، والذى تميز بنهضة فكرية وعلمية ، وظهــور عدد كبير من العلماء ، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال معرفتنا بأولئـــك العلماء الذين أوكل اليهم الخليفة المقتدر بالله تأديب وتعليم أولاده ، وقد كانوا من أكابر علماء العصر أمثال : أبي عبد الله محمد بن العباس بن محمد اليزيدى ،[1] الذي كان اماماً فى النحو والأدب ، والذى اختص فــي تتبع النوادر وكلام العرب ،[2] وألف جملة تصانيف منها كتاب " الخيــل " وكتاب " مختصر النحو ". وقد استدعى فى آخر عمره لتعليم أولاد المقتدر بالله ، حيث لزمهم الى أن توفي[3] (سنة ٣١٠ هـ / سنة ٩٢٣م) .

ومن العلماء الذين عاشوا هذه الفترة أحمد بن محمد أبو الحســـن

---

(١) الصولى : أخبار الراضي والمتقي /٨ .
(٢) القفطى : أنباه الرواة على أنباه النحاه ١٩٨/٣ ، نشر دار الكتـــب المصرية - القاهرة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م ، ابن خلكان : وفيات الأعيـان ٣٣٧/٤ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣٣٧/٤ .

العروضي ، الذى كان عالما بالعروض وقد توفي سنة ٣٤٢ هـ[١] / ٩٥٣م.

ولابد كذلك من تكرار الاشارة هنا الى العالم الفاضل ، والكاتب الجليل ، والمعلم والمؤدب الذى لازم الراضي بالله طوال حياته ، حتى أصبح من جلسائه الدائمين. والذى كان له أكبر الأثر عليه ، وهو : أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين.[٢] وقد كان للصولي شهرة خاصة بين علماء عصره ، وله جملة مؤلفات منها "أخبار الراضي بالله والمتقي لله". كما جمع أخبار بعض الشعراء.[٣] وكان الصولي يحبب العلم الى الراضي وأخيه هارون. وقد كان يشترى لهما كتب الفقه واللغة والشعر.[٤]

والملاحظ أن مجلس الراضي كان يعج آنذاك بأدباء عصره اذ أنه كان يحب مجالسة الأدباء[٥] والشعراء ، بل انه كان شخصيا يهتم كثيرا بنظم الشعر ، وتذوقه ، وحتى نقده.

ويعتبر أشعر بني العباس ، كما يعتبر آخر خليفة من بني العباس

---

(١) لمعلومات أوفى أنظر: الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ٥/١٤٠ ، كحالة : معجم المؤلفين ٢/٧٣.
(٢) ابن الوردى : تتمة المختصر ٤١٧.
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤/٣٥٦.
(٤) الصولي : أخبار الراضي ٢٥ ، أحمد أمين : ضحى الاسلام ١/٢٧ ، دار الكتاب العربي : بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.
(٥) الصولي : أخبار الراضي والمتقي ٢٥.

دون له شعر.[1]

وهكذا نلاحظ أن الضعف السياسي الذى تميز به العصر الثانى للدولة العباسية لم يلازمه تدهور أو انحطاط ثقافى . فقد أحاط الخليفة الراضي نفسه بالعلماء والأدباء كما ذكرنا ، وأبدى اهتماماً كبيراً بالعلوم والآداب[2] كما أن انفصال العديد من أقاليم الدولة عن المركز ، لم يؤثر على الناحية الثقافية ، بل على العكس استمرت بغداد تلعب دور المركز العلمي الهام في الدولة الاسلامية . في الوقت الذى نمت فيه مراكز جديدة للعلوم والآداب ، وأصبحت عواصم الدويلات التي استقلت مراكز جديدة لحركة علمية وأدبية[3] نامية ، كما لعبت المنافسة بين الأمراء المتغلبين دورها فى تنشيط الحركة الثقافية وازدهارها . فقد حرص أولئك الأمراء على أن يكون بلاط كل منهم محجاً للعلماء والأدباء . وقد أسهم ذلك بلا شك في تشجيع النشاط الثقافي . وهكذا فقد نشأت مراكز حضارية متعددة في كل من بلاد الشام ، ومصر ، وسمرقند ، وبخارى وخراسان ونيسابور وأصبهان ، وبلاد ما وراء النهر. اضافة الى شمال أفريقيا ، وبلاد الأندلس وصقلية ، ولهذا فقد كان العالم الاسلامي مجالا مفتوحاً ومتسعاً للرحلة في طلب العلم من جهة ، ولتجوال العلماء من أجل نشر علومهم ومعارفهم

---

(١) الصولى : أخبار الراضي ١٩ ،ابن العمرانى : الأنباء في تاريخ الخلفاء ١٦٥ ، ابن الجوزى : المصباح المضيء ٥٧٧ ،ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٧٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١١/ ١٩٦ ،ابن العماد : شذرات الذهب ٢/ ٣٢٤ ، العصامي : سمط النجوم العوالي ٣/ ٣٦٢ .

(٢) ل . أ . سيديو: تاريخ العرب العام ٢٠٧ ، نقله الى العربية عادل زعيتر ، الناشر : عيسى البابى الحلبى وشركاه .

(٣) أحمد أمين : ضحى الاسلام ١/ ٩٤ .

(٤) ن.م.س ١/ ٩٥ .

من جهة أخرى. حتى لقد ندر من العلماء من استقر في بلدة معينة ، وعلى كل حال فقد كانت الرحلة الى تلك العواصم ، ذات فوائد كثيرة فى تلاقي الأفكار، مما كان له أكبر الأثر في تطور العلوم وتقدمها .

وقد لقيت علوم اللغة العربية اهتماماً كبيراً ، إضافة الى العلوم والمعارف الأخرى خلال تلك الحقبة من عصر الراضي بالله. وان شيوع الألفاظ الأعجمية ، الذى نجم عن الاختلاط بالأعاجم ، قد أدى الى ردود فعل ، تمثلت في زيادة الاهتمام باللغة العربية. ولعل فى ذلك توضيحا لما عناه قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى (١) في قوله : "ان الفصاحة الكاملة وصحة الاعراب ، لا تتم الا لأعرابي بدوى ، ينشأ حيث لا يسمع إلا الفصاحة" (٢).

فلم يكن الأمراء الأتراك يحسنون العربية ، ومع ذلك فقد كان يسعدهم أن تتزين مجالسهم بالعلماء والأدباء ، فبجكم القائد التركي الذى تولى امرة الأمراء في بغداد ، بعد ابن رائق في آخر عهد الراضي بالله . كان يفهم العربية اذا خوطب بها (٣) ، كما كان يحسن الجواب فيما يبدو ، ولكنه يعترف بعدم اجادته للعربية ، فيقول : "أخاف

----

(١) قدامة بن جعفر: هو أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب البغدادى ، توفي سنة ٣٣٧ هـ ، لمزيد من المعلومات أنظر : ابن الجوزى : المنتظم ٣٦٣/٦.

(٢) أحمد أمين : ظهر الاسلام ١٩/٢

(٣) الصولى : أخبار الراضي ١٩٤

أن أتكلم بالعربية فأخطيء في لفظي ، والخطأ من الرئيس قبيح"[(١)] لذلك فقد كان بجكم يحتفي كثيرا بأبي بكر الصولي ، ويقربه اليه ، ولعل مافعله بالصولي يدل على مبلغ اهتمامه بالعلم والعلماء. اذ استدعاه مرة وقال له : " أنا انسان وان كنت لا أحسن العلوم والآداب ، أحب ألا يكون في الأرض أديب ولا عالم ولا رأس في صناعة ، الا كان في جنبتي وتحت اصطناعي ، وبين يدى لا يفارقني"[(٢)] ، والحقيقة فان بجكم على أعجميته ليس الا نموذجا ، لما كان يسود ذاك العصر من نهضة علمية وثقافية شاملة. كانت نتاج أفكار العدد الكبير من العلماء الذين عاشوا فترتها ، والقوائم الكبيرة من أسماء الكتب التي تم تأليفها خلالها ، والتى لم تقتصر على صنف محدد من أصناف العلوم والمعارف، بل شملت التخصصات العلمية والأدبية كافة.

اهتم الخليفة الراضي بالله بالناحية العمرانية والفنية أيضا ، اذ كان مولعا بالعمارة والفنون. وقد أمر بهدم بعض القصور في بغداد ، وبناء غيرها في نفس مكانها.[(٣)] ومما يدل على مبلغ ولعه في البناء وشغفه به ، أنه كان يتلذذ بالاشراف شخصيا على عملية البناء ،ليوجه بنفسه القائمين بها ، وقد نقل عنه أنه كان يستدعي جلساءه أحيانا لحضور ذلك. ولا يبالي

---

(١) الصولي : أخبار الراضي ١٩٤.

(٢) ن.م.س ١٩٤ ، أحمد أمين : ظهر الاسلام ١/٩٥.

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ٦/١٥١ ، آدم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ١/٣٧ ، نقله الى العربية محمد عبد الهادى أبو ريده ،دار الكتاب العربى . بيروت . الطبعة الرابعة ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧م.

اذا لم يجد مكاناً مناسباً لجلوسه ، اذ يجلس هو وجلساؤه على بعض الآجر - المخصص للانشاء والتعمير - في موضع البناء.(١) كما أنه اهتم بزراعة الحدائق والبساتين (٢) . اذ كان يعتبرها تتمة للناحية الجمالية التي تتعلق بالبناء .

كما أمر بجكم باعادة بناء مسجد براثا(٣) وتوسعته واحكام بنائه ، إذ أنه كان قد هدم في عهد الخليفة المقتدر بالله ، بعد أن تبين أنه اتخذ مركزاً لاثارة الفتنة والشغب ، ولاجتماع الشيعة فيه ، وقد تم بناؤه بالجص والآجر ، وسقف بالساج المنقوش ، بعد أن جرت توسعته ، وبعد أن ضمت اليه بعض البيوت المجاورة - بعد شرائها من أصحابها - وقد وضعت في صدر البناء لوحة تأسيسه عليها اسم الخليفة الراضي بالله (٤) وتاريخ تجديد البناء .

وفى سنة ٣٢٥ هـ / سنة ٩٣٧ م أمر الخليفة الراضي بالله بتجديد بناء العلمين ، اللذين وضعا لتبيين حدود الحرم المكي من جهة التنعيم.(٥)

----

(١) التنوخي : نشوار المحاضرة ٢٩٨/١ ، ابن الجوزي : المنتظم ٢٦٧/٦.

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ١٥١/٦.

(٣) مسجد براثا من مساجد مدينة بغداد ، بني في موضع معروف ببراثا .
- لمزيد من المعلومات أنظر : الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٠٩/١.

(٤) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٠٩/١.

(٥) الأزرقي : أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٢٢٣هـ) : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ١٣٠/١ ، مطابع دار الثقافة بمكة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م الطبعة الثانية .

وتشير المصادر كذلك بأن الخليفة الراضي بالله ، كان مولعاً بجمع البللور ، وقد ذكر الصولي ذلك وقال " مارأيت البللور عند ملك أكثر منه عند الراضي ، ولا عمل ملك منه ما عمل ، ولا بذل في أثمانه ما بذل حتى اجتمع له من آلته مالم يجتمع لملك قط ".(١) ولعل في ولع الخليفة بذلك ما يعكس مدى اغراقه فى البناء والتعمير ، وخاصة ماكان يتعلق منها بتزيين وتزويق مجالسه وتنظيمها .

.. .. ..

---

(١) الصولى : أخبار الراضي ٢٧ ، آدم متز : الحضارة الاسلامية ١/٣٧ ، حسن الباشا : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ٧٣ ، دار النهضة العربية - القاهرة / ١٩٧٥ م .

تناقص دور الوزراء

(٢) تناقص دور الـــــوزراء

تعاقب على منصب الوزارة ستة وزراء ، خلال فترة حكم الراضي باللــــه بالرغم من أن هذه الفترة كانت قصيرة نسبيا . اذ امتدت لست سنـــوات ونصف ، وهذا يعكس بوضوح حالة عدم الاستقرار من جهة ، والضغـــط الذى كان يواجهه الخليفة الراضي بالله من جهة أخرى .

وقد مثل خلع القاهر بالله عن الخلافة انتصاراً لمحاولات وزيره ابـــن مقلة ، الذى تولى الوزارة للخليفة الراضي بالله الذى بويع بعده ، والحـــق فان منصب الوزير جابه بعد ذلك التاريخ خصومات شديدة ، ومصاعـــب جمة ، كان يناصبه فيها العداء أمير الأمراء ، الذي تعاظم دوره فـــى الدولة ، حتى فاق في علو المكانة والمنزلة مكانة الوزير وأهميته . وقـــد اضطرت الظروف - التى تمر بها الدولة - الخليفة الراضي بالله ، الـــى تقليد ابن رائق منصب أمير الأمراء ، كما أوكل اليه تصريف أمور الدولـــة الادارية والمالية بأجمعها ، وجعل منصبه فوق منصب الوزارة.[١] بل لقـــد كان من نتائج ذلك إبطال عمل الوزير ، والاكتفاء ببقائه في المنصب مـــن الناحية الشكلية.[٢] كما أن اختيار الوزراء كان يخضع لرأى أمير الأمـــراء والجند.[٣] ويمكن أن نفيد كثيراً من استعراض وملاحقة تطور أوضاع الـــوزارة خلال تلك الحقبة ، ونلمس مدى تضاؤل الوزارة وضعفها والأسباب التى أدت الى ذلك .

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٥١ ، السامرائى: المؤسسات الادارية ١٥٠ .
(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٥٢ .
(٣) الصولى : أخبار الراضي والمتقى ١٠١ .

أمر الخليفة الراضي بالله بعد اختياره لمنصب الخلافة (فى السادس من جمادى الأولى سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٤ م) . باحضار على بن عيسى بن الجراح المشهور بالوزير الصالح ، والذى كان خبيراً بتدبير الوزارة ، منذ الأيام الأولى لخلافة المقتدر بالله. وقد حضر على بن عيسى(١) مجلس الخلافة وأخذ البيعة من الناس . وقد طلب اليه الخليفة الراضي بالله أن يتولى منصب الوزارة ، لكنه اعتذر لعجزه(٢) وكبر سنه وضعفه ، ولعل ذلك لاطلاعه على سوء الأحوال ، وتعذر وجود المال(٣)، فأشار على الخليفة بابن مقلة(٤) . ويبدو أن هذا الترشيح قد لاقى هوى في نفس الخليفة الراضي . كما رشح سيما المناخلي الذى كان من كبار قواد الجند الساجية أبا على بن مقلة للوزارة أيضاً لأنه كان قد بذل خمسمائة ألف دينار كرشوة مقابل الوصول إلى منصب الوزارة(٥). وهكذا تولى ابن مقلة في التاسع من جمادى الأولى سنة ٣٢٢ هـ/ ٩٣٤ م الوزارة ، وقد جعل الراضي بالله عليا بن عيسى ناظراً مع الوزير في وزارته . وفى الوقت نفسه أصدر الوزير أمراً بتولية أبي الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات نائباً له فى سائر الأعمال(٦) . وهكذا أصبح للوزير شريك في اختصاصاته ، ونائب يخلفه في أعماله ، ويبدو أن الوزير ابن مقلة كان قد تلقن درساً بليغاً عند اختفائه مع الحظر الذى فرض عليه

---

(١) على بن عيسى بن داود بن الجراح : مشهور بحسن التدبير وزر للمقتدر . كان صدوقا دينا من خيار الوزراء ، له من الكتب جامع الدعاء ، ومعانى القرآن . ولد سنة ٢٤٥ هـ ، وتوفى سنة ٣٣٤ هـ . أنظر :
ابن النديم : الفهرست ١٨٦ ، ياقوت : معجم الأدباء ٤/ ٦٨ ، ٧٣ .
(٢) الصولى : أخبار الراضي ٤ ، المسعودى : مروج الذهب ٤/ ٢٣١ .
(٣) الصولى : أخبار الراضي ٤ .
(٤) ابن مسكويه : تجارب الامم ٥/ ٢٩٢ ، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٣٨ .
(٥) الصولى : أخبار الراضي ٤ ، ابن الطقطقى : الفخرى ٢٠٧ .
(٦) الهمذاني : تكملة تاريخ الطبرى ٢٨٥ ، ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٢٦٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١١/ ١٧٨ .

زمن القاهر بالله ، ولذلك عزم على تحسين تعامله مع الناس . وقد انعكس ذلك بقوله : " عاهدت الله في استتارى ألا أسيء الى أحد ونذرت نذورا " فأطلق كل من كان في حبس القاهر من كاتب أو جندى "[1] الا أن ذلك لم يستمر طويلا ، بسبب ازدياد نفوذ الحاجب محمد بن ياقوت ، الذى وضع النهاية لسلطة الوزير ، حين اضطره الى " اطباق دواته ، وترك النظر في شيء البتة "[2] وقد استطاع محمد بن ياقوت الوصول الى هذه السلطة ، بعد تمكنه من درء الخطر عن الخليفة الراضي بقضائه على هارون بن غريب الخال[3]. وقد نظر ابن ياقوت في الأموال ، وترك أكثر الأمور لكاتبه محمد بن أحمد القراريطي[4]. فلم يتمكن الوزير ابن مقلة من النظر في أى أمر من أمور الدولة الادارية والمالية. وانما كانت الأمور تعرض على ابن ياقوت ، فاما أن يوافق عليها ، وينفذ أمره بذلك أو يرفض التوقيع عليها فتبطل[5]. أثار تسلط ابن ياقوت هذا حفيظة الوزير ابن مقلة ، فأدام السعي لدى الخليفة الراضي ، الذى لاحظ هو الآخر مدى استبداد ابن ياقوت بالأمور . كما أن ابن مقلة أبلغ الخليفة أن ابن ياقوت يؤلب الحجرية والساجية عليه ، - خاصة وأن الجند الحجرية أنصار ياقوت -[6] وهكذا اتفق الطرفان الخليفة ووزيره على ضرورة التخلص من ابن ياقوت . فقبض عليه[7] يوم الاثنين السادس من جمادى الأولى سنة ٣٢٣ هـ / سنة ٩٣٥ م كما قبض على كاتبه أبي اسحاق

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ابن الجوزى : المنتظم ٦ / ٣٠٩
(٢) الصولى : أخبار الراضي ٣١ ، السامرائي : المؤسسات ١٣٦ .
(٣) الصولى : أخبار الراضي ٧ ، ٨ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٤٠ .
(٤) الصولى : أخبار الراضي ٣١ .
(٥) ن . م . س : ٣١ .
(٦) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٤٥ ، الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ٣٠٢ ، ٣٠٣
(٧) الصولى : أخبار الراضي ٦٤ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٤٧ .

القراريطى ، وعلى نجاح كاتبه على الجيش.[١] وهكذا أتيح للوزير استرجاع اختصاصاته ، والتصرف في شئون الادارة ، وتسيير دفة الحكم.[٢]

استخلف الوزير ابن مقلة ابنه أبا الحسين علي بن محمد على جميع الدواوين والأعمال[٣] ، وقد خرج توقيع الراضي بالله بتلقيب ابنه بالوزير ، كما أنه أمره أن يكون الناظر في الأمور صغيرها وكبيرها ، كما خلع عليه خلع الوزارة ، وقد طرح للوزير الابن "مصلى في مجلس أبيه"[٤] ، ومع أن هذه النصوص تؤكد وجود وزيرين للخلافة في وقت واحد . الا أن ذلك ينبغي ألا ينظر اليه كخطوة تطور نوعي في أصل مؤسسة الوزارة . وانما ينبغي أن ينظر اليه باعتباره الدليل على "ازدياد ثقة الخليفة بوزيره واكرامه واعزازه له في تشريف إبنه"[٥] والحقيقة أن الأمر والنهي والتصرف الفعلى كان للوزير أبي علي بن مقلة ، وقد عاد اليه تصريف أمور الدواوين بعد ابن ياقوت فأصبح يعزل ويولى فيها كيف يشاء . وكان يعاونه في ذلك كاتبه أبو عبد الله أحمد بن علي الكوفي . وهذا يعكس تحسنا في وضع الوزارة ، كما يعكس توفر الاستقرار لأحوال الدولة الادارية في العاصمة . غير أن بعض أقارب الوزير استغلوا على ما يبدو صلة القربى ، فأساءوا اليه كوزير اذ يخبرنا التنوخي "أن شقيق الوزير ابن مقلة ، قد زور عليه بعض

---

(١) الصولى : أخبار الراضي ٦٤ ، اليافعي : أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٧م) : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ٢/٢٨٧ ، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت - ط٢ - ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠م.

(٢) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٤٧ ، اليافعي : مرآة الجنان ٢/٢٨٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣/١٤٩.

(٣) الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ٢٩٤.

(٤) ن.م.ص : ٢٩٤.

(٥) السامرائى : المؤسسات ١٣٧.

أوامر الصرف المالية. وأنه حينما عرضت على الوزير عدة توقيعات زورها أخوه أبو عبد الله ، وارتفق عليها (أى ارتشى) ، خشي أن يفضح أخاه ولكنه عندما أكثر ذلك ، التفت اليه ، ونصحه بأن لا يفعل مثل ذلك".[1]

وبالاضافة الى اساءة أقربائه اليه فقد شغب عليه الجند الحجرية وخاصة بعد وفاة محمد بن ياقوت في السجن.[2] كما أن الوزير لم ينجح في تصريف شئون الدولة بشكل سليم ، اذ استمر بيت المال يعاني من العجز المالي ، بسبب زيادة المصروفات عن الواردات . وذلك ناجم أساسا عن انفصال أقاليم الخلافة عن المركز ، وقد شغب الجند مطالبين بأرزاقهم بسبب تأخير صرفها ، الناجم عن فراغ الخزينة من الأموال ، وكان الوزير قد توجه آنذاك الى الموصل لمحاربة ابن حمدان ، بعد أن استخلف ابنه في العاصمة ، غير أنه اضطر الى العودة مسرعا في محاولة منه لاصلاح الوضع بعد أن تردت الأمور.[3]

لقد ساءت علاقة الخليفة الراضي بالله بعد ذلك بوزيره ابن مقلة ، فقد حمله مسئولية تردى الأوضاع في الدولة ، وكذلك قلّة الموارد فيها . وهنا تدخل الجند فطالبوا الخليفة الراضي بالله - بعد أن حاصروا الوزير واعتقلوه - بأن يختار شخصا آخر يوليه الوزارة.[4] وقد صور لنا الامام

---

(١) التنوخي : نشوار المحاضرة ١/٦٦.
(٢) ابن الأثير: الكامل ٦/٢٤٧.
(٣) الهمذاني: تكملة تاريخ الطبرى ٢٩٦.
(٤) الصولى : أخبار الراضي ٨١ ، ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٣٣٦ ، الهمذاني: تكملة تاريخ الطبرى ٢٩٩، ابن الأثير: الكامل ٦/٢٥١ ، السامرائي: المؤسسات ١٣٧.

ابن الجوزى ما قام به الجند في هذه المناسبة حين "أحدقوا بدار الخلافة وضربوا خيمهم فيها ، وحولها ، وطالبوا الراضي بأن يخرج ويصلى بالناس ليراه الناس معهم ، فخرج وصلى وقال في خطبته اللهم ان هؤلاء الغلمان بطانتي وظهارتي ، فمن أرادهم بسوء فأرده ، ومن كادهم فكده "[١] فالخليفة يقر أنه مع الجند في غضبهم على الوزير ، ومطالبتهم بتغييره. ولم يعترض على تصرفاتهم ، ولم يفعل شيئا للحد من نفوذهم ، بل ترك لهم أمر اختيار الوزير الجديد بدلا[٢] من ابن مقله ، فأشاروا عليه باختيار على بن عيسي وزيرا فاعتذر هذا لكبر سنه وعجزه ، وأشار على الخليفة بأن يستوزر أخيه عبدالرحمن بن عيسى .

وهكذا تولى عبد الرحمن بن عيسى الوزارة في منتصف جمادى الأولى سنة ٣٢٤ هـ/ ٩٣٦ م بعد اختيار الجند له. وقد قام بمصادرة مبلغ مليون دينار[٣] من ابن مقلة منها أربعمائة ألف دينار معجلة . وقد أصبحت مصادرة الوزراء الذين ينحون عن الحكم أمراً شائعاً في ذلك العصر. فإذا عزل وزير يصادر الوزير الجديد منه مبلغاً يدفعه الى بيت المال. ولعل في ذلك اتهام للوزير المعزول بالتفريط في الظلم والتعسف وربما رميه بالخيانة والإختلاس[٤]. وكان الوزير المعزول يسجن ضمانا لدفع المبلغ

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٢٨٠.
(٢) الصولى : أخبار الراضي ٨١ ، ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٣٦ ، الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ٢٩٩ ، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٥١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١١/ ١٨٤ ، الدورى : دراسات ٢٣٥ ، السامرائى: المؤسسات ١٣٧.
(٣) الصولى : أخبار الراضي ٨٣ ، الذهبى : العبر في خبر من غبر ٢/ ٢٠٠.
(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٩٩ ، الصابي : الوزراء ٩٠ ، ٩١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١١/ ١٨٤.

فلا يفرج عنه الا بعد ايفائه للمبلغ المستحق.[١] وقد تنزل بالمصادرين عقوبة بدنية.[٢] الا أن ابن مقله لم يدفع شيئا. فطولب علي بن عيسى وأخوه باستيفاء الأموال التي قررت على ابن مقلة. فوجه اليه الخصيبي،[٣] الذى فرض عليه دفع نفس المبلغ، ولكن على أن تثمن ضياعه، وتؤخذ كجزء من المبلغ المقرر. ما بقي يدفعه على سنتين، ويخرج من السجن. ولقد جرى تصريف أمور الوزارة على يد علي بن عيسى، الذى سرعان ما تمكن من تسيير الأمور وتدبيرها.[٤] وقد جابهت الوزير وأخاه أزمة مالية خانقة، اذ أن الوارد انقطعت، ولم يعد بالامكان تصريف الأمور كما يجب.[٥] وعزل عبد الرحمن بن عيسى بدرا الخرشني عن الشرطة،[٦] اذ طالبه الجند بعزله منفذ رغبتهم، وولى كاجو من الحجرية الجانب الغربي من العاصمة، أما الجانب الشرقي فتولاه اخوان من الجند الحجرية، هم تتج الحجرى وأخيه أبي الفوارس سخرباس.[٧]

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/١٠٩، الكبيسي : حمدان عبد المجيد : عصر الخليفة المقتدر ٥٥٦، مطبعة النعمان، بغداد ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/١٠٤، ٣٠٥، ١١٥، الصابي : الوزراء ٣٣، ٥٤، ٣٥، ابن الجوزى : المنتظم ٦/١٧٣، ابن الأثير : الكامل ٦/١٢٢.

(٣) الخصيبي : أحمد بن عبد الله بن سليمان الخصيب وزر للمقتدر والقاهر - توفي سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م - أنظر: ابن الأثير: الكامل ٦/٢٧٤، الزركلي : الأعلام ١/١٦٦.

(٤) الصولي : أخبار الراضي ٨١، ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٣٢٦، الهمذاني: تكملة تاريخ الطبري ٢٩٩، السامرائي : المؤسسات ١٣٨.

(٥) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٣٣٨، الهمذاني : تكملة تاريخ الطبري ٣٠٠، ابن الأثير: الكامل ٦/٢٥١، ابن تغربردى : النجوم الزاهرة ٣/٢٥٨.

(٦) الصولي : أخبار الراضي ٨٢، ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٣٣٨.

(٧) الصولي : أخبار الراضي ٨٢، ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٣٣٨.

إلا أن عبد الرحمن عجز عن النهوض بأمور الدولة ، وحل الضائقة المالية التي تعاني منها البلاد[١] ، وتعذر عليه توفير الأموال اللازمة لتسديد الضروريات ، فاضطر إلى أن يسأل الراضي بالله أن يقرض بيت المال عشرة آلاف دينار[٢] ، ولكن الخليفة لم يفعل . وهكذا شغبت الحاشية ضد علي بن عيسى وأخيه عبد الرحمن ، فقبض عليهما بأمر الخليفة ، وتم عزلهما عن الوزارة[٣] يوم الاثنين السادس من شهر رجب سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م بعد أن قضى علي بن عيسى في الوزارة مدة لا تتعدى الشهرين .

استدعي الكرخي وهو أبو جعفر محمد بن القاسم[٤] وكلف بالوزارة ، وكما جرت العادة فقد سلم اليه الوزير السابق عبد الرحمن بن عيسى وأخوه علي بن عيسى . فصادر علي بن عيسى على مائة ألف دينار[٥] كما صادر أخاه عبد الرحمن على سبعين ألف دينار[٦] ، فلم يدفع منها علي بن عيسى سوى سبعين ألفاً ، كما دفع عبد الرحمن ثلاثين ألف دينار فقط[٧] ، وقد أكرمهما الكرخي وصرفهما الى منازلهما . وذلك لأن القاضي أبا محمد الصليحي توسط لعلي بن عيسى وأخيه لدى الخليفة الراضي[٨] ، ليعفو

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٥١ .
(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٣٨ .
(٣) الصولي : أخبار الراضي ٨٤ ، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٥٢ ،
الذهبي : العبر في خبر من غبر ٢/ ٢٠٠ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٣٤٧ ، وذكر أنه توفي سنة ٣٤٣ هـ .
(٥) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٣٨ ، الهمذاني : تكملة تاريخ الطبري ٣٠٢ .
(٦) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٣٨ ، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٥١ .
(٧) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٣٨ .
(٨) الصابي : الوزراء ٣٥٩-٣٦٠ .

عنهما ، لما قدماه من خدمة للدولة في عهد المقتدر ، وأن مقصدهما كان خيراً. كما أنهما يتصفان بالنزاهة . فلم يسيء الوزير الجديد أبو جعفر الكرخي اليهما .

الا أن الكرخي لم يكن بأفضل من غيره في تسيير أمور الدولة. فقد كانت الموارد منقطعة والخزانة خاوية. اذ أن ابن رائق قطع حمل واسط والبصرة ، كما أن البريدى قطع حمل الأهواز . فازداد العجز ، وكثرت المطالبات . فلم يستطع الوزير أن يدبر الأمور ، واضطر الى ترك الوزارة ،(١) واستتر خوفاً من الفتنة ،(٢) فاستوزر الخليفة الراضي بالله سليمان بن الحسن بن مخلد ،(٣) أملا في تحسين الأوضاع ، غيرأن هذا الوزيرلم يستطع أن يحقق شيئا هاما . فقد ظلت الأزمة المالية قائمة ، بل سارت ادارة الدولة وأحوالها المالية نحو التردى كما أنها ازدادت سوءا ، وأنذرت باحتمال شغب الجند ، بسبب تأخر أرزاقهم ، كما أن محاولات اصلاح الوضع باستبدال الوزراء ، بعد عجز كل منهم عن مجابهة الأزمة ومصادرة أموالهم بعد سجنهم ، لم تصل بالوضع الى شاطيء الأمان. ولعلها كانت سبباً في اضطراب الأحوال وازدياد حدة

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٥٠ ، الهمذاني : تكملة تاريخ الطبرى ٣٠٣ .

(٢) حصل ذلك يوم الاثنين ٨ شوال سنة ٣٢٤ هـ/٩٣٥م . وهذا خلاف ما ورد في زامباور في معجمه. أنظر: مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٥٠ ، السامرائى : المؤسسات ١٣٩ .

(٣) المسعودى : التنبيه والاشراف ٣٨٩ ، ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ٥/ ٣٥٠ ، ابن الطقطقى : الفخرى ٢٨١ .

الأزمة . لذلك فقد اضطر الراضي الى مراسلة ابن رائق[(١)] - الذي كان قد عرض عليه المساعدات المادية في حل الأزمة المالية - بعد أن كان مصراً على رفض هذا الحل . حيث تعهد الأخير " القيام بالنفقات وازاحة علة الجيش والحشم "[(٢)] فأرسل له رسولاً من حاشيته عرفه أنه قد " قلده الامارة ورياسة الجيش ، وجعله أميراً لأمراء ، ورد اليه تدبير أعمال الخراج والضياع وأعمال المعاون فى جميع النواحي ، وفوض إليه تدبير المملكة . وأمر أن يخطب له على جميع المنابر في الممالك ، وأن يكنى ، وأنفذ اليه الخلع واللواء"[(٣)] .

وحينما وصل ابن رائق الى بغداد[(٤)] رتب فوق الوزير وخلع عليه ، وركب عليه ، وركب الى مضربه في الحلبة ، وحمل اليه من دار السلطان الطعام والشراب والفواكه عدة أيام ، وخدمه في ذلك خدم السلطان[(٥)] .

ولقد ترتب على استدعاء الخليفة ابن رائق وتوليته منصب أمير الأمراء ، أن " بطل أمر الوزارة ، فلم يكن الوزير ينظر في شيء من أمر النواحي ، ولا الدواوين ولا الأعمال ، ولا كان له غير اسم الوزارة فقط ، وأن يحضر

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٥٤ ، الذهبي : العبر في خبر من غبر ٢/ ٢٠٠ ، القلقشندي : مآثر الأنافة ٢٨٧ ، الخضري : الأمم الاسلامية ٣٦٢ ، بروكلمان : كارل : تاريخ الشعوب الاسلامية ٨٧ ، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٥٣م .
(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٥٠ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٢/ ٢٠١ .
(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٥١ .
(٤) في ٢٠ ذى الحجة ٣٢٤ هـ/ ٩٣٥ م .
(٥) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٥١ .

أيام المواكب دار السلطان بسواد وسيف ومنطقة ويقف ساكتاً ، وصار ابن رائق وكاتبه ينظران في الأمر كله ".[١]

ومع ما تقدم ، فان منصب الوزير قد استمر من الناحية الشكلية - على الأقل - حتى بعد تسلط أمير الأمراء . وعندما عزل سليمان بن الحسن عن الوزارة ، أشار أمير الأمراء على الخليفة الراضي بأن يستوزر الفضل بن جعفر بن الفرات الملقب بابن حنزابة . والذي كان يتولى الخراج في مصر والشام . أملاً في الحصول على أمواله. فاستوزره[٢] . غير أن الوزير الجديد اكتشف حقيقة أطماع الخليفة وأمير أمرائه ، لذلك فانه لم يمض على وصوله فترة طويلة حتى عمل على أن يرى " لنفسه التروح خوفاً من فتنة ابن رائق فأطمعه في تحصيل الأموال من الشام ".[٣] فاستخلف له نائباً في بغداد ، وترك العاصمة متوجهاً إلى الشام ، ومن المحتمل أن يكون الوزير قد أناب عنه نائبين ، اصطحب أحدهما معه ، وأبقى الثاني في بغداد . حسبما ذكر الصولي اذ صدر أمر الخليفة الراضي بالموافقة على سفر الوزير على " أن يكون عبد الله بن علي البفوى خليفة الوزير الفضل بن جعفر خارجا معه ، وأن يكون عبيد الله بن محمد الكلوذاني خليفة الوزير على الأعمال والأموال ، مقيما ببغداد ".[٤]

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٣٥٢ ، ابن الأثير : الكامل ٦/٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٢) الصولي : أخبار الراضي ١٠١ ، وقد ذكر ابن الأثير بأنه قد ولى وزارة الخليفة ووزارة ابن رائق : الكامل ٦/٢٥٦ .

(٣) ابن العماد : شذرات الذهب ٢/٣٠٩ .

(٤) الصولي : أخبار الراضي والمتقي ١٠٨ .

وبعد وفاة الوزير الفضل بن جعفر ، عرض الراضي الوزارة على ابن الوزير وأنفذ اليه كتاباً بذلك .[١] ويبدو أن هذا الأمر لم يتحقق ، مما دفع الراضي الى عرضها على البريدى ، الذى لم يوافق على قبولها ، الا بعد أن شرط لنفسه شروطا ، ولم يجعل مقره في بغداد[٢] ، وقد أوضح الراضي فيما بعد أسباب موافقته على الشروط بقوله " ان الوزارة قطعة من الخلافة ، ووهنها وهن الخلافة ، وكنت استكثيت الفضل بن جعفر .... فلما مات نظرت الى من بالحضرة ، فاذا هم من عرفت ، وان علقت هذا الاسم بواحد منهم ، لما مضى عليه أسبوع ، حتى يسأل ما لا يقدر عليه ، ويمتهن كل الامتهان . فلم أجد غير البريدى "[٣] ولكن البريدى لم يوصل ما تعهد به من أموال ، فعزله الراضي واستوزر ابن مقلة . الذى وجد السلطة بيد أمير الأمراء ابن رائق ،[٤] الذى سبق له أن قبض على أمواله وأملاكه وأملاك ابنه ، فطلب ابن مقلة ردها عليه ، وكلم أصحابه للتوسط في ذلك . ولم يفلح ، فأطمع بجكم[٥] في امرة الأمراء ، وأخذ يشي بابن رائق لدى الراضي ، وكتب ابن مقلة للراضي في أن يضمن ابن رائق بألفي ألف دينار ، ويقبض عليه بحيلة ، فتحدث الناس بذلك . ووصل

---

(١) الصولى : أخبار الراضي والمتقى ١٣٤ .
(٢) الصولى : أخبار الراضي والمتقى ١٣٤ ، ١٣٥ ، ابن مسكويه : تجارب الامم ٥/٤٠٩ ، الذهبى : العبر في خبر من غبر ٢/٢٠٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣/٢٦٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٢/٣٠٨ .
(٣) الصولى : أخبار الراضي ١٣٤ ، ١٣٥ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٦٥ .
(٥) بجكم التركي من الغلمان . اتصل بابن رائق ، فسيره الى الأهواز ، واستولى عليها ، ثم خرج منها ، بعد انتصار البريدى عليه . انتقل الى واسط ، كان يظهر التبعية لابن رائق ، ويطلق عليه بجكم الرائقي ، ولكنه طمع في منصب امرة الامراء ، وبالفعل تولى امرة الأمراء بعد تغلبه على ابن رائق كما سيأتي ذكر ذلك ، توفي سنة ٣٢٩ هـ لمزيد من التفاصيل أنظر : ابن الجوزى : المنتظم ٦/٣٢٠ ، ٣٢١ ، ابن الأثير : الكامل ٦/٢٦٦ ، أبو الفدا : المختصر ٢/٨٦ ، ٨٩ ، ابن خلدون : العبر ٣/٢٤٨ .

الخبر ابن رائق ، فركب مع قواده وجيشه الى دار الخليفة (١) ، حيث كان ابن مقلة ملتجئاً اليه ، فطالب ابن رائق بتسليمه ، فسلم اليه وقطعت يده اليمنى ، وحبس ، ثم أخرج من حبسه . وعولج فبرأ . وعاد يخطب الوزارة . وكان يدعو على من ظلمه . فوصل الخبر إلى الراضي وابن رائق فأمر الخليفة بقطع لسانه (٢) . وحبس ثانية الى أن مات سنة ٣٢٨ هـ/ ٩٤٠م .

ان دراسة فترة حكم الراضي بالله ، تشعر الباحث بالتبدل السريع في الوزارة في تلك الفترة ، ومع أن الهدف كان محاولة تحسين أوضاع الدولة ، وخصوصاً المالية منها ، الا أن هذا الاجراء لم يحقق الهدف المطلوب ، بل إنه ربما ألقى بثقله على الأوضاع الإدارية والأمنية والمالية للدولة . مما تسبب في إضعاف الروابط من جهة ، وزرع الشك والريبة في نفوس أولئك الذين يرشحون لمنصب الوزير من جهة أخرى فيحسبون حساب اليوم الذى يتم عزلهم فيه ويتعرضون للمحاسبة والسجن والمصادرة .

وان الدور الذى لعبه الجند كان كبيراً أيضاً ، وهو يعيد الى الأذهان ذكرى أحداث فترة الصراع ، التي عاشها الخليفة المتوكل على الله مع قادة الجند في عاصمته سامراء ، وكذلك فوضى الجند خلال فترة التسع سنوات التى أعقبت مصرعه . ولعل هذا كان امتداداً طبيعياً للدور الذى لعبه الجند في اغتيال الخليفة المقتدر ، وفي عزل القاهر وسمل عينيه . ومع

---

(١) الصولي : أخبار الراضي ص ١٠٠ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٦٦ ، الذهبى : العبر في خبر من غبر ٢/ ٢٠٦ ، اليافعى : مرآة الجنان ٢/ ٢٨٩ ، القلقشندى : مآثر الأنافة ٢/ ٢٨٨ .

أن الخليفة الراضي بالله قد أظهر على الدوام سياسة الاستجابة والتوافق مع مطالب الجند . فانه كان يشعر بأن طبيعة الظروف التى تحيط بالخلافة ، كانت تستدعي منه ذلك ، وأنه كان يدرك تماماً خطورة الأوضاع وترديها ، ولكن المحافظة على هيبة الخلافة وتماسكها الظاهري ، كان أفضل- في تقديره - من الوصول بها الى حالة الانهيار التام .

من كل ما تقدم يمكن أن نستخلص بأن سلطة الوزارة ، كانت تتأثر بمدى قوة الخليفة أو ضعفه ، وبموقف الأتراك والحاشية منها ، وطبيعة الأزمات المالية والادارية التي كانت تجابه الدولة في عهد كل منهم . وقد مثل خلع القاهر بالله انتصاراً لمحاولات أول وزرائه ابن مقلة ، الذي أصبح وزيرا للخليفة الجديد . واعتباراً من بداية عصر الراضي بالله ، قلت أهمية الوزارة ، وتضاءلت مكانتها ، نظراً لتعاظم منصب ودور " أمير الأمراء " على حسابها . والذي سلب من الوزراء اختصاصاتهم بشكل واضح . وقد استمر هذا الوضع طيلة عصر الخليفة الراضي بالله . فلم يعد الوزير يشرف على الدواوين ، ولا يتولى تولية العمال أو عزلهم ، وليست له صلاحية الإشراف على الجيش . حيث أن ذلك كله أصبح ضمن اختصاصات أمير الأمراء . بل أصبح أمير الأمراء يتولى كل المهام حتى مهمة ترشيح الأشخاص لمنصب الوزارة نفسها .

.. .. ..

امرا الأمراء

امرة الأمــراء

لم يكن ابن رائق أول من تلقب بأمير الأمراء ، اذ أن الخليفة المقتدر بالله سبق له أن ولى ابن خاله هارون بن غريب هذا المنصب سنة ٣١٦ هـ /٩٢٨ م[١] . مما أثار غضب مؤنس المظفر[٢] ، الذى كان يطمع في توليـــه ، كي يجمع في يده قيادة الجيش ، وتدبير الشئون الادارية والماليـــة ، وقد تولى بعض الوزراء الشئون المدنية والحربية ، دون أن يعطوا لقـــب أمير الأمراء ، كما أطلق على بعضهم ذو الرياستين[٣] . وهكذا فلم يكـــن المنصب جديداً ، لا في طبيعة عمله ولا من حيث تسميته . وانما جـــرت اعادة استخدامه في محاولة من الراضي لإصلاح الأمور في الدولة . فقـــد أبدى ابن رائق استعداده للقيام بنفقات الدولة ، وأرزاق الجند ببغداد فأرسل له الراضي بالله قواد الساجية[٤] في شهر ذى الحجة ٣٢٤هـ/٩٣٦ م ليبلغوه موافقة الخليفة على تعيينه أميرا للأمراء[٥] . وقد قلده الخليفـــة

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٦/١٩٥ ، الكبيسى : عصر المقتدر ٢٢٥ .

(٢) مؤنس المظفر: هو مؤنس الخادم لقب بالمظفر. كان له نشاط كبير في عهد المقتدر . عاش تسعين سنة ، قضى منها ستون سنة أميراً ، قتل سنـــة ٣٢١ هـ . لمزيد من التفاصيل أنظر :
الصابى : رسوم دار الخلافة ٩٤ ، ابن الأثير: الكامل ٦ / ٢٢٩ ،
الكبيسى: عصر المقتدر ٢٢٥ .

(٣) ابن الطقطقى : الفخرى ٢٢١ ، أى رياسة السيف والقلم .

(٤) الصولى : أخبار الراضي ٨٥ ، الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ٣٠٤ ، ابن الأثير: الكامل ٦/٢٥٤ .

(٥) الصولى : أخبار الراضى ٨٥ ، ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٥١ ، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/١٨٤ .

مضطرا أمارة الجيش ، كما ولاه الخراج والدواوين وأعمال الخراج والضياع والمعاون في جميع النواحي . وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر [١] ، بعد الدعاء للخليفة الراضي بالله ، وقد حاول ابن رائق الاقتصاد في النفقات التي أصبح مسئولاً عنها . لذا فانه عمل على تخفيض مخصصات الجند ، فأمر بالقبض على قواد الساجية ، وايداعهم السجن في ٧ ذي الحجة سنة ٣٢٤ هـ/٩٣٦ م [٢] . ثم نهب أموالهم ودوابهم ، مظهراً أنه انما فعل ذلك رغبة منه في توفير أرزاقهم ، كخطوة أولى لمعالجة الوضع المالي المتأزم . وقد أدرك قادة الجند الحجرية بأن مصيرهم سيكون مصير اخوانهم الساجية ، فنفروا من أمير الأمراء . وتوقعوا غدره بهم . فلجأوا الى دار الخلافة ، وضربوا خيامهم فيها [٣] . في الوقت الذى كان أمير الأمراء ابن رائق قد توجه الى بغداد يرافقه كبير قادته بجكم ، فخلع عليه الخليفة في الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ٣٢٤هـ /٩٣٦ م . وحضر قواد الحجرية حفل استقبال أمير الأمراء ، وسلموا عليه فطمأنهم وطالبهم باقتلاع خيامهم والعودة الى منازلهم [٤] ففعلوا .

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٣٥١ ، الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ٣٠٣-٣٠٤ ، ابن الأثير : الكامل ٦/٢٥٤ ، القلقشندى : مآثر الأنافة ٢٨٧ ، العصامي : سمط النجوم العوالي ٣/٣٦٢ ، الدورى : دراسات ٢٣٦ .

(٢) الصولى : أخبار الراضي ٨٥ ، ابن الأثير : الكامل ٦/٢٥٤ ، أبو الفداء : المختصر ٢/٨٤ .

(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٣٥١ ، الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ٣٠٤ ، ابن الأثير : الكامل ٦/٢٥٤ .

(٤) الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ٣٠٤ ، ابن الأثير : الكامل ٦/٢٥٤ .

وقد كان من نتائج تصرف الخليفة الراضي بالله هذا ، أن " بطل أمر الوزارة ، فلم يكن الوزير ينظر في شيء من أمر النواحي ، ولا الدواوين ولا الأعمال . ولا كان له غير اسم الوزارة " .(١) وصار بيد ابن رائق رئاسة الجيش ، وامتدت سلطته بصورة مباشرة الى جباية الضرائب(٢) وادارة الحكومة المركزية .

ولم يقتصر تأثير استلام ابن رائق منصب أمير الأمراء على مكانة الوزير فقط . بل انه أضعف مكانة الخليفة الراضي بالله أيضا لأنه " استولى على الأمور "(٣) وضعف أمر الراضي ، " وبقي مع ابن رائق صورة بلا معنى "(٤) .

الا أن نفوذ ابن رائق لم يتمد بغداد وما حولها ، أسوة بما كان للخليفة من سلطة فعلية ، ونظراً لتغلب حكام الولايات والأطراف الذين وسعوا كثيرا من نطاق نفوذهم .

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٥١ ، الدوري : دراسات ٢٣٦ ، السامرائي : المؤسسات ٧٢ ، ٧٣ .
(٢) الذهبي : العبر في خبر من غبر ٢ / ٢٠٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١١ / ١٨٤ ، الدوري : دراسات ٢٣٦ .
(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٥٢ ، الهمذاني : تكملة تاريخ الطبري ٣٠٤ ، ابن الطقطقي : الفخري ٢٨٢ ، الذهبي : العبر في خبر من غبر ٢ / ٢٠٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١١ / ١٨٤ ، كرد علي : دراسات في الحضارة ٢٥٧ ، حسن الباشا : دراسات في العصور العباسية ٧٥ .
(٤) الذهبي : دول الاسلام ١٩٩ .

وقد بدأ ابن رائق عهده باجراء بعض التغييرات . فأقدم على عزل قائدين من الجند الحجرية وهما " سخرباس وتتج "(١) عن شرطة بغداد ، وعين لؤلؤ غلام المتهشم بدلا منهما .(٢)

استدعى أبا الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ، الذي كان يتولى الخراج بمصر والشام ، ليوليه الوزارة ، آملا فى الحصول على أمواله ، فأرسل اليه الخلع وهو فى طريقه الى بغداد ،(٣) الا أن تولية ابن الفرات الوزارة لم يكن لها أثر فى حل الأزمة المالية المستحكمة. فقد أحس الوزير بعد فترة وجيزة بما يحيت له " ورأى لنفسه التروح خوفا من فتنة ابن رائق ".(٤)

كما عين ابن رائق أبا الحسين بن على النوبختي كاتبا له ، ولكن المرض انتابه بعد ثلاثة أشهر من عمله ، وعجز عن المواصلة. فاستكتب ابن رائق أبا عبد الله الكوفي بدلاً منه .(٥)

---

(١) الصولى : أخبار الراضي ٨٥ .
(٢) الصولى : أخبار الراضي ٨٥ ، ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٣٥١ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٥٦ ، ابن الطقطقى : الفخرى ٢٨٢ ، أبو الفداء : المختصر ٢/٨٤ .
(٤) ابن العماد : شذرات الذهب ٢/٢٠٩ .
(٥) الصولى : أخبار الراضي ١٠٦ ، ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٣٥٢ ، الهمذانى : تكملة تاريخ الطبرى ٣٠٤ .

كان أبو عبد الله البريدى والي الأهواز ، قد قطع الأموال عن الخلافة فأشار ابن رائق على الخليفة الراضي بالله بالمسير الى واسط ليقرب من الأهواز ، ولم يكن بامكان الخليفة الرفض ، بل عزم على المسير وفقا لما رآه ابن رائق ، بينما عارضت الحجرية ذلك ، لأنهم توقعوا أن يكون هدف أمير الأمراء التخلص منهم ، خلال هذه الحطة ، كما حصل لأقرانهم الجند الساجية .(١)

وقد توجه الخليفة الراضي بالله مع ابن رائق وقواته في طريقهم الى واسط ، ولم يلتفت لرأى الحجرية ، وقد لحق به بعضهم. وعند ما وصل الى واسط كان عدد خلفاء الحجاب من الجند الحجرية خمسمائة خليفة حاجب ، فاقتصر منهم على ستين وعزل الباقين.(٢) وبذلك أسقط غالبيتهم العظمى ، فلم يصبروا على ذلك ، واجتمعوا عليه وحاربوه في آخر محرم(٣) " ٣٢٥ هـ / ٩٣٧ م فكانت معركة ضاربة ، كاد الجند الحجرية أن يحققوا النصر على ابن رائق ، لولا قيام بجكم بعمل كمين لهم ، استطاع به أن يتمكن منهم ، ويعمل السيف فيهم ، ففروا منهزمين وقد غنم منهم غنائم كبيرة من الدواب والسلاح والأموال ، وأسر رؤساءهم " وهم خطارجور ، وسلحجور ، ويمن القيرواني ، وفارس بن ينال(٤) " .

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٥٧ .
(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٥٧ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٣ / ٣٠١ .
(٣) الصولي : أخبار الراضي ٨٦ ، ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٥٧ .
(٤) الصولي : أخبار الراضي ٨٦ .

وأرسل الى لؤلؤ صاحب الشرطة ببغداد ، طالبا اليه أن يقبض على من تخلف من الحجرية في بغداد [١] ، وأن يحرق منازلهم . ولم يقف الجند الحجرية مكتوفي الأيدى ازاء خطط لؤلؤ بل حاربوه ، لكنه تمكن من اضعاف مقاومتهم ، فتفرقوا . [٢] وهكذا تم لابن رائق التخلص من عبء نفقات الجند الساجية والحجرية .

أرسل ابن رائق الى أبي عبد الله البريدى ، يعلمه بأنه قد تأخر في دفع ما تعهد به من الأموال ، وأفسد الجيوش ، وطلب منه تسليم قيادة الجند ، وحمل الأموال الى بيت المال ، وهدده بالعقوبة الصارمة ان هو تأخر في ذلك . [٣] فما كان من البريدى الا أن وافق على أن يدفع ثلاثمائة وستين ألف دينار مقسطة [٤] كل شهر ثلاثين ألف دينار . كما تعهد بأن يسلم قيادة الجند الى من يؤمر بتسليمها اليه . وافق ابن رائق على تعهد البريدى هذا لأنه وجده أسهل الطرق لتوفير الأموال للخلافة . وقد أرسلت الخلع السلطانية لأبي عبد الله ، واعترف بشرعية ولايته . [٥] وعاد الخليفة وابن رائق إلى بغداد . غير أن البريدى لم ينفذ شيئاً من بنود الإتفاق ، بل حاول احتلال البصرة ، [٦] وأقام معسكره

---

(١) الصولي : أخبار الراضي ٨٦ ، ابن الأثير: الكامل ٢٥٧/٦ .
(٢) الصولي : أخبار الراضي ٨٧ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٣٠٦/٣ .
(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٣٥٨/٥ .
(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٣٥٩/٥ ، ابن الأثير: الكامل ٢٥٧/٦ ، ابن كثير: البداية والنهاية ١٨٧/١١ .
(٥) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٣٥٩/٥ .
(٦) ن.م.س : ٣٥٩/٥ ، ابن الأثير: الكامل ٢٥٩/٦ .

في حصن مهدى بقيادة غلامه اقبال .[1]

أمر ابن رائق بعد عودته الى العاصمة ، باعطاء الأمان للجند الحجرية الذين اختفوا بعد تشريدهم من قبل لؤلؤ واستخدم أمير الأمراء ألفي شخص منهم ، في حين أمر بتسريح الباقين ، وترك لهم الحرية في طلب الرزق حيثما أرادوا . وقد توجه الجند الحجرية الى أبي عبد الله البريدى ، فأحسن اليهم ، ولكنه أرسل لابن رائق باعتذار يخبره فيه ، أنه لم يقبلهم الا خوفاً منهم . ويحتج أنهم منعوه من نقل الأموال الى مقر الخلافة .[2]

أما الخليفة الراضي بالله فانه لما رأى تطورات الأمور بين البريدى وأمير الأمراء . فانه أشهد القضاة والعدول على نفسه أنه " قد رد أمر البريديين في حربهم أو تركهم ، أو لعنهم أو مقاطعتهم الى ابن رائق ، وأنه يرضي بكل ما يقرره بشأنهم "[3] ويعتبر هذا تصريحا رسميا من الخليفة ، يظهر فيه بأنه قد فوض كل السلطات - فيما يتصل بالعلاقة مع البريديين - الى أمير الأمراء ابن رائق .

كان جند البريدى بقيادة اقبال ، قد تحركوا من حصن مهدى نحو البصرة ، تحت ستار الادعاء بالرغبة في حماية البصرة من خطر القرامطة . وقد

---

(١) حصن مهدى : بلدة في اقليم خوزستان . أنظر :
ياقوت : معجم البلدان ٢٦٦/٢ .
(٢) ابن الأثير: الكامل ٢٥٩/٦ .
(٣) الصولي : أخبار الراضي ٨٩ .

ادّعوا أن أهل البصرة قد استجاروا بهم. كما أن والي البصرة من قبل ابن رائق ، محمد بن يزداد غير قادر على حمايتهم.(١) وقد استطاع رجال البريدى الحاق الهزيمة بقوات محمد بن يزداد والي البصرة مرتين. وتمكنوا من دخول البصرة ، بعد أن تراجع ابن يزداد الى الكوفة.(٢)

أثار هذا العمل غضب ابن رائق ، فكتب الى البريدى يتوعده ويطالبه بسحب قواته وأصحابه من البصرة ، فاعتذر البريدى متذرعا برغبة أهل البصرة في بقائه ، لسوء سيرة ابن يزداد معهم.(٣) وهكذا فانه رفض عمليا قبول الاستجابة لطلب ابن رائق ، رغم تهديد أمير الأمراء له.

استدعى ابن رائق بدرا الخرشني وبجكم ، ثم توجها نحو الأهواز بعد أن قلد بجكم ولايتها.(٤) وكان البريدى قد أرسل لملاقاتهما جيشا ، يقوده غلامه أبو جعفر محمد المعروف بالجمال.(٥) فالتقى الجيشان عند السوس احدى مدن اقليم الأهواز وقد انهزم رجال البريدى ،(٦) وارتد أبو جعفر الجمال خائبا ، فهيأ البريدى جنودا آخرين أضافهم الى جيشه المنهزم وأرسلهم ثانية لملاقاة بجكم. عند نهر تستر ، وقد أسرع بجكم وعبر النهر ، فخاف أصحاب البريدى الذين عاش معظمهم أحداث الهزيمة السابقة

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٦٨، ٣٦٩، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٥٩.
(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٦٩، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٥٩.
(٣) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٥٩.
(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٧٠.
(٥) ن.م.س ٥/ ٣٧٠ ، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٥٩.
(٦) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٧١ ، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٦٠ ، أبو الفداء : المختصر ٢/ ٨٥.

فتراجعوا دون حرب. واستولى بجكم على الأهواز ، بينما كان أبو عبد الله البريدي واخوانه في سفينة الى البصرة ، حيث أرسل غلامه إقبال مع قواته الى مطارا ، لمواجهة أصحاب ابن رائق ، وقد تمكن إقبال من ايقاع الهزيمة بهم ، مما اضطر ابن رائق الى أن يرسل جيشا آخر توجه بعضه في البر وبعضه الآخر على الماء [١] الى البصرة فكان نصيبه الهزيمة أيضا .

وفي هذه الأثناء كان البريدي ، قد انتقل الى جزيرة آوال مبتعداً عن الخطر. بعد أن ترك أخاه أبا الحسين أميرا على البصرة. ثم توجه البريدي الى عماد الدولة بن بويه ، [٢] ليستنجد به ، ويقنعه كي يقف بجانبه لتصفية الأمور لمصلحتهما . وفي نفس الوقت عزم أمير الأمراء ابن رائق على الخروج بنفسه من بغداد الى البصرة لقتال البريدي، [٣] وأرسل الى بجكم في واسط ، ليلحق به بمن معه من الجند. [٤] وتقدم للقتال وأشعل حريقاً [٥] في جزيرة حيال البصرة . وقد بلغ أهل البصرة أن ابن رائق يريد احراق بلدهم [٦] ، مما أثار نقمتهم ، فاشتدوا عليه في القتال ، وأعانوا البريديين ضده ، فتراجع الى واسط [٧] ، ووجه بجكم ثانية الى الأهواز لحمايتها ، على أن يكون والياً عليها ، بشرط أن يدفع

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٧٢ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٦٠ .
(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٧٣ .
(٣) الصولي : أخبار الراضي ٨٩ .
(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٧٢ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٦٠ .
(٥) الصولي : أخبار الراضي ٩٩ .
(٦) ن.م.س ، ٩٩ .
(٧) الصولي : أخبار الراضي ٩٩ ، أبو الفدا : المختصر ٢ / ٨٤ .

للخلافة مائة وثلاثين ألف دينار في السنة[١]، وذلك بدلا من الوالي علي بن خلف الذى سبق وأن عينه أبو الفتح بن الفرات[٢]. فقد أصبح تعيين الولاة يجرى من قبل أمير الأمراء ، وفي هذه الأثناء كان البريدى قد وصل الى عماد الدولة بن بويه ، وأطمعه في العراق ، فسيّر معه أخاه معز الدولة أبا الحسين أحمد بن بويه[٣]. بعد أن ترك ولديه رهينة عند عماد الدولة[٤]، ولعل في ذلك ما يدل على أن عماد الدولة لم يكن يطمئن تماماً الى نوايا البريدى ، وتحسبا لاحتمالات غدره ، بعد أن يتحقق النصر له .

توجه البريدى وبرفقته معز الدولة الى أرجان[٥]. وقد وصل خبر نزولهم هناك الى بجكم ، الذى بادر الى ملاقاتهم ، ولكنه هزم بسبب رداءة الجو وتوالي سقوط الأمطار التى عطلت أوتار القسي ، فلم يتمكن رماته من الرمي[٦].

انسحب بجكم الى الأهواز ، وزحف معز الدولة بن بويه الى عسكر

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٧٤ .
(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٧٤ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٦١ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٦٣ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٢ / ٣٠٦ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٦٣ .
(٥) أرجان : مدينة كبيرة بين شيراز والأهواز . أنظر الخريطة رقم (٢) . ، وأنظر أيضا : ياقوت : معجم البلدان ١ / ١٤٣ .
(٦) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٦٣ .

مكرم[١]. واستولى عليها ، فتراجع جند بجكم الى تستر ، وهكذا عاد بجكم الى واسط .

وقد حصل صراع بين البريدى وبني بويه ، انتهى باستيلاء بنو بويه على الأهواز[٢]. وهروب البريدى الى البصرة . حيث استقر فيها ، وبذلك أصبحت البصرة تحت حكمه[٣]، وحكم الأهواز لمعز الدولة ، كما حكم بجكم واسط وكان يطمع بامرة الأمراء ببغداد[٤].

شاع جو من عدم الثقة بين أمير الأمراء وقائدة بجكم ، فقد خشي ابن رائق منافسة بجكم له ، وتنحيته عن منصب أمير الأمراء ، لذلك فانه خطط للتعاون مع البريدى ضده ، وبالفعل فقد طلب ابن رائق الصلح مع البريدى[٥]، على أن تصبح واسط له بعد هزيمة بجكم . وعليه أن يضمنها بستمائة ألف دينار في السنة .

وصل الخبر الى بجكم ، فرأى بعد مشورة أصحابه أن يقضي على البريدى أولاً . ثم يتجه الى الحضرة حيث ابن رائق ، وبالفعل التقى جيشه بجيش البريدى فهزمه ، غير أن بجكم صالحه بعد ذلك وصاهره[٦]،

---

(١) عسكر مكرم : مدينة من مدن خوزستان . لمزيد من التفاصيل أنظر : ياقوت : معجم البلدان ٤/١٢٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٦٤ ، أبو الفداء : المختصر ٢/٨٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٦٤ .

(٤) ن . م . س : ٦/٢٦٤ .

(٥) ن . م . س : ٦/٢٦٤ .

(٦) ن . م . س : ٦/٢٦٥ .

ليأمن شره ، وأخذ الاثنان يخططان في جبهة موحدة للقضاء على ابن رائق الذى كان قد عجز عن مواجهة الأزمة المالية ، التي تتخبط فيها الدولة وكان الوزير ابن الفرات الثاني " ابن حنزابه " قد تمكن من الإفلات من قبضة ابن رائق وجشعه ، وسار الى الشام ومصر، على أمل جباية أموالها ، توطئة منه لحل الأزمة المالية الخانقة فاختار أمير الأمراء ابن مقلة لمنصب الوزارة ،[1] وقد أوجد بهذا لنفسه جبهة معادية جديدة تعمل ضده ، اذ كان ابن مقلة حاقدا على ابن رائق منذ أن صادر أملاكه وأملاك ابنه ، وقد حاول الوزير اقناع الخليفة باستدعاء بجكم ، فأرسل لبجكم يطلب منه المجيء الى بغداد[2] للتعاون معه في القضاء على ابن رائق . غير أن هذه الجهود وصلت إلى علم ابن رائق ، الذى سارع باعتقال الوزير ثم سجنه بعد أن قطع لسانه .[3]

أعيد أبو الفتح بن الفرات الى الوزارة ، وكان مستترا ، فوضع نائبا عنه ببغداد عبد الله بن على البغوى ،[4] في حين كان بجكم يواصل بقواته التقدم نحو بغداد ، يدفعه علمه بضعف الخلافة ، وطمعه في منصب أمير الأمراء ، وقد تمكن بجكم من دخول بغداد في ١٣ ذى القعدة

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٣٨٥ .
(٢) ابن دحية : النبراس ١١٨ ، ابن العمراني : الأنباء ١٦٣ ، ابن الأثير : الكامل ٦/٢٦٥ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٦٩ ، أبو الفداء : المختصر ٢/٨٥ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٣/٣٠٧ ، العصامي : سمط النجوم ٣/٣٦٢ .
(٤) ابن الجوزى : المنتظم ٦/٢٨٩ ، ابن الأثير : الكامل ٦/٢٧٠ ، زامباور : معجم الأنساب ٨ .

سنة ٣٢٦ هـ / سنة ٩٣٨ م[١] فتولى إمرة الأمراء بدلاً من ابن رائق الذى توارى عن الأنظار. وهكذا انتهى عهد ابن رائق الذى قضى ما يقارب السنتين في منصب إمارة الأمراء. ولم يتمكن فيها من حل الأزمة التي تخبطت بها الدولة. رغم كل اجراءات المصادرة، وتسريح الجند، واعتماد سياسة الضمان في تولية العمال ولم يعد الى الظهور الا عندما توجه الخليفة الراضي بالله برفقة أمير الأمراء بجكم لمحاربة ناصر الدولة الحمداني في الموصل.[٢] غير أنه ما أن علم بنبأ عودتهما، حتى توجه مغادراً إلى الشام. حيث استطاع أن يتغلب على أبي نصر بن طغج الأخشيدى[٣]. وبذلك أصبحت الشام بيد محمد بن رائق.

اختار الخليفة الراضي بالله أبا عبد الله البريدى وزيراً له، بعد وفاة ابن الفرات.[٤] ولكن البريدى - الذى قبل الوزارة - ظل مقيماً في واسط، وجعل عبد الله بن علي النفوى نائباً[٥] عنه في الحضرة اذ أن البريدى - على ما يبدو - كان يطمع في منصب امرة الأمراء

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم ٥/٣٩٣، ابن الجوزى: المنتظم ٦/٢٨٩، أبو الفداء: المختصر ٢/٨٦، ابن العماد: شذرات الذهب ٣/٣٠٧.

(٢) ابن العمراني: الأنباء ١٦٤، ابن الجوزى: المنتظم ٦/٢٩٦، ابن الأثير: الكامل ٦/٢٦٩.

(٣) أبو الفداء: المختصر ٢/٨٦، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/١٨٩، ابن العماد: شذرات الذهب ٣/٣١٠.

(٤) ابن الأثير: الكامل ٦/٢٧٠.

(٥) ن. م. س: ٦/٢٧٠.

ولم يكن يرغب في دخول بغداد الا بعد أن يبعد بجكم عنها ، وقد بدأ يخطط لذلك الهدف فأشار على بجكم بالمسير نحو بلاد الجبل لفتحها ، على أن يقوم هو بالزحف على الأهواز لاسترجاعها من يد ابن بويه.(١) وقد زحف بجكم فعلاً حسب الاتفاق ، إلا أن البريدي لم يتحرك ، وانما قصد ابعاد أمير الأمراء بجكم عن بغداد . ليسير هو ويدخلها ويتولى منصب امرة الأمراء بدلا منه .

غير أن خطط البريدي قد بلغت مسامع بجكم ، فتراجع مسرعا الى بغداد . ثم عزل ابن البريدي عن الوزارة فبقي هذا في واسط، بينما عين بجكم سليمان بن الحسن بن مخلد بدلا عنه.(٢)

وهكذا كان بجكم في الفترة التي قضاها في منصب امرة الأمراء ، كان يتمتع بمنزلة عالية لدى الخليفة ، حتى أن الراضي أخذ يلتزم بآرائه في كل ما يعرض للدولة من مشاكل كبيرة كانت أم صغيرة . ويبدو أن الخليفة الراضي بالله ، قد أحسّ بعدم رضا وارتياح الرأي العام، من تسلط بجكم على الخلافة والدولة ، فبرر تصرفه هذا على ما نقل الصولي ، بأن الضرورة اقتضت ذلك وقال : " كان الأجود أن يكون الأمر كله لي ، كما كان لمن مضى قبلي ، ولكن لم يجر القضاء بهذا لي".(٣)

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٧٣ .
(٢) الصولي : أخبار الراضي ١٤٤ ، ابن الطقطقي : الفخري ٢٨٣ .
(٣) الصولي : أخبار الراضي ٤١ .

أما البريدى فقد امتنع عن حمل أموال واسط للعاصمة [١] ، مما دفع بجكم الى أن يتجهز ، ويزحف الى واسط لحربه ففر ابن البريدى إلى البصرة مما سهل مهمة بجكم . فدخل واسط ، وجعل أبا جعفر محمد بن يحى بن شيرزاد والياً عليها . بينما استقر ابن البريدى فى البصرة ، وأصبحت تحت حكمه .

ويبدو أن نفوذ أمير الأمراء - في آخر عهد الخليفة الراضي - قد ازداد ، حتى أنه طغى على شخصية الخليفة نفسه ، فسلب منه أخطر اختصاصاته في الحكم وهو اختيار ولي العهد . فقد اعترف الخليفة الراضي بالله ، وهو في مرضه الأخير ، بأن ولاية العهد خاضعة لرأى أمير الأمراء . لذا فانه عندما أحس بقرب نهايته ، أرسل - إلى أمير الأمراء بجكم وهو في واسط - رسالة يخوفه شدة علته ، ويسأله أن يعقد ولاية العهد لابنه أبى الفضل [٢] ، والواقع أن رأى أمير الأمراء كان حاسماً . وكان القول الفصل في ولاية العهد آنذاك . فقد أهمل أمير الأمراء رغبة الخليفة الراضي الأخيرة ، بعقد ولاية العهد لأصغر أبنائه ، وبقى منصب الخلافة بعد وفاة الراضي بالله شاغراً ، انتظاراً لأمر بجكم ، فيمن ينصب للخلافة [٣] وقد تم اختيار المتقى لله بعد ذلك بطريقة مبتكرة اذ أنه بعد مداولات ورجوع الى آراء مختلفة . وافق بجكم - فيما يظهر - على

---

(١) الصولى : أخبار الراضي ١٤٤

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ٦/٣١٦ ، السامراقى : المؤسسات ٧٣ .

(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٦/٢ .

المرشح الذى تم التوصل اليه ، وهو ابراهيم بن المقتدر . فأحضر الى داربجكم ، حيث عقد له الأمر وحمل من هناك الى دار الخلافة فأنفذ " الخلعة واللواء الى بجكم " الذى كان يقيم في واسط[١] وظل أميرا للأمراء الى أن قتل على يد أحد الأكراد عندما خرج للصيد فى شهر رجب سنة ٣٢٩ هـ[٢] في أول خلافة المتقى لله .

. . . . . .

---

(١) الصولي : أخبار الراضي ١٩١ ، ابن مسكويه : تجارب الأمم ٢/٦

(٢) ابن الأثير: الكامل ٢٧٩/٦ .

الفصل الثالث

الأزمات التي مرت بها الخلافة في عصر الخليفة الراضي بالله

الأزمة المالية

تغلب الولاة على الأقاليم وتقلص ظل الخلافة

القرامطة واضطراب أمن السواد

الأزمة المالية

الأزمة الماليـــة

كانت الدولة العباسية في عصرها الثاني من ضائقة اقتصادية ، نجمت عن تضافر جملة عوامل رئيسية ، تمثل أولها وأهمها في فساد جهاز الجبايـة وفشل التقويم الرسمي لها ، الذى كان لا يتلاءم ووضع المزارعين ، وهـــذا السبب لم يكن طارئاً ، فقد كان يعود فى الواقع الى أوائل العصـــــر الأموي .

ومع أن جهودا رسمية على مستوى عال ، قد بذلت من أجل الإصــلاح وتخفيف آثار هذين العاملين ، الا أن نتائجهما السلبية استمرت إذ أن محاولات الاصلاح تلك ، غالبا ما كانت قصيرة الأمد أو محدودة الأثـر ، مما نجم عنه عودة تأزم الحالة الاقتصادية ، بعد فتور الجهود التي كانـت تبذل لحلها وغياب نتائج تلك الاجراءات بفترة وجيزة . كما أن تدهـور معدلات الجباية ، والتي انعكست في قلة الواردات ، كانت قد نجمت في الواقع عن انسلاخ الأطراف وحصول الثورات وحركات التمرد والعنف . ومن جملة العوامل المسببة لذلك أيضا جشع القادة والجند أنفسهـــم واستئثارهم بالأموال ، وهذا ما أحس به علي بن عيسى ، وما حـــاول التغلب عليه عند توليه الوزارة في تلك الفترة .

ولقد كانت تصرفات بعض الوزراء سبباً في أزكاء الأزمة ، كمـــا أن الحروب والفيضانات وانتشار الأمراض ، وهجمات أسراب الجراد الـــتي كانت تتلف المزروعات ، كل هذه العوامل مجتمعة تضافرت لينتج عنهـــا تلك الأزمة الاقتصادية التي قاست منها البلاد .

وعندما كان يتجمع بعض الوفر في موجودات بيت المال ، فانه كان ينفق في تجهيز الجيوش ، والانفاق على الجند في حالات الحروب ، والأزمات ، أو الحوادث الطارئة ، وقد يقوم بعض الخلفاء بإنفاقها - دون ضرورة - في البناء والاغراق فيه والترميم كما حدث في عصر الخليفة الراضي بالله ، وقد كانت بعض الأموال تنفق أيضا على الصلات والهبات والهدايا .

وأما بالنسبة لعهد الراضي الذى نحن بصدد تقديمه ، فيمكننا أن نشير الى أن الدولة بعد عصر القاهر - الذى تميز بالفوضى وعدم الاستقرار - كانت الخزينة فيه تعاني من عجز كبير إذ كان الفرق واسعا بين المدخولات المحدودة لبيت المال وبين النفقات الكبيرة للدولة .

ومع أن عدة محاولات قد أجريت من أجل سد العجز في الميزانية لكنها جميعا باءت بالفشل . فقد بذل أول وزراء الراضي بالله مبلغ خمسمائة ألف دينار[(١)] في مقابل استيزاره . ولكن هذا الوزير مع ذلك لم يستطع فعل شيء لحل الأزمة المالية ، اذ أن أمراء الأقاليم قد توقفوا عن ارسال الأموال والحمول ، فقد امتنع ابن رائق عن إرسال الخراج الى العاصمة ، ومع أن الوزير قد أوفد اليه رسولاً ، يستحثه على ذلك ، فانه اكتفى باستقبال الرسول ، وأحسن اليه ورده[(٢)] . وعندما طالب الجند

----

(١) الصولى : أخبار الراضي ٤ ، ابن الطقطقي : الفخرى في الآداب السلطانية ٢٠٧ .

(٢) ابن الأثير: الكامل ٦/ ٢٥٠ .

الساجية والحجرية بأعطياتهم وأرزاقهم بعد أن حان موعد صرفها ، لم يجد الوزير ما يدفعه اليهم. فطلب من التجار تعجيل زكاة أموالهم [١]، حيث قام بجبايتها ودفعها للجند لتهدئتهم ، وذلك بمشورة بدر الخرشي ، الذى كان يتولى أمر الشرطة في العاصمة ، اضافة الى قيادة الفرقة المؤنسية . والملاحظ أن هذا التصرف كان خاطئا ، اذ أن الزكاة يجب أن تدفع لمستحقيها ممن ورد ذكرهم في نص الآية الكريمة ، ولا يمكن أن تضاف الى أموال بيت المال ، منعا من أن يجرى التصرف بها لغير مستحقيها ، وقد أشار أبويوسف في كتاب الخراج الى الجباية المختلطة لكل من الصدقات والخراج ، حيث كان العمل جار بها في السواد خلال عصر هرون الرشيد ، غير أنه عارض هذا الاجراء وطلب من الرشيد أن يخصص للجباية العامة من يتولاها ، وأن يفرد لجباية الصدقات شخصا موثوقا بدينه وأمانته ، يجبيها ويتولى توزيعها ، ونصح بألا تدخل بيت المال .

والحقيقة فانه لم تكن في الدولة العباسية كلها ضرائب ثابتة ونافذة على نحو موحد ، الا حقوق الأموال الاسلامية الشرعية ، والتى كانت تحسب على أساس الشهور بحسب السنة الهلالية .

والواقع أن التقويم الهلالي كان يعمل به في المدن ، حيث يقل الاعتماد فيها على الزراعة أو النشاط الزراعي ، في حين أنه في المناطق

---

(١) الصولي : أخبار الراضي ٧٦ ، على أنه ينبغي أن نلاحظ أن الأصل هو أن تصرف لمستحقيها ممن نصت عليهم آية الصدقات ، وأنه لا يحق للوزير ولا لغيره التصرف فيها خلاف حكم الله تعالى ، وأن هذا التصرف مخالف للشريعة .

الزراعية لابد وأن يتمشى نظام الضرائب مع حال الزراع ، وأوقات الغرس والحصاد . وبعبارة أخرى فانه لابد من الاعتماد في الزراعة على التقويم الشمسي ، وليس في ذلك ما يتعارض مع الشريعة السمحاء .(١)

وقد تدهورت حالة الزراعة في بلاد السواد - وهي عصب الانتاج الزراعي والواردات الخراجية لبيت المال - بين سنتي (٣٢٤ - ٣٣٤) هـ (٩٣٥ - ٩٤٥) م ، وكان هذا التدهور ذريعا . ولعل التخريب المتعمد لقنوات الري وضفاف الأنهار ، من قبل القوات العسكرية المتنازعة بقصد عرقلة تقدم الجيوش المعادية ، تجانب اتخاذها - المناطق المغمورة بالمياه - حاجزا لصد الهجوم الماغت ، كل ذلك ساعد على زيادة سوء الانتاج الزراعي ، وبالتالي قلة الواردات . وكانت هذه العوامل تتكرر بصورة رتيبة ، نتيجة للمنازعات المستمرة بين الولاة والأمراء الطامعين في السيطرة والتغلب على السلطة في العاصمة والتحكم بالخلافة .

ولقد أقدم أمير الأمراء ابن رائق مثلا ، خلال فترة الصراع بينه وبين الأمير بجكم ، على تخريب غالبية سدود نهر ديالى(٢) ، في محاولة منه لمنع تقدم قوات خصمه ، مما نجم عنه هلاك جميع المزروعات ، والقرى

---

(١) المقريزي : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ١ / ٢٧٣ ، مطبعة النيل - القاهرة ١٣٢٤هـ/١٣٢٦ هـ ، حيث ينقل ذلك عن كتاب أخبار أمير المؤمنين المعتضد بالله لأبي الحسين عبد الله بن أبي طاهر .

(٢) نهر ديالى : نهر كبير قرب بغداد . أنظر : ياقوت : معجم البلدان ٢ / ٤٩٥ .

الزراعية ، المعتمدة في اروائها على هذا النهر. ويظهر أن هـــــذه الفعلة المشينة ، لم تحقق له أهدافه . فقد أقدم على اتخاذ اجراءات مماثلة " كانت سببا في بثق المنهروان ".(١)

وقد يكون اهمال نظام الري ، وعدم الاهتمام باصلاح ما يحصل مـــن بثوق وانهيارات في الضفاف ، من الأسباب المهمة التي أدت الى تدهـور حالة الزراعة . بالاضافة الى ما مر ذكره من أسباب فقد نجم عن انبثـــاق نهري الرفيل ببوق قرب بغداد سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م ، تدمير شامـــل لمنطقة بادوريا(٢) الزراعية ، وقد تعذرت الزراعة فيها لفترة طويلة تجاوزت العقد مع العلم بأن هذه المنطقة الزراعية ، هي عماد أهل بغداد فـــي الأغذية والمنتوجات الزراعية ، ولم تبذل آنذاك أية محاولة جادة لســد تلك البثوق وتلافي خطرها(٣) وقد تكررت حالة انهيار الضفاف " البثوق في سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٣م انبثق نهر عيسى ، ولم يتمكن أمير الأمراء مــن اصلاحه مما نجم عنه بوار شامل للأراضي الزراعية المعتمدة عليه في الارواء(٤) ، وفي السنة التالية انبثق نهر الخالص(٥) ، الذي يروي المنطقة الشرقية مــن بغداد ، والأراضي الزراعية المحاذية لها على امتداد النهر الى الشمـــال .

---

(١) الصولي : أخبار الراضي ١٠٨ ، السامرائي : المؤسسات ١٨٣ .
(٢) بادوريا : طسوج بالجانب الغربي من بغداد . أنظر : ياقوت : معجم البلدان ٣١٧/١ .
(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٩٠/٦ ، السامرائي : المؤسسات ١٨٤ .
(٤) الصولي : أخبار الراضي ١٠٦ ، الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ٤١ .
(٥) نهر الخالص : نهر شرق بغداد وهو نهر المهدي . أنظر : ياقوت : معجم البلدان ٣٣٩/٢ .

مما نجم عنه خراب كبير[(١)] . ولعل هذه البثوق في الأنهار وما نتج عنه من بوار في الأراضي الزراعية كل ذلك كان من أسباب ارتفاع الأسعار وقلة الواردات . ويشير الصولي الى تلك البثوق والى مسئولية أمير الأمراء ابن رائق وجنده ، ويضيف قائلاً " قد خرب الدنيا وغلت الأسعار الى وقتنا هذا "[(٢)].

وقد أدرك الوزراء العلاقة الوثيقة بين الدخل الحكومي وحالة الزراعة . وحيث أن الضريبة الزراعية تشكل أهم مورد من موارد بيت المال ، فان النشاط الزراعي يعني زيادة الواردات الزراعية ، وبالتالي زيادة واردات بيت المال .[(٣)] لذلك فان مساعدة الفلاحين تعتبر سياسية مالية مستنيرة[(٤)] . ومع هذا فلم تؤخذ مصلحة المزارعين على الدوام بعين الاعتبار . ويمكن ملاحظة ذلك من التعميم الذى أصدره الوزير على بن عيسى بن الجراح ، الى عمال الخراج في جميع أنحاء الدولة العباسية ، والذى تضمن ضرورة " التوقف عن امضاء التسبيبات ، والالتزام بتوفير الايرادات "[(٥)] وهذا يعكس في الوقت ذاته الأزمة التي باتت الدولة العباسية تواجهها بشكل حاد وفعال ، وقد أدت هذه الأزمة المالية المستحكمة ، الى شيوع

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٦/٩٦ ، السامرائى : المؤسسات ١٨٤ .
(٢) الصولى : أخبار الراضي ١٠٦ .
(٣) الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى في القرن الرابع ٣٨ ، السامرائى : المؤسسات ١٨٠ .
-SAMARRAIE. H.I., Agricalture in IRAQ during the 3rd century A.H., PP. 104-145.
(٤) التنوخى : نشوار المحاضرة ١/٨٧ ، ٩٨ ، الدورى : تاريخ العراق ٣٨ .
(٥) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٢٦ ، ٢٨ ، السامرائى : المؤسسات ١٨١ .

ممارسات بعيدة عن العدل والانصاف تمثلت في تكرار اتباع أسلوب المصادرة نحو الوزراء المعزولين ، والتي لم تكن تقتصر على أموالهم وأموال أفراد عائلاتهم فحسب ، وانما تمتد لتشمل أموال جميع الكتاب الذين تعاونوا معهم ، خلال فترة وجودهم في السلطة . ويبدو أن اللجوء لمثل هذا الأسلوب ، انما كان بقصد مجابهة الحاجة المستمرة الملحة الى الأموال ، والتي كانت تتمثل في سد الحد الأدني من نفقات الدولة . على أن سياسة المصادرات ليست حدثا طارئا حصل في هذا العصر ، فالمصادر الاسلامية المبكرة تتحدث عن اجراءات مشابهة خلال العصر الأموى ، كما تتحدث عن استمرار المصادرات خلال العصر العباسي الأول . فالمنصور صادر خصوم العباسيين حينما أتيح له ذلك ، والرشيد صادر أموال البرامكة بعد أن نكبهم.(١)

أما في العصر العباسي الثاني فقد تطورت المصادرة من ناحيتي الأسباب والظاهر فلم تقتصر في أسبابها على العوامل السياسية اذ أنها مع ضعف السلطة المركزية ، وقلة الأموال ، أصبحت سياسة المصادرة أكثر رتابة ووضوحا ، وكانت تجرى بقصد محدود معلوم ، وليست نتيجة لأغراض أو انعكاساً لمواقف سياسية معينة ، فالمصادرات أصبحت تتسم نتيجة للحاجة الماسة للمال لسد نفقات الخلافة المباشرة ، ولكبح شغب الجند الذين كانوا يطالبون في الغالب بأرزاقهم المتأخرة .(٢)

---

(١) ابن خلدون : العبر ٣ / ٢٢٣ .
(٢) السامرائى : المؤسسات الادارية ٢٨٧ .

وهكذا فان الخليفة كان يعزل الوزير ، ويستوزر غيره ، ويصادر الوزير المعزول متى ألجأته الحاجة الى المال ، وحين يعجز عن توفيره[(١)]. ولعل نظرة سريعة الى الحالات التي حصلت فيها المصادرات ، تكفي للتدليل على أنها قد جرت في ظل أزمة مالية خانقة ، كانت الدولة فيها بأمس الحاجة الى ايجاد المال لسد النفقات الضرورية ، ولكبح جماح الجند الذين تكرر شغبهم ، وهم يطالبون بحقوقهم المتأخرة كما ذكرنا آنفا .

ولعل أوج ما بلغته المصادرة من العنف ، قد حصل في فترة سيطرة أمير الأمراء ابن رائق ، وحتى نهاية عصر الخليفة الراضي بالله ، فقد رأي أمير الأمراء بعض الوزراء - في عهده - في المصادرة موردا أساسيا للخزينة ، فتصرفوا على هذا الأساس[(٢)]. على أن المصادر المعاصرة تقدم لنا صورة أكثر دقة ووضوحا عن دور المصادرة وتكرارها وأثرها . ويكفي أن نشير هنا الى أن ابن مسكويه يقدم لنا خلال الفترة بين (٣٢٠ - ٣٣٤) هـ (٩٣٢ - ٩٤٥)م صورة لأربع عشرة مصادرة مختلفة[(٣)].

ويمكن أن نشير الى نموذج لهذه المصادرات قدمه الصابي[(٤)]، كانت قد جرت في وزارة ابن الفرات الثالثة في عهد الخليفة الراضي بالله ، ومن

---

(١) الصابي : الوزراء ٣٣٣ .
(٢) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ٥/٢٧٩ .
(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٢٤٦ ، ٢٥٣ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٦/٦١ ، ٨٠ ، ٨٨ ، السامرائي : المؤسسات ٢٨٩ .
(٤) الصابي : الوزراء ٤٤ وما بعدها .

الملاحظ فيها بأن المصادرة شملت كثيرا من الكتاب والأعوان ، الذيـــن بلغ عددهم أربعين شخصا . وأن بعض من شملتهم المصادرة ، قـــد تمت مصادرتهم مرتين . كما أن مجموع المبالغ التي تم استخراجها مـــن هذه المصادرة ، قد بلغ أكثر من ثمانية ملايين دينار ، ولعل في ذلــك ما يعكس أهمية المصادرة كمورد لبيت المال في ذلك الظرف العصيب .

وعلى الرغم من التقشف الكبير الذى حصل في معدلات الانفاق العام في مركز الدولة ، فان الأزمة المالية المستحكمة لم تحل ، ولم يتمكن عــلي بن عيسى وأخيه عبد الرحمن - اللذان اتصفا بالنزاهة والأمانة ، اذ لــم يشر أحد من المعاصرين ، الى أنهما كانا يستحلان أن يمدا أيديهما الــى أموال الناس بالباطل[1] - من حل الأزمة ، رغم الجهود التى بذلاهــا ، والتقشف الذى انتهجاه في سياستهما ، ومع ذلك فان علي بن عيســى وأخاه عبد الرحمن قد صودرا عند عزلهما ، والغريب أن أبا جعفر الكرخــي حينما تولى منصب الوزارة قام بالغاء جميع الاجراءات التي أحدثها عــلي ابن عيسى ، والتى قصد منها تقليص النفقات وزيادة الواردات ، رغبــة منه في الوصول بميزانية الدولة إلى حالة التوازن بين النفقات والواردات . وقد أدى اجراء الوزير الكرخي هذا الى التعجيل بفراغ الخزائن وبيــوت الأموال ، وتدهورت حالة الميزانية أكثر ، حيث أصبحت النفقات تفــوق الواردات كثيراً ، مما أدى إلى تفاقم الأزمة المالية. هذا إضافة إلى ظاهرة تكرار انقطاع الموارد من قبل الولاة المتمردين وغيرهم في تلك المرحلــة.

---

(١) الصولي : أخبار الراضي ٨٤ .

اذ قطع ابن رائق حمل واسط والبصرة [١] وقطع البريدى حمل الأهواز [٢] ، كما أن ابن بويه قد تغلب على فارس ، فلم يرسل الأموال التي اتفق مع الخليفة على دفعها حين أقره على الولاية . [٣] ولم يستمر الكرخي في وزارته هذه الا ثلاثة أشهر ونصف ، قبل أن يستتر ، فاستوزر الخليفة أبا القاسم سليمان بن الحسن ، [٤] الذى لم يتمكن ازاء تردى الأوضاع واستحكام الأزمة المالية الخانقة - من تسيير الأمور ، حتى أنه عجز عن الاستفادة من الامكانات المالية المتيسرة لديه . [٥] ولم يكن الخليفة الراضي بالله يلعب دورا مؤثرا في ادارة الدولة ، ولذلك فانه هو الآخر كان عاجزا عن حل الأزمة ، التي وصلت بالدولة الى طريق مسدود ، ولعل في عدم توفر الأموال لدى الخليفة - حتى لما يكفيه للصلة - ما يشير الى طبيعة هذا الدور المحدد [٦] الذى كان ينتهجه ، وهكذا فان التبديل السريع للوزراء لم يحل الأزمة ، وان كان قد حقق توفير بعض الأموال المتمثلة فيما يستخرج من مصادرات المصادرين ، وقد كان يجرى الاشراف على أموال المصادرات من قبل ديوان المصادرين . [٧] الا أنها كانت توجه الى بيت المال الخاص أو العام ، حسب رأى الخليفة أو الوزير أو أمير الأمراء ، ويرى الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدورى ، بأن ذهاب أموال

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٥٤ ، القلقشندى : مآثر الأنافة ٢٨٧ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٥٤ .
(٣) ن.م.س : ٦/ ٢٥٤ .
(٤) ن.م.س : ٦/ ٢٥٤ ، ابن الطقطقى : الفخرى ٢٨١ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ٢٤٢ .
(٥) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٥٠ ، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٥٤ ، السامرائى : المؤسسات ٢٢٧ .
(٦) الصولى : أخبار الراضي ١٢٩ .
(٧) السامرائى : المؤسسات ٢٨٦ ، ٢٩١ .

المصادرة للخزينة ، يعني اعادة توزيعها على الموظفين في الرواتب . وهذا يشير الى أنها كانت توجه في الغالب الى بيت مال العامة أي " خزينة الدولة " ولعل من الطريف أن نشير هنا الى أن بعض الذين شغلوا منصب " صاحب ديوان المصادرين " ، قد شملتهم المصادرات أسوة بزملائهم أصحاب الدواوين والكتاب.(١)

ونلاحظ أن سوء الأوضاع المالية وترديها ، واستحكام الأزمة ، قد دفع الخليفة الراضي بالله - كما سبق وأسلفنا - إلى الموافقة على تسليم مقاليد الأمور الى ابن رائق وتعيينه أميراً للأمراء.(٢)

أدرك ابن رائق بأن الحاجة الى الأموال ، هي في واقع الحال لتغطية النفقات ، والتي كانت أعطيات الجند تشغل قسطا كبيرا منها . ولذلك فانه - ومن منطلق الرغبة في التخفيف عن نفسه في تعهده بتحمل النفقات ، قد بادر الى اتباع سياسة اقتصادية ، وابتدأ ذلك بإلغاء مصروفات الجند الساجية فقد أمر بالقبض على قادتهم في ذي الحجة سنة ٣٢٤ هـ/ ٩٣٦ م(٣) ، وحل تشكيلاتهم العسكرية ، ونهب دورهم . ولكن الجند الحجرية توجسوا منه خشية أن يفعل بهم مثل ما فعل بزملائهم ، غير

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٢١ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٥٤ ، ابن الطقطقي : الفخري ٢٨٢ ، الذهبي : العبر في خبر من غبر ٢ / ٢٠٠ ، القلقشندي : مآثر الانافة ٢٨٧ ، الشباني : نظام الحكم والادارة ٦٧ .
(٣) الصولي : أخبار الراضي ٨٥ ، ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٥١ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٥٤ ، أبو الفدا : المختصر ٢ / ٨٤ ، العصامي : سمط النجوم العوالي ٣ / ٣٦٢ .

أن ابن رائق لم يحرمهم اهتماما ، فقد أقدم على اسقاط نفقات خلفاء الحجاب ، الذين كانوا من الجند الحجرية ، تحت ستار العمل على تخفيف الضغط على الخزينة.[1] كما أنه بادر الى الخروج لحرب البريدى ، الذى أخر ارسال الأموال ، التى ضمن ارسالها.[2] ولكن ذلك لم يأت بنتيجة تذكر. وقد لاحظنا كيف أنه استدعى ابن الفرات وولاه الوزارة ،[3] رغبة في أموال الشام ومصر. اذ كان ابن الفرات يتولى الخراج هناك. وكيف أنه صادر أملاك ابن مقلة ، وأملاك ابنه الذى كان يتولى منصب نائب الوزير في وزارته الأخيرة. وقد وصلت به الحال الى أنه استمرأ الاستيلاء على أموال الناس بالباطل. وقد تحدثنا عن استيلائه على تركة رجل كان قد توفي ظالما بهذا عصبته . وكيف أنه اضطر الى ارجاع التركة ، بعد تدخل القاضي العروضي ، الذى كان يتولى المواريث . حيث أخبر القاضي الخليفة الراضي بالله بالأمر ، فأنكر الخليفة ذلك ، وأمر برد التركة لأصحابها.[4]

وقد استمرت الأزمة المالية تلقي بثقلها على الدولة ، فلم تنجح كافة محاولات ابن رائق واجراءاته لحل الأزمة ، ولعل عجزه عن مجابهة الوضع وتخاذله ، قد أدى بالخليفة الراضي بالله ، الى تأييد مجئ القائد بجكم أميرا للأمراء .

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٥٧ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٣٠١/٢

(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٥٧ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٣٥٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٥٦ ، ابن الطقطقى : الفخرى ٢٨٢ ، أبو الفدا : المختصر ٢ / ٨٤ .

(٤) الصولي : أخبار الراضي ١٠٤ .

وقد ساءت أحوال البلاد كثيرا ، وأهملت الاصلاحات العامة ، وحدثت مجاعات شديدة ، وانتشرت الأوبئة. حتى أن الخبز عز في بغداد سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م ، وغلا سعره الى أن بلغ كرّ الحنطة مائة وعشرين دينارا. والشعير تسعين دينارا[١]، مما جعل ناصر الدولة الحمداني ، يرسل مائة كر[٢] دقيق ليفرق على الناس[٣] في بغداد ، وسر من رأى. ومما يبين مدى ما كانت العاصمة تعانيه من قلة المواد الغذائية ومدى فرحة سكان هاتين المدينتين الرئيسيتين بذلك.[٤] وأن كانت فرحتهم هذه قصيرة الأمد. اذ سرعان ما عادت الأزمة وعز الخبز في بغداد ثانية ، وضج الناس من غلاء الأسعار ، وشكوا الجوع[٥]، وشغب العامة في مسجد الرصافة[٦]. وأشار الوزير بأن يسعر المكوك[٧] من الدقيق بثلاثة دراهم

---

(١) الهمذاني : تكملة تاريخ الطبري ٢٩٦ ، ابن الجوزي : المنتظم ٦/٢٧٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١١/١٨٢ .
(٢) الكر : من مكاييل العراق وهو ستون قفيزا ، والقفيز عشرة أعشار أو خمسة وعشرون رطلا بالبغدادي . أنظر : الخوارزمي : محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧) : مفاتيح العلوم ٤٣ ، صححته ادارة الطباعة المنيرية - مطبعة الشرق - القاهرة ١٣٤٢هـ . كما أن الكر يساوي أربعين أردبا . أنظر : ابن منظور : لسان العرب ١١/٤٥١ ، ٤٥٢ .
(٣) الصولي : أخبار الراضي ٧٦ .
(٤) ن.م.س : ٧٦ .
(٥) ن.م.س : ٦١ ، ٦٢ .
(٦) ن.م.س : ٧١ .
(٧) المكوك : سبعة أمناء ونصف . لمزيد من المعلومات أنظر : الخوارزمي : مفاتيح العلوم ٤٣ .

فلم ينفع ذلك. وهنا تدخلت الدولة للتسعير.[1]

ومما زاد الحالة سوءا احتباس القطر، مما جعل الأزمة تزداد تحكما، وقد أمر السلطان باقامة صلاة الاستسقاء. وكثر عبث العامة، واشتكى بنو هاشم في العاصمة من الضر الذى أصابهم من الأسعار وانتشار الأوبئة والمجاعة. حتى أنهم منعوا الامام من الصلاة يوم الجمعة بالجانب الغربي من بغداد، لذا فانه لم يؤد الصلاة الا بعد جهد جهيد، واضطر الى أن يخفف الصلاة.[2] وانتشر في الناس الطاعون، فقضى على عدد كبير من أهل بغداد.[3] وأصبح يحمل كل اثنين من موتاهم على نعش واحد، وقد يبقى الموتى على الطريق أحيانا. كما وقع في خراسان غلاء شديد ووباء، ومات من أهلها خلق كثير.[4] ولم تكن حال أصبهان أقل سوءا من خراسان اذ توفي الكثير من أهلها[5] نتيجة سوء التغذية وانتشار الأوبئة.

---

(١) الصولى : أخبار الراضي ٧١.
- ويرى ابن الأخوة أن التسعير لا يجوز وان فعل ذلك. انما يكون سنين القحط للرغبة في استقامة الأسعار والتخفيف عن الناس. لمزيد من التفاصيل أنظر: الفراء: أبو يعلى محمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) : الأحكام السلطانية ٣٠٣. مطبعة البابي الحلبي - القاهرة. الطبعة الثانية ١٣٨٦ هـ/١٩٦٦م، ابن الأخوة: محمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الأخوة (ت ٧٢٩ هـ/١٣٢٩م) : معالم القربة في أحكام الحسبة ١٢٠، ١٢١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م.
(٢) الصولي : أخبار الراضي ٦٦.
(٣) ن.م.س : ٨٣، ابن الجوزى : المنتظم ٦/٢٨٢.
(٤) ابن الأثير: الكامل ٦/٢٤٩.
(٥) ابن الجوزى : المنتظم ٦/٢٨٢، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/١٨٥.

ولم تكن الحكومة المركزية قادرة على تقديم أية خدمات أو حلول لمعالجة الأوضاع المتردية. ولم يقتصر الوباء على البشر، إنما انتشر بين الحيوانات أيضاً. فقد ظهر وباء في البقر سنة ٣٢٦ هـ/٩٣٨م (١)، قضى على عدد كبير منها. وكان لانتشار الضربات الوبائية في السكان أو في الحيوانات المعينة للبشر على الزراعة والغذاء، أثره الفعال اذ أسهمت كثيراً في تردي الأوضاع، وانتشار الفقر واهمال الاصلاحات. وبالاضافة الى هذا كله، فقد تكرر حصول فيضانات مدمرة خلال ذلك العصر، كما تكررت الحرائق دون أن تقوم الدولة بدور فعال في الإصلاح. اللهم الا في حالة واحدة. فعندما تكرر حصول الحرائق الكبيرة في أسواق الكرخ (٢)، وذهبت فيها أموال كثيرة للتجار. دفع لهم الراضي ثلاثة آلاف دينار، (٣) تعويضا لهم عما أصابهم.

وفي شهر جمادى الأولى من سنة ٣٢٧ هـ/٩٣٩م، سقط مطر عظيم وبرد مما أدى الى انهيار عدد كبير من الدور في بغداد (٤)، وازدياد الحالة سوءاً، كما ظهر بعد ذلك جراد كثير (٥) داهم المزروعات وقضى على الغلات الزراعية.

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ٦/٢٧٦.
(٢) الكرخ: بناه المنصور، يكون للتجار وأرباب الحرف في جانب من بغداد، ويقع ما بين الصراة ونهر عيسى، لمزيد من المعلومات أنظر: ياقوت: معجم البلدان ٤/٤٤٨.
(٣) ابن الجوزي: المنتظم ٦/٢٧٦.
(٤) ابن الجوزي: المنتظم ٦/٢٩٦، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/١٨٩.
(٥) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/١٨٩.

ومما زاد الحالة الاقتصادية سوءاً حصول الفيضانات العنيفة في نهري دجلة والفرات وفروعهما ، وقد نجم عن ذلك بثق في الصراة[١] الى نهر عيسى[٢] ، فغرقت قرى كثيرة ، وهلك الناس والحيوانات ، وتساقطت الأبنية . وقد أمر الخليفة الراضي بالله باصلاح البثق وولى ذلك راغب الخادم.[٣]

وزادت مياه دجلة في شعبان سنة ٣٢٨ هـ/٩٤٠م ، مما أدى الى حدوث بثق بنواحي الأنهار أغرق القرى وأهلك كثيرا من الناس ، وسقطت دور كثيرة في الصراة ، وتعرقلت المواصلات نتيجة تهدم جزء من القنطرة العتيقة وكذلك الجديدة[٤] .

وقد سمح الوزير ابن مقلة أيام وزارته ، بأن يتعامل الناس بالدراهم سواء أكانت غليظة أو ممسوحة رفقا بهم ، حتى أنه كثر التخليط في النقد ودار الضرب[٥] ، وقيل ان بجكم أمير الأمراء ضرب دنانير سيئة ، بينما

---

(١) الصراة : فرع من نهر الفرات يأخذ من نهر عيسى عند بلدة يقال لها المحول ، بينهما وبين بغداد فرسخ ، ويصب في دجلة ، وعند مصبه تقع عليه قنطرتان العتيقة فالجديدة ثم يصب في دجلة . أنظر : ياقوت: معجم البلدان ٣٩٩/٣ .

(٢) نهر عيسى بن علي يأخذ من الفرات ، ويجرى بمدينة المنصور والكرخ من الجانب الغربي ، وكثير من الأنهار تأخذ منه ، وينتهي ويصب في دجلة عند قصر عيسى بن علي، لمزيد من المعلومات أنظر : الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١/١١١، ١١٢، ياقوت: معجم البلدان ٥/٣٢١ .

(٣) الصولي : أخبار الراضي ١٣٧، ١٣٨ .

(٤) ابن الجوزي: المنتظم ٦/٣٠٠، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/١٩١ .

(٥) الصولي : أخبار الراضي ١٣٦ .

المعروف عن الدنانير الراضوية بأنها أكثر وزناً وأشد نقاء من الدينار المغربي وأنه ظل وسيلة للتعامل في مصر أيام الفاطميين.(١)

وهكذا فقد كانت الادارة المركزية للدولة العباسية ، خلال عصر الخليفة الراضي بالله تسير في دائرة مغلقة ، في محاولاتها لحل الأزمة المالية الخانقة . اذ أنها جابهت أزمة حادة بسبب انقطاع الموارد الخارجية ، وقلة الواردات المحلية وكثرة النفقات مما جعلها عاجزة عن مواجهة الكوارث والأمراض والأوبئة وضربات الجراد وبالتالي جعل الحالة تزداد سوءا ، اذ أدى عجزها هذا الى تدهور الحالة الاقتصادية والاضرار بالأمة كثيرا ، وجعل مؤسسات الدولة المختلفة تقف كلها على حافة الانهيار.

. . . . . .

---

(١) الدنانير الراضوية هي التي ضربت في عهد الراضي . لمزيد من التفاصيل أنظر: عبدالرحمن فهمي : موسوعة النقود الاسلامية وعلم النميات (٢٠ ، ٧٤٢ ، ٧١٩ - مطبعة دار الكتب ١٩٦٥م القاهرة.

تغلب الولاة على الأقاليم وتقلص ظل الخلافة

تغلب الولاة على الأقاليم

تألفت الدولة العباسية من عدد كبير من الولايات ، وقد تباينت علاقة كل منها بالمركز عن غيرها الى حد بعيد ، وكان الاشراف على هذه الدواوين يجرى عن طريق الدواوين الاقليمية . ولعل من المناسب أن نشير هنا الى أن الأزمات التي مرت بها الدولة ، قد أدت وبالتدريج الى اضعاف علاقة العاصمة بالولايات ، وكان لهذا أثر كبير في قيام الحركات الانفصالية المتكررة ، التى جابهتها الدولة العباسية ، في الفترة الزمنية ، التى نحن بصدد البحث فيها . كما تجدر الاشارة من جهة ثانية الى أن التبدل السريع في الوزارة ، قد نجم عنه عزل العمال - عن الولايات - الذين عينهم الوزراء المعزولين [1] . بعد ذلك فان هؤلاء اما أن يصبحوا من عناصر الشغب ، التي تتحين الفرص لإثارة الفتن ، حتى تعود جماعتها الى الحكم [2]. أو تعمد الى تجاهل أوامر المركز ، وتنفصل عمليا عن الخلافة مع الإبقاء على تبعية شكلية ، يضطر الخليفة معها ، وتحت تأثير حرصه على كيان الدولة . وتبعية الاقليم ، إلى منحها الاعتراف الرسمي بشرعية بقائها في منصبها بما يمكن أن ندعوه بالاعتراف بالأمر الواقع [3] .

وفي الحقيقة فان سلطات الخليفة الراضي بالله عند توليه الخلافة ، لم تكن تتعدى العاصمة كثيراً ، اضافة الى منطقة سواد العراق . أما بقية

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٤٢ .
(٢) التنوخي : الفرج بعد الشدة ٢/٩ - ١٠ .
(٣) السامرائي : المؤسسات ١٦٨ - ١٦٩ .

أقاليم الدولة الاسلامية ، فبالرغم من وحدتها الظاهرية ، وتبعيتها الاسمية للخلافة العباسية ، فإنها عملياً كانت تحت حكم الولاة الذين كانوا يستبدون بالأمر ويتصرفون فيها بما يوافق مصالحهم الخاصة .

ففي خلافة الراضي بالله ، وبعد أن تغلب علي بن بويه على شيراز. راسل العاصمة طالباً " مقاطعته " عليها . فأجيب الى طلبه . اذا اعترفت العاصمة بشرعية ولايته ، مقابل أن يدفع ثمانية ملايين درهم خالصة بعد النفقات والمؤن ".[1] فأرسل اليه الوزير خلعة ولواء .

ولعل هذا قد تم ، بعد أن أحس الوزير بعجز قوات الخلافة عن اعادة الاقليم الى السلطة الشرعية ، أو اعادة المتغلبين الى الطاعة .

وهكذا أجبرت الظروف القاهرة الادارة المركزية الى التصرف بشكل لا ينسجم مع مصالحها في المدى البعيد ، فعندما امتنع القائد بجكم عن تنفيذ أمر أمير الأمراء ابن رائق "بالمسير الى الأهواز ، لتولى إمارة الحرب فيها ، الا أن يكون له الحرب والخراج . فأجابه إلى ذلك وسيره اليها"[2] كما أن إدارة ولاية مصر كانت موزعة بين عاملين . حتى جاء ابن طولون فجمع بين المنصبين ، فأصبح حاكما مستقلا عن المركز.[3] وهكذا

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ٦/ ٢٨١ .

(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٦٠ .

(٣) حصل ذلك في فترة مبكرة عن تاريخ البحث. وقد استشهدنا به كمثال بقصد التوضيح . أنظر :
الذهبي : العبر ٢/ ٩١ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ٣٦٦ .

نلاحظ أن حكام أطراف الدولة نزعوا عنهم الطاعة ، وانفردوا بأقاليمهم . فقد صارت فارس والرى وأصبهان ، واقليم الجبال في أيدى بني بويه . وكرمان تحت حكم أبي علي محمد بن الياس ، وخراسان وبلاد ما وراء النهر في يد نصر بن أحمد الساماني ، وطبرستان وجرجان في يد الديلم . أما الموصل وديار ربيعة وديار مصر ففي يد الحمدانيين . في حين سيطر الأخشيديون على بلاد الشام ومصر . كما انفرد البريديون في الأهواز وواسط والبصرة . وقد تمكن زعيم القرامطة من التسلط على اليمامة والبحرين كما أسلفنا . في حين أقام بنو يعفر حكمهم في اليمن منذ خلافة المعتضد بالله . أما المغرب وافريقية فقد سبق وأن قامت بها الدولة الفاطمية ، التى كانت في تلك الفترة تحت حكم الخليفة القائم بأمر الله أبي القاسم بن المهدى العلوى الفاطمي . في حين كانت الأندلس قد انفصلت منذ بداية تأسيس الخلافة العباسية ، اذ تأسست فيها امارة أموية ، وكان يحكمها فى فترة بحثنا عبد الرحمن بن محمد الناصر الأموى .

ولعل من المناسب أن نلقي بعض الأضواء على طبيعة العلاقة بين العاصمة وأقاليم الدولة العباسية المختلفة ، حيث أن ذلك يكشف عن كيفية تغلب الولاة على تلك الأقاليم .

كان السامانيون قد أقاموا أمارة لهم في خراسان وبلاد ما وراء النهر على أنقاض الدولة الصفارية ، امتدت من ٢٦١ - ٣٨٩ هـ/ ٨٧٤ - ٩٩٩م .(١)

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٣ ، ٤ ، عصام الدين عبد الرؤوف : الدولة الاسلامية المستقلة في المشرق ٢٠ .

والسامانيون من أسرة فارسية عريقة ، وقد ظهرت مقدرتهم الحربية في قتال رافع بن الليث الصفار (١) في عهد الخليفة هارون الرشيد بن المهدى (١٧٠ - ١٩٣ هـ) (٧٨٦ - ٨٠٨ م) (٢) وعندما تولى المأمون بن الرشيد الخلافة (١٩٨ - ٢١٨) هـ (٨١٣ - ٨٣٣ م) (٣) عين أولاد أسد بن سامان الأربعة نوح وأحمد ويحيى والياس (٤) على سمرقند (٥) وفرغانة (٦) والشاش (٧) وهراة (٨) تقديرا لمنزلتهم واخلاصهم للدولة العباسية (٩) وكانت سمرقند (١٠) مركزا

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٣ ، ٤ .
(٢) الأربلي : خلاصة الذهب ١٧٠ .
(٣) ن . م . س : ١٨٦ ، ١٩٤ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٣ ، الدورى : دراسات ١٢٠ ، عبد الرؤوف : الدول الاسلامية ٣ .
(٥) سمرقند : مدينة مشهورة وهى قصبة الصغد ، مبنية على جنوبي وادى الصغد . أنظر : الخريطة ٣ . لمزيد من المعلومات أنظر : ابن حوقل : صورة الأرض ٣٩٢ ، ٤٠٨ ، ياقوت : معجم البلدان ٣ / ٢٤٦ .
(٦) فرغانة : مدينة واسعة في ما وراء النهر . متاخمة لبلاد تركستان . أنظر : الخريطة رقم ٣ . لمزيد من التفاصيل أنظر ابن حوقل : صورة الأرض ٣٩٢ ، ياقوت : معجم البلدان ٤ / ٢٥٣ ، القزوينى : آثار البلاد ٦٠٣ .
(٧) الشاش : مدينة في ما وراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الترك . أنظر خريطة رقم ٢ ، وأنظر : ابن حوقل : صورة الأرض ٣٩٢ ، ياقوت : معجم البلدان ٣ / ٣٠٨ .
(٨) هراة : مدينة عظمى مشهورة في مدن خراسان . أنظر : الخريطة رقم ٢ ، وأنظر : ابن رستة : الأعلاق النفيسة ١٠٥ ، ابن حوقل : صورة الأرض ٣٦٦ ، ياقوت : معجم البلدان ٥ / ٣٩٦ ، القزوينى : آثار البلاد ٤٨١ .
(٩) أبو الفدا : المختصر ٢ / ٥٠ ، ابن خلدون : العبر ٤ / ٣٣٣ ، حيدر : الدويلات الاسلامية ٨٤ ، الدورى : دراسات ١٢٠ ، عبد الرؤوف : الدول الاسلامية ١٣ .
(١٠) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٤ ، الدورى : دراسات ١٢٠ .

للامارة السامانية ، ثم أصبحت بخارى[(١)] مركزها بعد أن ضمت اليها وكان يحكمها آنذاك نوح بن أسد بن سامان وخلفه بعد وفاته ابنه أحمد بن نوح ثم تلاه الأمير نصر ٢٥١ هـ/٨٦٤ م[(٢)]. وقد سبق وأرسل الخليفة المعتمد على الله[(٣)] (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ) (٨٧٠ - ٨٩٢م) ، الى نصر بن أحمد بن نوح الساماني منشورا ، اعترف فيه بشرعية ولايته على الأقاليم الممتدة من شواطئ جيحون حتى أقصى بلاد الشرق[(٤)]. وهكذا تتابع السامانيون على حكم خراسان وما وراء النهر. وقد ملك الأمير نصر بن أحمد بن اسماعيل الساماني زمام الحكم ابتداء من ٣٠١ هـ /٩١٣م[(٥)] فقبض على منافسيه من أعمامه وأبنائهم ، وتمكن من انزال الهزيمة بالعلويين[(٦)] في طبرستان (٣٠٩ هـ/٩٢١م) . وعمل على استرجاع نفوذه على خراسان ، وكذلك على بلاد ما وراء النهر. وكان والي السامانيين على خراسان آنذاك أبو بكر

---

(١) الثعالبي : يتيمة الدهر ٤/١٠١ ، حيدر : الدويلات الاسلامية في الشرق ١٩٤ ، الدوري : دراسات ١٢٠.

(٢) ابن خلدون : العبر ٤/٣٣٣ ، الخضري : تاريخ الأمم الاسلامية ٢/٢٧٢.

(٣) ابن الأثير : الكامل ٦/٤ ، الخضري : تاريخ الأمم الاسلامية ٢/٢٩٤ ، الدوري : دراسات ١٢٠.

(٤) ابن الأثير : الكامل ٦/٤ ، ابن خلدون : العبر ٤/٣٣٤ ، الدوري : دراسات ١٢٠ ، عبد الرؤوف : الدول الاسلامية ٢٣.

(٥) الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض ١٧٢ ، القلقشندي : مآثر الانافة ٢٨١.

(٦) ابن الأثير : الكامل ٦/١٦٩ ، الدوري : دراسات ١٢١ ، عبد الرؤوف : الدول الاسلامية ٢٨.

محمد بن المظفر بن محتاج [١]، وقد خلفه ابنه أبو علي أحمد ، ولم يكن يربط السامانيين بالخلافة العباسية سوى التبعية الاسمية . اذ كانت مناطق حكمهم تعد جزءاً من ديار الخلافة الاسلامية .

أما طبرستان [٢] وجرجان [٣] فقد استولى عليهما الحسن الأطروش الزيدي العلوي وكان استيلائه على طبرستان [٤] (٣٠١/ ٩١٣ م) أيام حكم السعيد نصر الساماني ، وخرجت بذلك من سيطرة السامانيين . وقد استخلف أحد قادة الديلم وهو ماكان بن كالي على استراباد [٥]، وكان أسفار بن شيرويه من قواد ماكان الأشداء ، ومن أعيان الديلم [٦]. كما أنه يعتبر من أخلص أتباعه غيرأنه ماكان تركه واتصل بأبي بكرمحمد بن اليسع وقد سيره هذا إلى جرجان لفتحها ، فتمكن من ذلك وضمها [٧] الى سلطة حاكم نيسابور . ولكن ما أن توفي أبو بكر بن اليسع ، حتى أقدم الأمير نصر بن أحمد الساماني على تعيين أسفار بن شيرويه واليا عليها [٨] سنة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٧٠ ، ابن خلدون : العبر ٤/ ٣٤٣ .
(٢) طبرستان : اقليم بين العراق وخراسان ، بقرب بحر الخزر . أنظر : الخريطة ٢ ، وأنظر : القزويني : آثار البلاد ٢١٧ .
(٣) جرجان : مدينة عظيمة قرب طبرستان ، أنظر : خريطة ٢ . وأنظر : القزويني : آثار البلاد ٣٤٨ - ٣٤٩ .
(٤) ابن خلدون : العبر ٤/ ٣٣٨ .
(٥) استراباذ : مدينة مشهورة في اقليم طبرستان . أنظر الخريطة ١ ، لمزيد من المعلومات أنظر : ابن حوقل : صورة الأرض ٣٢١ ، ياقوت : معجم البلدان ١/ ٧٥١ .
(٦) ابن خلدون : العبر ٤/ ٣٤١ .
(٧) ابن الأثير : الكامل ٦/ ١٨٩ .
(٨) ابن الأثير : الكامل ٦/ ١٨٩ ، ابن خلدون : العبر ٤/ ٣٤١ .

وقد أرسل أسفار في طلب مرداويج بن زيار الديلمي ، حيث صالحه واعتمد عليه كما يظهر. فقد ولاه امرة الجيش[(١)] ، كما أنه ضم طبرستان إلى جرجان ، إلا أن مرداويج قائد جيش أسفار بن شيرويه ، تآمر مع ماكان بن كالي سنة ٣١٦/٩٢٨م على أسفار وقتله[(٢)] .

وقد تولى مرداويج البلاد في أعقاب هذه المؤامرة الغادرة كما أخذ في التوسع ، فاستولى على همذان[(٣)] ، وكنكور[(٤)] ، وقم[(٥)] ، وقاشان[(٦)] ، وأصبهان والدينور[(٧)] . ولم يكتف مرداويج بهذه الانتصارات ، بل حدثته نفسه

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١٨٩/٦ .
(٢) ن.م.س : ١٩٨/٦ ، ابن خلدون : العبر ٣٤٢/٤ .
(٣) همذان : أكبر مدينة في اقليم الجبال . أنظر: الخريطة ٢ ، ولمزيد من التفاصيل أنظر: ابن رستة : الأعلاق النفيسة ١٠٩ ، ابن حوقل : صورة الأرض ٣٠٦ ، ياقوت : معجم البلدان ٤١٠/٥ ، القزويني : آثار البلاد ٤٨٣ .
(٤) كنكور : بليدة بين همذان وقرميسين . أنظر: القزويني : آثار البلاد ٤٤٨ ، ياقوت : معجم البلدان ٤٨٤/٤ .
(٥) قم : مدينة قرب أصفهان . تذكر مع قاشان . أنظر: الخريطة ٢ ، لمزيد من المعلومات أنظر: ابن حوقل : صورة الأرض ٣٠٨ ، ياقوت : معجم البلدان ٣٩٧/٤ .
(٦) قاشان : مدينة بين قم وأصبهان . أنظر: الخريطة ٢ ، لمزيد من التفاصيل أنظر: ياقوت : معجم البلدان ٢٩٦/٤ ، القزويني : آثار البلاد ٤٣٢ .
(٧) دينور : مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين وهي ماه الكوفة . أنظر : الخريطة رقم ٢ ، لمزيد من المعلومات أنظر: ابن حوقل : صورة الأرض ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ياقوت : معجم البلدان ٥٤٥/٢ .

في القضاء على خليفة ما كان بن كالي[١]. وفعلاً فقد زحف على طبرستان وجرجان ، وتغلب على ماكان بن كالي نفسه[٢].

أثار هذا التوسع استنكار الخلافة في بغداد[٣]، فبادرت إلى إرسال قواتها بقيادة هرون بن غريب الخال[٤] (٣١٩هـ/٩٣١م) ، غير أن قوات العاصمة لم تصمد أمام قوات مرداويج ، الذى حقق عليها النصر ، وكانت ثمرة ذلك أن ضم مرداويج الى حكمه جميع اقليم الجبل وما وراء همذان غير أن هذا التوسع جر عليه المشاكل ، فقد اثار حفيظة البويهيين ومنافستهم .

والبويهيون هؤلاء من الديلم[٥]. جدهم بويه فناخسرو ، يلقب بأبي شجاع . كان صياداً فقيراً له ثلاثة أولاد علي والحسن وأحمد[٦]. عطوا في جيش ماكان بن كالي الديلمي . وقد تمكنوا بحنكتهم ومهارتهم العسكرية من الوصول الى المراكز الهامة في الجيش[٧] ، ثم انتقلوا الى مرداويج بن زيار

---

(١) ابن الأثير: الكامل ١٩٨/٦.
(٢) ابن الأثير: الكامل ١٩٨/٦.
(٣) ن.م.س : ٢١٤/٦.
(٤) ن.م.س : ٢١٤/٦ ، أبو الفدا : المختصر ٧٦/٢.
(٥) ابن الجوزى: المنتظم ٥٩٧/٦ ، أبو الفدا : المختصر : ٧٨/٢ ، ابن الوردى: تتمة المختصر ٣٩٤.
(٦) أبو الفدا : المختصر ٧٨/٢ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ٣٩٤.
(٧) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ١٦١ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ٣٩٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٢٩٢/٣.

الديلمي ، الذى رحب بهم وخلع عليهم ، وولى على بن بويه بلاد الكرج.[١]

أظهر على بن بويه كفاءة كبيرة في ادارة البلاد ، كما وسع نفوذه فاستولى على أصبهان.[٢] وبدت عليه دلائل الإستقلال عن مرداويج ، مما أثار مخاوف الأخير ، فأرسل لمحاربته جيشا بقيادة أخيه وشمكير[٣] بن يزيار الديلمي ، فتراجع ابن بويه عن أصبهان ، وتركها لوشمكير ، بعد أن جبى وارداتهـا شهراً واحداً[٤] ، ثم توجه على بن بويه بقواته نحو إرّجان[٥] ، مما جعله فـي مواجهة واليها أبي بكر محمد بن ياقوت[٦] ، الذى أحس بضعفه ازاء قوات البويهيين ،فتراجع دون قتال[٧] ، ثم قصد رامهرمز.[٨] وقد دخل البويهيـون ارجان في شهر ذى الحجة سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م . وبعد أن استقر علي بن بويه الملقب بعماد الدولة في ارجان ، توجه بقواته نحو شيراز[٩] فـي فارس لضمها الى حكمه ، في حين أرسل أخاه الحسن بن بويه الملقب بـ

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٢٧٧ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ١٦١ ، ابن الطقطقى : الفخرى ٢٧٨ ،أبو الفدا : المختصر ٢/ ٧٨ ،ابن الوردى : تتمة المختصر ٣٩٥ .
(٢) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ١٦١ ،أبو الفدا : المختصر ٢/ ٧٨ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ٣٩٥ .
(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٢٨٠ .
(٤) ن . م . س : ٥/ ٢٨٠ .
(٥) أبو الفدا : المختصر ٢/ ٨٩ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ٣٩٥ .
(٦) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٣٢ .
(٧) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٢٨٠ ،ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٣٢ ، ٢٣٣ .
(٨) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي اقليم خوزستان . أنظر : ابن رستـة : الأعلاق النفيسة ١٠٩ ،ابن حوقل : صورة الأرض ٢٢٧ ، ياقوت : معجـم البلدان ٣/ ١٧ .
(٩) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٢٩٨ ،ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٣٣ .

" ركن الدولة " الى كازرون (١)، وهي من أعمال فارس (٢) أيضا . ومع أن قوات البويهيين قد ألحقت الهزيمة بمعسكر ياقوت (٣)، فإن عماد الدولة خشي من اتحاد مرداويج بن زيار الديلمي مع ياقوت . فأسرع بالتوجه نحو كرمان (٤). غير أنه وجد قوات ياقوت تعترض طريقه ، اذ منعه ياقوت من عبور قنطرة كرطان ، فوقعت معركة بين الطرفين ، انتهت بانتصار البويهيين (٥). وكان من نتائج ذلك استيلاء البويهيين بقيادة عماد الدولة على شيراز (٦)، التي جعلها البويهيون قاعدة لهم ، أرسل علي بن بويه رسالة الى الخليفة الراضي بالله أخبره فيها بأنه على الطاعة ، وطلب منه منحه الصفة الشرعية ، وتعيينه أميراً على ما تحت يده من أعمال . على أن يبذل لبيت المال ثمانمائة مليون درهم سنويا (٧)، اضافة إلى تحمل النفقات والمؤن (٨). وقد أجيب الى طلبه ، فأرسلت له خلعة ولواء (٩)، على أن لا يسلما اليه حتى يعطي المال (١٠).

---

(١) كازرون : مدينة بفارس بين البحر وشيراز . أنظر الخريطة رقم ٢ ، لمزيد من المعلومات أنظر : ابن حوقل : صورة الأرض ٢٣٦ ، ياقوت : معجم البلدان ٤/٤٢٩ ، القزويني : آثار البلاد ٢٤٤ .

(٢) أبو الفداء : المختصر ٢/٧٨ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ٣٩٥ .

(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٢٨١ ، أبو الفدا : المختصر ٢/٧٨ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ٣٩٥ .

(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٢٨١ ، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٣٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٣٣ .

(٦) ابن الجوزي : المنتظم ٦/ ٢٧٠ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ٣٩٧ .

(٧) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٢٩٩ .

(٨) ابن الجوزي : المنتظم ٦/ ٢٧١ .

(٩) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٣٥ ، ابن الطقطقي : الفخري ٢٧١ .

(١٠) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٠٠ ، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٣٥ ، ابن الطقطقي : الفخري ٢٧٩ .

ومن المفيد أن نشير هنا الى أن الحذر من ابن بويه كان في محلــه . اذ حدث ماكان متوقعا . فقد وصل رسول الخلافة الى عماد الدولـــة ، وطالبه بالمال ، الا أن ابن بويه أساء معاملته وأرهبه . فأعطاه الرســول الخلع واللواء . وبقي عنده مدة ، وكان ابن بويه يماطله بالمال ، حــتى توفي الرسول .(١) ولعل ذلك قد حصل بتدبير من ابن بويه ، للتخلص من مسئولية دفع المال .(٢)

وقد أثار استيلاء علي بن بويه على فارس ، غضب مرداويج كثيراً ، فقــد اعتبر ذلك خطراً يتهدده ، فأخذ يخطط للقضاء عليه ، وأرسل جيشــاً الى الأهواز (٣) ليمنع اتصال ابن بويه بالخلافة . وكان ياقوت قد طلب ولاية الأهواز من الخليفة ،(٤) غير أن جيش مرداويج تمكن من التغلب على ياقوت ،(٥) حين استولى على رامهرمز والأهواز ، فانسحب ياقوت بجيشه نحو غربــي واسط حيث ابن رائق .(٦) إلا أن عماد الدولة أسرع باستمالة نائب مرداويج على الأهواز ،(٧) على أن يخطب لمرداويج في بلاده ، وأنفذ له أخاه ركــن الدولة رهينة ،(٨) وخطب له في بلاده . وبذلك أمن ابن بويه شره .

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٠٠ ، ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٢٧١ ،
ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٣٥ ، ابن الطقطقي : الفخري ٢٧٩ .
(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٠٠ ، السامرائي : المؤسسات ١٧٠ .
(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٠١ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٣٩ .
(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٠١ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٣٩ .
(٥) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٠٢ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٣٩ .
(٦) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٣٩ .
(٧) ن . م . ص : [illegible] ٦ / ٢٣٩ .
(٨) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣١٥ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٣٩ .

وقد أساء مرداويج معاملة الجند الأتراك ، فكان في ذلك نهايتـه اذ أنهم تآمروا عليه ، وتمكنوا من قتله .(١) واجتمع أصحاب مرداويـج وجنده من الديلم والجبل على طاعة أخيه وشمكير بن زيار الديلمي .(٢) الـذي كان بالري (٣) . وكان الأمير نصر الساماني قد أمر قائد جيشه محمد بـن المظفر بن محتاج (٤) الذي كان في خراسان ، بأن يسير بقواته الى قومس (٥) ، كما أمر ماكان بن كالي ، الذي كان مقره كرمان ، (٦) أن يسير بقواته مع محمد ابن المظفر ، ليقصدوا جرجان لانتزاعها من وشمكير .(٧)

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ٦ / ٢٦٨ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٤٤ ، ابـن الطقطقي : الفخري ٢٨٠ ، أبو الغدا : المختصر ٢ / ٢٨٢ ، ابن الـوردي : تتمة المختصر ٣٩٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٤٤ .

(٣) الري : مدينة مشهورة ، وهي قصبة بلاد الجبال . أنظر الخريطة رقم / ٢ ولمزيد من المعلومات أنظر : ابن حوقل : صورة الأرض ٣٠٤ ، ياقـوت : معجم البلدان ٣ / ١١٦ .

(٤) محمد بن المظفر بن محتاج : عينه نصر بن أحمد الساماني أميرا لجيش السامانيين بخراسان . أنظر : ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٤٦ .

(٥) قومس : اقليم واسع يشمل مدن وقرى يقع في ذيل جبال طبرستـان وقصبتها المشهورة الدامغان . أنظر الخريطة رقم / ١ ، ولمزيد مـن المعلومات أنظر : ياقوت : معجم البلدان ٤ / ٤١٤ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٤٦ ، ابن خلدون : العبر ٣ / ٣٤٣ .

(٧) ابن خلدون : العبر ٣ / ٣٤٣ .

توجه ماكان الى جرجان ، وأمده محمد بن المظفر بالجند وهو يسطام[١]، فحاربهم القائد بانجين الديلمي[٢] ، من أصحاب وشمكير الديلمي وهزمهم. وعندما أراد محمد بن المظفر التوجه بقواته الى جرجان ، اعترضهم بانجين الديلمي ، ومنعهم من دخولها. فتوجهوا نحو نيسابور[٣] التي أصبحت خاضعة لقوات ماكان بن كالي . وقد استطاع ماكان بن كالي من اعادة السيطرة على جرجان بعد وفاة بانجين الديلمي . إذ أرسل مجموعة من قواته الى جرجان تمكنت من الاستيلاء عليها . وما لبث ماكان وقواته أن أظهروا العصيان على محمد بن المظفر[٤] ، في حين أصبحت كرمان امارة مستقلة يحكمها أبو علي محمد بن الياس بن اليسع[٥]، الذي انشق على قوات نصر بن أحمد ، واستقل بولاية كرمان[٦] سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م . وقد ظهر منافسون آخرون لابن الياس في حكم كرمان من بني بويه اذ توجه أبو الحسن أحمد بن بويه الى كرمان على رأس قواته ، رغبة منه في أن تكون ولاية كرمان خالصة له[٧]. وفي الطريق الى كرمان استولى أحمد

---

(١) بسطام : بلدة كبيرة باقليم قومس ، قرب الدامغان . لمزيد من المعلومات أنظر: ابن حوقل: صورة الأرض ٣٢١ ، ياقوت : معجم البلدان ٤٣٦/١ ، القزويني : آثار البلاد ٣٠٨ .
(٢) ابن الأثير: الكامل ٢٤٧/٦ .
(٣) ن.م.س : ٢٤٧/٦ .
(٤) ن.م.س : ٢٥٦/٦ .
(٥) ن.م.س : ٢٤٧/٦ ، القلقشندي : مآثر الانافة ٢٩١ .
(٦) ابن الأثير: الكامل ٢٥٥/٦ ، ابن خلدون : العبر ٣٤٣/٣ .
(٧) ابن الأثير: الكامل ٢٥٥/٦ .

ابن بويه على السيرجان[١] ، في الوقت الذى كان فيه محمد بن الياس حاكم كرمان محاصرا في قلعة هناك . من قبل عسكر الساطانيين بقيادة ابراهيم ابن سيمجور الدواتي[٢] ، ولما وصل خبر قدوم معزالدولة أحمد بن بويه الى ابراهيم بن سيمجور ، أسرع بالعودة الى خراسان ، بعد أن فك الحصار عن محمد بن الياس . وما لبث الأخير أن توجه نحوبم[٣] .

توجه أحمد بن بويه قاصداً بم لمحاربة محمد بن الياس ، غيرأن هذا رحل الى جيرفت[٤] دون قتال[٥] . واتصل علي بن زنجي رئيس القفص والبلوص[٦] بمعز الدولة ، عارضاً عليه أن يحمل اليه المال بالاضافة الى ولائه وخضوعه له . إلا أن معز الدولة رفض استلام الأموال الا بعد دخوله جيرفت . فتأخر علي بن زنجي عشرة فراسخ عنه ، وعسكر في مكان صعب المسالك ،

---

(١) **السيرجان:** مدينة من أهم مدن كرمان . أنظر الخريطة رقم/ ٢ ، لمزيد من المعلومات أنظر: اليعقوبي : البلدان ٢٨٧ ، ابن رستة : الأعلاق النفيسة ١٠٦ ، ابن حوقل : صورة الأرض ٢٦٨ ، ياقوت : معجم البلدان ٣/ ٢٩٥ ، القزويني :آثار البلاد ٢٠٤ .

(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٥٣ ،القزويني :آثار البلاد ٢٠٤ .

(٣) بم : من أهم مدن كرمان ، لمزيد من المعلومات أنظر: ابن رستة : الأعلاق النفيسة ١٠٦ ، ابن حوقل : صورة الأرض ٢٦٨ ، ياقوت: معجم البلدان ١/ ٤٩٥ .

(٤) جيرفت : من أهم مدن اقليم كرمان ، أنظر خريطة رقم / ٢ ، وأنظر أيضا : ياقوت : معجم البلدان ٢/ ١٩٨ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٥٥ .

(٦) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٥٣ ، ابن الأثير: الكامل ٦/ ٢٥٥ .

في حين دخل ابن بويه جيرفت ، وتشير المصادر الى أنهما قد اصطلحا على شروط بينهما ، ودان علي بن زنجي لابن بويه بالولاء والتبعية .[١]

لم يف ابن بويه بشروط الصلح ، اذ أنه عاد وغدر بعلي بن زنجي ، غير أن الدائرة دارت عليه جزاء فعلته تلك . وقد قابل علي بن زنجي الاساءة بالاحسان فقد أحسن الى معز الدولة بعد القبض عليه وأسره ، وبادر بالكتابة الى عماد الدولة يعلمه بوقائع الأحداث ، وبغدر أخيه ، ومقابلته الغدر بالاحسان ، ويعلمه طاعته والولاء له .[٢]

استغل محمد بن الياس انشغال الفرقاء في هذه الحروب ، فتوجه الى مدينة جنابة ،[٣] غير أن ابن بويه معز الدولة بادر بالتوجه اليه ، حيث تمكن من ايقاع الهزيمة به .[٤] كما انتقم من علي بن زنجي وهزمه . غير أن عماد الدولة كتب الى أخيه يأمره بالعودة الى فارس . وهكذا عادت كرمان لولاية محمد بن الياس ، بينما بقيت فارس والري وأصبهان والجبل في يد ركن الدولة بن بويه ، وطبرستان وجرجان في يد الديالمه وما وراء النهر في يد نصر بن أحمد الساماني . وقد كان هؤلاء الأمراء مستقلون

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٥٥ .
(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٥٣ .
(٣) جنابه : بلدة صغيرة من سواحل فارس . أنظر الخريطة رقم ٢ ، ولمزيد من التفاصيل أنظر : ابن حوقل : صورة الأرض ٢٤٨ ، ياقوت : معجم البلدان ٢/ ١٦٥ ، القزويني : آثار البلاد ١٨٠ .
(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/ ٣٥٣ ، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٢٥٦ .

بولاياتهم ، لا يخضعون للخليفة الا شكليا بقصد المحافظة على شرعية ولايتهم أمام شعوبهم . أما في الحقيقة فهم أمراء متغلبون شبه مستقلون، وكانوا يتنازعون ويتنافسون فيما بينهم ، تبعا لمصلحتهم واجتهادهم وقدرتهم ، دون تدخل يذكر من قوات الخلافة الا نادراً .

كانت البصرة وواسط في يد ابن رائق وقد قطع حملهما[1] عن العاصمة . واستمر على هذا الحال منفردا بحكمها ، الى أن استدعاه الراضي بالله سنة ٣٢٤ هـ/٩٣٦ م ليوليه امرة الأمراء ببغداد .

أما البريدي فقد عقد له على الأهواز (خوزستان) منذ سنة ٣١٦ هـ/ ٩٢٨ م في عهد الخليفة المقتدر بالله[2] ، ووزارة أبي علي بن مقله . بعد أن بذل عشرين ألف دينار من أجل ذلك[3] غير أنه عزل سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م بعد عزل ابن مقلة عن الوزارة ، ولكنه ما لبث أن عاد الى ولاية الأهواز ، بعد أن دفع مبلغاً كبيراً لبيت المال في العاصمة[4] .

وفي عهد الخليفة الراضي تولى البريدي ضمان الخراج في الأهواز، اضافة الى كونه يتولى الكتابة لياقوت ، الذى كان الخليفة الراضي بالله

---

(١) القلقشندى : مآثر الانافة ٢٨٧ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ١٩٤/٦ .
(٣) ن٠م٠س : ١٩٤/٦ ، ابن خلدون : العبر ٤٨٣/٣ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ٢١٠/٦ ، ابن خلدون : العبر ٣٨٤/٣ ، حيث ورد ذكر أنه دفع مبلغ أربعمائة ألف دينار .

قد قلده أعمال الأهواز [(١)] ، وقد خرج ياقوت من الأهواز مرغما في أول شوال سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م ، سبب استيلاء جيش مرداويج عليها ، وقد تقدم ذكر ذلك . ثم عاد اليها بعد هزيمته أمام قوات علي بن بويه ، حيث تدخل أبو عبد الله البريدى في الصلح ، واستقر ياقوت في الأهواز ومعه ابن البريدى [(٢)] .

عظم أمر البريدى ، وقوى شأنه ، وحاز ثقة ياقوت . غير أنه لم يكن أهلا لذلك ، فقد انقلب على سيده ياقوت وقابله بالخيانة . اذ أنه تآمر عليه ، وكان ذلك سببا في قتله [(٣)] . وهكذا نجح البريدى في الاستيلاء على ولاية الأهواز . غير أنه لم يرسل الخراج للعاصمة [(٤)] ، مما أثار الخلافة ، فقامت الحرب بينه وبين أمير الأمراء ابن رائق ، الذى نصح الخليفة الراضي بالله بالانتقال الى واسط بسبب ذلك ، وفي سنة ٣٢٥ هـ / ٩٣٧ م وقد سير ابن رائق بجكم على رأس جيش الخلافة الى الأهواز لتأديب البريدى [(٥)] ، غير أن الأخير لجأ الى عماد الدولة مستنجدا به ، وقد أنجده البويهيون فعلا . اذ قدم معز الدولة ابن بويه ، فاستولى على الأهواز ، في حين استقل البريدى في البصرة ، وعاد بجكم يستقر في واسط . في الوقت الذى عاد فيه الخليفة الراضي بالله

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٦/٢٣٩ ، ابن خلدون : العبر ٣/٣٩٩ .
(٢) ابن الأثير: الكامل ٦/٢٣٩ .
(٣) ن.م.س : ٦/٢٥١ .
(٤) القلقشندى: مآثر الانافة ٢٨٧ .
(٥) ابن الأثير: الكامل ٦/٢٦٠ .

وأمير أمرائه الى بغداد .(١)

أما الموصل وديار بكر ومضر وربيعة فقد كانت تحت امرة بني حمدان . وقد تولى الحمدانيون اقليم الجزيرة سنة ٢٩٢ هـ/٩٠٥ م(٢) في عهد الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ)(٣) (٩٠٢ - ٩٠٨ م) عندما تولى حكمها أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون الثغلبي ،(٤) واستمر فيها الى سنة ٢٩٩ هـ / ٩١١ م حيث عزل لامتناعه عن دفع الأموال المقررة على ولايته الى العاصمة ، وقد قبض الخليفة المقتدر بالله على أبي الهيجاء سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م ،(٥) وولى أخاه داود بن حمدان سنة ٣٠٧ هـ/٩١٩ م(٦) بعد أن استبقى أبا الهيجاء في بغداد ،(٧) كما ولى أخاه الثاني ابراهيم بن حمدان ديار ربيعة ، ثم عاد المقتدر بالله وولى أبا الهيجاء ثانية على الموصل سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م(٨) غير أن أبا الهيجاء لم يغادر الى الموصل بل أرسل ولده ناصر الدولة الحسن نائبا عنه ،(٩) واستقر في بغداد حتى سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م حيث قتل لاشتراكه في الفتنة التي كانت سببا في عزل المقتدر مؤقتا .(١٠) واستمر ناصر الدولة الحسن بن أبي الهيجاء واليا على

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥/٣٨٤ ، ابن الأثير : الكامل ٦/٢٦٠ ، القلقشندى : مآثر الانافة ٢٨٨ .
(٢) ابن خلدون: العبر ٣/٢٢٩ ، السامر : الدولة الحمدانية ١/٢٠٣ ، الخضرى : تاريخ الأمم ٢/٣٢٦ .
(٣) ابن الوردى : تتمة المختصر ٤٠٠ ، ابن خلدون : العبر ٣/٢٢٩ ، الخضرى تاريخ الأمم ٢/٣٢٦ .
(٤) الذهبى : دول الاسلام ١/١٩٨ .
(٥) ابن خلدون : العبر ٣/٢٣٠ .
(٦) ن.م.س : ٣/٢٣٠ .
(٧) ابن الأثير : الكامل ٦/١٨٣ ، ابن خلدون : العبر ٣/٢٣٠ .
(٨) ابن الأثير : الكامل ٦/١٨٥ ، السامر : الدولة الحمدانية ١/٢٠٣ .
(٩) ابن الأثير : الكامل ٦/١٨٣ ، ابن خلدون : العبر ٣/٢٣٠ .
(١٠) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٠٢ .

الموصل الى سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م ، حيث عزل عنها وولى ديار ربيعة ونصيبين . وقد ولي الموصل بدلاً عنه عمه العلاء بن سعيد بن حمدان (١) ، الذى ضمن ابن أخيه ناصر الدولة بمال يحمله للخليفة سنوياً . وعندما توجه أبو العلاء إلى ابن أخيه ، ليطلب مال الخليفة الذى تأخر إرساله اليه ، ودخل دار ابن أخيه ، عمد ناصر الدولة الى خداعه ، فأرسل له من يخبره بأنه غير موجود ، وأن عليه أن ينتظر عودته ، فى حين أرسل اليه من قتله (٢) . وقد توجه ناصر الدولة بعد ذلك الى الموصل فضمها الى ولايته ، الا أن أخبار هذه الخيانة وصلت الى الخليفة ، فتأثر كثيراً ، وأرسل جيشا بقيادة الوزير ابن مقله في شهر شعبان سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٥ م ، الذى ما أن قرب من الموصل حتى اختفى ناصر الدولة (٣) ، وقد أقام ابن مقلة في الموصل حتى منتصف شوال سنة ٣٢٣هـ/٩٣٥م ، ثم عاد إلى بغداد ، وقد ظهر ناصر الدولة ثانية بعد مغادرة ابن مقله ، وأرسل الى الخليفة الراضي بالله ، يطلب اليه أن يصفح عنه ، وضمن ما تحت يده من امارة بمال ، يحمله الى بغداد . فوافق الخليفة (٤) على ذلك ، إلا أن ناصر الدولة ماطل فى إرسال المال حتى سنة ٣٢٧ هـ / ٩٣٩ م مما اضطر الراضي بالله المسير

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٢٤ ، ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٠٨ ، الذهبى : دول الاسلام ٢ / ١٩٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٦ / ٢٤٨ ، أبو الفدا : المختصر ٢ / ٨٣ ، الذهبى : دول الاسلام ١ / ١٩٨ ، ابن خلدون : العبر ٤ / ٢٣١ .

(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٢٤ ، أبو الفدا : المختصر ٢ / ٨٣ ، الذهبى : دول الاسلام ١ / ١٩٨ ، ابن خلدون : العبر ٤ / ٢٣١ .

(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٥ / ٣٢٤ ، أبو الفدا : المختصر ٢ / ٨٣ ، ابن خلدون : العبر ٣ / ٢٣١ .

اليه برققة قائد جيشه أمير الأمراء بجكم[1] لمعاقبته. وقد أقام الخليفة في مدينة تكريت ، بعد أن صحب جيشه من بغداد الى الموصل ، وقد تمكن بجكم من السيطرة على الموصل[2] ، بعد أن دحر قوات ناصر الدولة ، الذى بادر في طلب الصلح على أن يدفع خمسمائة ألف درهم معجلة.[3] وقد وافق الخليفة الراضي بالله على ذلك ، خاصة وأن بيت المال كان خاويا والدولة بحاجة ماسة إلى الأموال.

ومع أن الحجاز كانت خاضعة لحكم الدولة العباسية خلال فترة البحث فان المعلومات المتوفرة لا تعطي صورة واضحة عن طبيعة العلاقة بينها وبين المركز ، باستثناء ما ذكر عن قيام والي الحجاز ابن مجلب[4] ، في عهد الخليفة المقتدر بالله سنة ٣١٧ هـ/٩٢٩ م بمحاربة القرامطة بالتعاون مع أشراف مكة.[5]

أما اليمن فكانت تحت حكم بني يعفر ، وقد بدأوا حكمهم الرسمي عندما ولي المعتمد على الله العباسي يعفر بن عبد الرحيم بن ابراهيم والوالى سنة ٢٦٣ هـ/٨٧٦ م وحكمها بواسطة نائبه ابراهيم بن محمد بن يعفر.[6] وقد

---

(١) ابن العمرانى : الأنباء ١٦٤ ، ابن الجوزى : المنتظم ٦/٢٩٦ ، ابن الأثير : الكامل ٦/٢٦٩.
(٢) ابن العمرانى : الأنباء ١٦٤ ، ابن الأثير : الكامل ٦/٢٦٩ ، الذهبى : دول الاسلام ١/٢٠٠.
(٣) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٦٩.
(٤) ن.م.س : ٦/٢٠٣ ، ٢٠٤.
(٥) ن.م.س : ٦/٢٠٤ ، حافظ : تاريخ المدينة ١٩٦ ، السباعى : تاريخ مكة ١/١٤٨.
(٦) شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ١٩٠.

تتابع بنو يعفر على حكم اليمن ، حيث عاصر الراضي بالله ولاية أسعد بن أبي يعفر على اليمن والذى حكم بين سنتي ٢٨٢ - ٣٣١ هـ / ٨٩٦ - ٩٤٣ م.[١]

وقد كانت مصر بيد أبي بكر محمد بن طغج الاخشيد[٢] ، وهو من أولاد ملوك فرغانة[٣]. ولى مصر ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م[٤] ، بعد أن عزل أحمد بن كيغلغ عن ولايتها ، وقد توجه آنذاك نحو مصر على رأس قوة عسكرية ، حيث دخل الفسطاط عنوة ، بعد أن هزم أحمد بن كيغلغ في الأيام الأخيرة من شهر رمضان من نفس السنة . وكان في مصر ولايتان هما ولاية الحرب والصلاة وولاية الخراج[٥] ، وقد تولى الفضل بن جعفر في أول عهد ابن طغج تدبير الأموال والخراج وتدبير الحرب والرجال للاخشيد ، ولكن الفضل بحث شئون مصر المالية ، وخرج ومعه محمد بن علي الماذرائي[٦] مقبوضا عليه . وهكذا أصبحت ولاية مصر ماليا وعسكريا خالصة لابن طغج حيث تمكن

---

(١) شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ١٩٠.
(٢) أبو بكر محمد بن طغج . لقبه الخليفة بالاخشيد . وهو لقب ملوك فرغانة ، وقد ولد محمد بن طغج فى شهر رجب سنة ٢٦٨هـ/ ٨٨٢ م ، كان أبوه واليا على دمشق وطبرية من قبل الطولونيين ، ثم اتصل هو بوالى مصر تكين . في عهد المقتدر بالله ، وقلد الرملة سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م ، وفي سنة ٣١٩ هـ/ ٩٣١ م ولي دمشق .لمزيد من المعلومات أنظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥/ ٥٧ ، ٥٨ ، أبو الفدا : المختصر ٢/ ٨٢ ، ٨٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، سيدة كاشف : مصر في عصر الاخشيديين ٦٠ / ٦٨ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥/ ٨٩ ، سيدة كاشف : مصر في عصر الاخشيديين ٦٠.
(٤) الكندى : الولاة والقضاة ١٢٧ ، أبو الفدا : المختصر ٢ / ٨٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ٣٩٩.
(٥) سيدة كاشف : مصر في عصر الاخشيديين ٨٦.
(٦) ن.م.س : ٨٦

من صد هجوم الفاطميين عليها[١]. وظلت علاقة الموالاة والطاعة تربط ابن طغج بالخلافة العباسية. وكان الخطباء في بلاد مصر جميعها يدعون للخليفة العباسي على المنابر ، كما كانت أسماء الخلفاء تذكر في الطراز بمصر ، وكذلك فان الدنانير التي ضربت بمصر[٢] - خلال تلك الفترة - كان عليها اسم الخليفة الراضي بالله مما يشير الى استمرار تبعيتها - الى حد ما - للخلافة العباسية .

أما المغرب وأفريقية فقد استقلت سنة ٢٩٦ هـ[٣] / ٩٠٩ م ، على يد المهدى أبي محمد عبيد الله بن أحمد بن اسماعيل العلوى ، الذى لقب بأمير المؤمنين ، وقد كان أبو عبد الله الشيعى[٤] يتولى قيادة جيش العلويين وتسهيل الأمور لهم ، ولكن المهدى تخلص منه عندما خضعت له البلاد ، واتخذ المهدية عاصمة له[٥] في سنة ٣٢٢ هـ/٩٣٤ م . وهى السنة التى تولى فيها الراضي بالله الخلافة. وعندما توفى المهدى خلفه ابنه أبي القاسم نزار[٦] ، الذى سار على سنة أبيه واستطاع تدبير الأمور

---

(١) الكندى : الولاة والقضاة ١٣٧.
(٢) سيده كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ٢٠٠.
(٣) ابن الأثير : الكامل ٦/١٣٣ ، ابن الطقطقى : الفخرى ٢٦٢ ، أبو الفدا : المختصر ٦٣ .
(٤) ابن الأثير: الكامل ٦ / ١٣٤ ، أبو الفدا : المختصر ٢/٦٤،٦٥.
(٥) ابن الأثير: الكامل ٦ / ١٣٤.
(٦) ابن الأثير: الكامل ٦/٢٣٨، ابن الطقطقى : الفخرى ٢٦٣ ،أبوالفدا : المختصر ٢/٨٠ ، الذهبى : دول الاسلام ١/١٩٧، ابن الوردى : تتمة المختصر ٢٩٧.

وأصبحت الخلافة الفاطمية ، تنافس العباسيين زعامة العالم الاسلامى ، ولم تكن هناك أية علاقة ود تربطها بالدولة العباسية بل على العكس فان أبا القاسم نزار أرسل جيشا طويا محاولا الاستيلاء على الاسكندرية غير أنه لم يتحقق له ما أراد .

أما الأندلس فقد استقلت تحت حكم الدولة الأموية . وقد عاصر الأمير عبد الرحمن الناصر الخليفة الراضي بالله ، وهو أول من تلقب من الأمويين بألقاب الخلفاء ، وتسمى بأمير المؤمنين.[1] وعندما رأى الفاطميون ذلك اتخذوا أيضا هذا اللقب . فأصبحت ديار الاسلام خاضعة الى ثلاثة محاور يتولى كل محور منها من يتسمى بامرة المؤمنين .

.. .. ..

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٣٦٠ .

القرامطة واضطراب أمن السواد

القرامطة واضطراب أمن الســـواد

القرامطة حركة طائفية تنسب الى الشيعة العلوية[(١)] . ويعود سبـــب تسميتهم بالقرامطة الى مؤسس الحركة الذى اختلفت المصادر في تحديده وتحديد الفترة التي عاشها . فقد ذكر الإمام ابن الجوزى بأن رئيس هذه الدعوة في السواد ، والذى يلقب " بقرمطويه " ، قد نسبت اليه هذه الدعوة[(٢)] . في حين أن نفس المصدر نقل رأياً آخر ، جاء فيه " أن قرمـط هو غلام اسماعيل بن جعفر. لأنه أحدث لهم مقالاتهم"[(٣)] .

بينما يرى آخرون أنها نسبت الى أحد دعاة الاسماعيلية ويقال لــــه " كرميته " ثم خفف الاسم فقيل قرمط[(٤)] وعرف أتباعه به . ولعلهم لقبـــوا بهذا نسبة الى رجل من دعاتهم ، يقال له " حمدان قرمط "[(٥)] . وأكثر المصادر تذهب الى هذا الرأى ، حيث اتفق جمهور المؤرخين على أن حركــــة

---

(١) الدورى : دراسات ١٢٧ .
(٢) ابن الجوزى : المنتظم ٥/١١١ .
(٣) ن . م . س : ٥/١١١ .
(٤) ن . م . س : ٥/١١١ ، الدورى : دراسات ١٥٧ .
(٥) البغدادي : أبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادى (ت ٤٢٩) : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ١٦٩ ، مكتب نشــر الثقافة الاسلامية - قونية - ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م ، ابن الجـوزى : المنتظم ٥/١١٣ ، ابن خلدون : العبر ٣/٣٣٥ ، بروكلمـــان : تاريخ الشعوب ٢٢٩ .

القرامطة في العراق وسوريا هي جزء من الدعوة الاسماعيلية.[١] والحركة الاسماعيلية تنسب الى عبد الله بن ميمون القداح . فقد كان هذا من أتباع أبي الخطاب،[٢] الذى كان من غلاة الشيعة . والذى نشر مبادئ غريبة ، ونسب الى الامام الصادق قوى الهية . ويعتبر أبو الخطاب منشئ مذهب الإسماعيلية . وقد أخذ هذه الآراء عنه عبدالله بن ميمون القداح وعمل على نشرها ، فبث دعاة[٣] في مناطق مختلفة . ومن دعاته حسين الأهوازى ،[٤] الذى لقي حمدان بن الأشعث - الملقب بقرمط - في سواد الكوفة . ودعاه الى مذهبه ، فتولى حمدان بدوره نشر المبادئ ورئاسة الدعوة.[٥] وقد تم له ما أراد وأظهر مقدرة فائقة في التنظيم بين أتباعه.[٦]

ويرى الشهرستاني في القرامطة " أن لهم دعوة في كل زمان ، ومقالة جديدة بكل لسان "[٧] إلا أن لهم مبادئ عامة مشتركة . فقد عرفت حركة القرامطة بأنها من الحركات الباطنية ، وهي تقوم على مبادئ تتبنى في

---

(١) الشهرستانى : أبي الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٤٦٩) : الملل والنحل ١/١٩٢ ، الناشر مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع - القاهرة .
(٢) الدورى : دراسات ١٣٨ .
(٣) ن.م.س: ١٣٣ .
(٤) ن.م.س: ١٥٦ .
(٥) ابن الجوزى : المنتظم ٥/١١٣ ، الدورى : دراسات ١٥٦ .
(٦) الدورى : دراسات ١٦١ .
(٧) الشهرستانى : الملل والنحل ١/١٩٢ .
(٨) البغدادى : الفرق بين الفرق ١٦٩ ، الشهرستانى : الملل والنحل ١/١٩٢ ، ابن الجوزى : المنتظم ٥/١١١ .

الحقيقة تأويل القرآن ، وتدعي أن لظواهر القرآن بواطن[(١)] ، كما ترى اباحة المحظورات . وأنها ذات تعاليم اشتراكية[(٢)] .

واذا اعتمدنا الرأى القائل بأن بداية ظهور القرامطة جرى على يد رجل يدعى حمدان قرمط[(٣)] الذى ظهر سنة ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م[(٤)] فى سواد الكوفة[(٥)] ، وزعم أنه يدعو للمنتظر[(٦)] من أهل البيت[(٧)] . ويسمى نفسه القائم بالحق[(٨)] . فان ذلك ينبغى ألا يطبق على حركة القرامطة فى منطقة الخليج العربى . اذ أن دعوة القرامطة في البحرين ، قد أظهرها رجل يسمى يحيى بن المهدي[(٩)] كان مغاليا في التشيع للبيت العلوى ، وقد تمكن من أن يجمع الشيعة ، ويقرئهم كتاب المهدى[(١٠)] باعتباره رسولاً منه وقد حفظت لنا المصادر نص هذا الخطاب الذى يقول فيه " بسم الله الرحمن الرحيم . يقول الفرج بن عثمان ، داعية المسيح ، وهو عيسى ،

---

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ١٧١ ، ابن الجوزى : المنتظم ٥ / ١١١ .
(٢) عارف تامر : القرامطة ، أصلهم نشأتهم تاريخهم حروبهم ٧٩ ، منشورات مكتبة الحياة . بيروت .
(٣) البغدادى : الفرق بين الفرق ١٦٩ ، ابن خلدون : العبر ٣ / ٣٣٥ .
(٤) ابن خلدون : العبر ٣ / ٣٣٥ .
(٥) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ١١ / ٣٣٧ ، ابن خلدون : العبر ٤ / ٨٥ .
(٦) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ١١ / ٣٣٧ .
(٧) ابن خلدون : العبر ٣ / ٣٣٥ .
(٨) ن.م.س : ٣ / ٣٣٦ .
(٩) ن.م.س : ٣ / ٣٥٠ .
(١٠) ابن الجوزى : المنتظم ٥ / ١٣ ، ١١٧ ، ابن خلدون : العبر ٣ / ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

وهو الكلمة ، وهو المهدى ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبريل وذكر أن المسيح تصور له في جسم انسان ، وقال له : انك الداعية، وانك الحجة ، وانك الناقة ، وانك الدابة ، وانك يحيى بن زكريا ، وانك روح القدس ، وعرفه أنه للصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان بعد غروبها . وأن الأذان في كل صلاة أن يقول المؤذن : الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا اله الا الله مرتين ، أشهد أن آدم رسول الله ، أشهد أن نوحا رسول الله ، أشهد أن ابراهيم رسول الله ، أشهد أن موسى رسول الله ، أشهد أن عيسى رسول الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله. وأن يقرأ في كل ركعة الاستفتاح . وهي من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية ، والقبلة الى بيت المقدس (والحج الى بيت المقدس) وأن الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء ، والسورة الحمد لله بكلمته ، وتعالى باسمه ، المتخذ لأوليائه بأوليائه ، قل ان الأهلة مواقيت للناس ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام ، وباطنها أوليائي الذين عرفوا عبادى سبيلى . اتقوني يا أولي الألباب . وأنا الذى لا أسأل عما أفعل ، وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذى أبلو عبادى ، وأمتحن خلقي ، فمن صبر على بلائي ومحنتي واختبارى ، ألقيته في جنتي وأخلدته في نعمتي ، ومن زال عن أمرى ، وكذب رسلي ، أخذته مهانا في عذابي ، وأتممت أجلي ، وأظهرت أمرى على ألسنة رسلي . وأنا الذى لم يعل على جبار إلا وضعته، ولا عزيز إلا أذللته ، وليس الذى أصر على أمرى ، ودام على جهالته ، وقالوا لن نبرح عليه عاكفين ، وبه موقنين ، أولئك هم الكافرون . ثم يركع ويقول في ركوعه : سبحان ربي رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون،

ويقولها مرتين . فاذا سجد قال : الله أعلى الله أعلى الله أعظم الله أعظم . ومن شريعته أن يصوم يومين في السنة وهما المهرجان ، والنيروز . وأن النبيذ حرام والخمر حلال ، ولا غسل من جنابه الا الوضوء ، كوضوء الصلاة وأن من حاربه وجب قتله ، ومن لم يحاربه ممن يخالفه أخذ منه الجزيـــة ، ولا يأكل كل ذى ناب ولا كل ذى مخلب "[1] وكان يحيى يختفى ثم يظهـــر على فترات داعيا للمهدى[2] وتولى أبو سعيد الجنابى[3] الدعوة المذهبـــه بالبحرين (٢٨٦ هـ/٨٩٩ م)[4]. واجتمع اليه القرامطة ، واستباح قتل من لا يعتقد بمذهبهم فى القطيف.[5] وعظم أمر القرامطة ، وبدأوا يوسعـــون نفوذهم ، حتى اقترب بعضهم من نواحي البصرة.[6] فأصدر الخليفـــة المعتضد بالله (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ) (٨٩٢ - ٩٠٢ م)[7] أمرا بمحاربتهم ، حيث تولى ذلك القائد العباس بن عمر الغنوى.[8] اصطدم جيش الخلافـــة

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ١١/٣٣٩ ، ابن الأثير : الكامل ٥/٧٠ .

(٢) المهدى : الحي القائم بأمر الله . هو الامام اسماعيل بن جعفر الصادق أنظر : الشهرستانى : الملك والنحل ١/١٩٢ ، الدورى : دراسات ١٢٩- ١٣٠ .

(٣) البغدادى : الفرق بين الفرق ١٦٩ ، ابن الجوزى : المنتظم ٦/١٨ ، ابن الأثير : الكامل ٦/٩٢ ، أبو الفدا : المختصر ٢/٥٨ ، ابن خلدون : العبر ٣/٣٥٠ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ٦/١٨ ، ابن الأثير : الكامل ٦/٩٢ ، أبو الفدا : المختصر ٢/٥٨ ، ابن خلدون : العبر ٣/٣٥٠ .

(٥) أبو الفدا : المختصر ٢/٥٨ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ٦/٩٤ ، ابن خلدون : العبر ٣/٣٥٠ .

(٧) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ٣/١٧ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ٦/٩٨ ، ابن خلدون : العبر ٣/٣٥٠ .

العباسية بالقرامطة ، الذين كانو تحت قيادة أبي سعيد الجنابي (٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م) فانهزموا ، وتشتتوا ، وقد هربت أكثر عناصر الى هجر،[١] حيث دخلها القرمطي أبي سعيد الجناني وأمن أهلها ، أما في السواد فقد انتشروا سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م في سواد الكوفة ،[٣] فحاربهم جند الخليفة المعتضد ، وتمكنوا من ايقاع الهزيمة بهم.[٤] وقد تم أسر زعيمهم المدعو بأبي الفوارس ، حيث جرى تعذيبه ثم قتله .[٥] والذى دفع المعتضد لذلك أن القرامطة قد فشى أمرهم ومذهبهم ، وكثروا في سواد الكوفة .[٦] مما هدد استقرار الأوضاع فيها . عدا عن رفضهم الولاء للخلافة العباسية . وايمانهم بالولاء لخصومها ومنافسيها اضافة الى اباحيتهم ومخالفتهم أحكام الشريعة السمحاء .

وقد ظهر فى بلاد الشام جماعة من القرامطة بزعامة زكرويه بن مهرويه[٧] داعية قرمط .[٨] حيث استفحل أمرهم في خلافة المكتفى بالله . وقد سير لهم الخليفة جيوشه فاصطدمت بجموع القرامطة ، الذين كانوا تحت

----

(١) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٩٨ .
(٢) هجر : مدينة كبيرة هي قاعدة بلاد البحرين ، لمزيد من التفاصيل أنظر: القزويني : آثار البلاد ٢٨٠ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٩٨ .
(٤) ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٣٠ ، ابن الأثير : الكامل ٦/ ٩٨ ، ٩٩ .
(٥) ابن الأثير : الكامل ٦/ ١٠٠ .
(٦) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ١١/ ٣٣٨ .
(٧) ابن الأثير : الكامل ٦/ ٩٩ .
(٨) ن.م.س : ٦/ ٩٩ .

قيادة أبي العباس المعروف بصاحب الشامة ،[1] قرب حماة (٢٩١هـ/٩٠٤م) قد مرت قواتهم ، مما أضعف حركتهم بعد ذلك كثيرا. غير أنهم سرعان ما تمكنوا من تجميع قواتهم ، وتوحيد صفوفهم ، حيث تعرضوا بزعامة زكرويه لقافلة الحج في العقبة عام ٢٩٤ هـ/٩٠٧م.[2] وقد عظم الأمر على الخليفة المكتفي بالله عند سماع الأخبار ، فبادر الى تجهيز الجيوش للقضاء على شأفتهم ، وتحقق له يوم ٨ ربيع الأول ما عزم عليه . اذ اصطدمت جيوش الخلافة العباسية بجموع القرامطة في معركة فاصلة ، قتل فيها قائدهم زكرويه ، كما قتل أغلب أتباعه وأسروا . وانتهى بذلك خطرهم في تلك المنطقة .[3]

أما أبو سعيد الجنابي زعيم القرامطة في هجر والبحرين ، والقطيف والاحساء ، فقد قتل (٣٠١ هـ/ ٩١٣ م) على يد خادمه ،[4] وقد خلفه ابنه أبو طاهر سليمان ، الذى عاصر الخليفة المقتدر ، والذى هجم عام (٣١١ هـ/ ٩٢٣ م) على مدينة البصرة ،[5] حيث أعمل السيف في

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ٦/ ٤٣ ، ابن الأثير: الكامل ٦/ ١٠٨.
(٢) ابن الأثير : الكامل ٦/ ١١٥.
(٣) ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٦٠ ، ابن الأثير: الكامل ٦/ ١١٦.
(٤) ابن الأثير : الكامل ٦/ ١٤٧.
(٥) ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ١٧٣ ، ابن الأثير: الكامل ٦/ ١٧٥ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٣٧٧.

أهلها ، ونهب أموالها ، قبل أن يعود الى مقره في هجر والبحرين .

وفى السنة التالية (٣١٢ هـ - ٩٢٤ م) خرج أبو طاهر طمعا فى قوافل الحجاج[١] ، فابتدأ بأول قافلة حجاج قادمة من العراق ، وكان فيها جماعة من أهل بغداد ، فنهبها وأخذ أمتعة الحجاج وأموالهم ، وسبى النساء والصبيان ، وقفل عائدا الى هجر.[٢] وكان أبو طاهر هذا من الجرأة بحيث أنه كتب الى الخليفة المقتدر بالله ، يطلب منه البصرة والأهواز.[٣] ولما لم يجبه الخليفة الى ما أراد ، عزم على عرقلة الحج ، بالاعتداء على الحجاج في طريقهم الى الحجاز. وعندما علم الناس بذلك، خافوا ، فلم يحج أحد من الناس من العراق والمشرق في ذلك العام (٣١٢ هـ/٩٢٤ م)[٤] . غير أن ذلك لم يمنع أبا طاهر من الضغط على الخلافة ، ولهذا فقد هاجم بقواته الكوفة ، وهزم جند الخلافة فيها ، ونهب المدينة[٥] قبل أن يعود الى هجر. وقد كرر هذا العمل ، اذ عاد لمهاجمة الكوفة سنة ٣١٥ هـ/٩٢٧ م[٦] . ولم تستطع الخلافة السكوت على الفوضى والارهاب والعدوان ، الذى باشره القرامطة بزعامة أبي طاهر هذا

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ١٨٨/٦ ، ابن الأثير : الكامل ١٧٧/٦ ، ابن خلدون : العبر ٣٧٧/٣ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ١٧٧/٦ ، ابن خلدون : العبر ٣٧٧/٣ .
(٣) ابن الجوزى : المنتظم ١٨٨/٦ ، ابن الأثير : الكامل ١٨٠/٦ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ١٨٠/٦ ، ابن خلدون : العبر ٣٧٧/٣ .
(٥) ابن الجوزى : المنتظم ١٩٦/٦ ، ابن خلدون : العبر ٣٧٧/٣ .
(٦) ابن الأثير : الكامل ١٨٨/٦ ، ابن خلدون : العبر ٣٧٧/٣ .

وخاصة بعد وصولهم الى الكوفة القريبة من عاصمة الخلافة قد تم تجهيز جيش عهد بقيادته الى يوسف بن أبي الساج.[(١)] غير أن القرامطة تمكنوا من الحاق الهزيمة بجيش الخلافة، رغم قلة عددهم، وقد شاع الرعب في بغداد[(٢)]، وعزم أهلها على الانحدار إلى واسط، خوفاً من القرامطة، وزحف القرامطة على الأنبار، فاستولوا عليها، ثم ساروا الى لرحبة[(٣)]، فتصدى لهم أهلها، الذين حاربوا القرامطة، فتقلوا عددا كبيرا منهم. كما أرسل أبو طاهر سرية من القرامطة الى أعراب الجزيرة، فنهبوها بعد أن هزموهم ثم سار الى الرقة والى سنجار، ثم الى هيت[(٤)]. إلا أن تحصينات هذه المدن كانت جيدة، فلم تتح لأبي طاهر الفرصة للدخول في أى منها. وقد اضطره ذلك الى التراجع الى الكوفة. وحج الناس سنة ٣١٧ هـ/٩٢٩م وسلموا أثناء مسيرهم في الطريق من اعتداءات القرامطة، نظرا لانشغال هؤلاء في الحروب في منطقة الجزيرة إلا أن أبا طاهر القرمطي توجه الى مكة يوم التروية، فقتل الحجاج في المسجد الحرام، وقتل أمير مكة. ولم يكتف بذلك بل اقتلع الحجر الأسود[(٥)] من مكانه وأرسله الى هجر، وأسقط القتلى في بئر زمزم[(٦)]، وأخذ كسوة البيت، فقسمها بين أصحابه[(٧)]، ونهب أموال الحجاج وأهل مكة، قبل أن يعود إلى هجر، ولم تتمكن الخلافة أن تعمل شيئاً. لضعف السلطة المركزية، وانشغالها بالنزاع القائم

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ٢٠٨/٦، ابن الأثير : الكامل ١٨٨/٦.
(٢) ابن الجوزى : المنتظم ٢١٠/٦، ابن الأثير : الكامل ١٨٨/٦.
(٣) ابن الجوزى : المنتظم ٢١٥/٦، ابن الأثير : الكامل ١٩١/٦.
(٤) ابن خلدون : العبر ٣٧٩/٣.
(٥) ابن الأثير : الكامل ٢٠٤/٦، ابن خلدون : العبر ٣٧٩/٣.
(٦) ابن خلدون : العبر ٣٧٩/٣.
(٧) ابن الأثير : الكامل ٢٠٤/٦، ابن خلدون : العبر ٣٧٩/٣.

آنذاك بين مراكز القوى فيها اذ كان الخليفة المقتدر منشغلا في هذه المرحلة ، بالأزمة الناشبة ، بين قادة الجند بزعامة مؤنس المظفر وطبقة الكتاب ، والتي كان من نتيجتها خروج مؤنس المظفر مغاضبا الى الموصل[1] . وقد حدث في عام ٣١٧ هـ الخلع الأول للخليفة المقتدر بالله ، حيث تم تولية القاهر[2] ، ثم عودة المقتدر الى منصب الخلافة بعد يومين من الخلع[3] . اضافة الى قلة الأموال ، وبعد الشقة ، وصعوبة المواصلات ، وانعدام أمن الطريق ، وعدم وجود قوات عسكرية في بلاد الحجاز . كل ذلك حال دون حصول ردود فعل مجدية من قبل السلطة المركزية .

وفي خلافة الراضي سنة ٣٢٢ هـ/٩٣٤ م جرت محاولة لانهاء حالة الصراع التى عاشتها المنطقة بسبب القرامطة . فقد أرسل الخليفة حاجبه محمد بن ياقوت[4] ، الى أبي طاهر يدعوه الى الطاعة والاعتراف بسلطة الخليفة مقابل اقراره على ما تحت يده من أقاليم ، والاعتراف بسلطته الشرعية عليها ، ليصبح واليا للخلافة . وأظهر له الخليفة الراضي بالله استعداده للتغاضي عن كل جرائمه تجاه المسلمين ، بشرط أن يعيد الحجر الأسود الى الكعبة ، ألا يتعرض لطريق الحج ، والراجح أن هذه المحاولة لم يقدر لها النجاح ، وان كانت قد حققت مؤقتا فتح الطريق

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٢١٨/٦ .
(٢) ن.م.س : ٢٠٢/٦ ، ٢٠٣ ، ابن خلدون : العبر ٣٨٠/٣ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ٢٠٢/٦ ، ٢٠٣ .
(٤) ن.م.س : ٢٤٢/٦ .

الحج وتأمينه . فقد رفض القرامطة ارجاع الحجر الأسود ، كما أنهم واصلوا تحركاتهم العسكرية ، التي أخذت في هذه المرحلة وجهة شرقية اذ هاجم القرامطة بعض أقاليم فارس ، وحاولوا احتلال مدينة توج[(١)] القريبة من كازرون . غير أن أميرها تمكن من صدهم ، وأعمل فيهم القتل والأسر[(٢)]، مما أضعفهم كثيراً . ويبدو أن القرامطة أدركوا خطورة وجهتهم الجديدة . اذ سرعان ما عاودوا خططهم السابقة للضغط على مقر الخلافة ، والتعرض لطريق حج العراق ، وقد اعتدى القرامطة في شهر ذي القعدة من عام ٣٢٣ هـ / ٩٣٥ م على قافلة الحجاج[(٣)] عند قادسية الكوفة . فقابلهم أصحاب الخليفة بقيادة لؤلؤ غلام المتهشم[(٤)] متولي طريق مكة ، وقاتلهم أشد قتال بطيزناباذ[(٥)]، وقد أصيب لؤلؤ[(٦)] خلال المعركة باصابات شديدة ، مما دفعه الى اللجوء بالحجاج الى القادسية.[(٧)] وقام جماعة من العلويين في الكوفة ،[(٨)] وطلبوا من زعيم القرامطة أبي طاهر أن يكف أذاه عن الحجاج ، فوافق لوساطتهم ، شريطة أن يرجع الحجاج هذا العام الى بغداد . مما يوحي بأن أبا طاهر القرمطي يتعمد اظهار

---

(١) توج : مدينة بفارس ، قريبة من كازرون . أنظر : ياقوت : معجم البلدان ٥٦/٢ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ٢٤٢/٦ .
(٣) ن . م . س : ٢٤٩/٦ ، الذهبي : دول الاسلام ١٩٨/٢ .
(٤) الصولي : أخبار الراضي ٦٨ .
(٥) طيزناباذ : موضع بين الكوفة والقادسية ، على حافة الطريق على جادة الحاج . وبينها وبين القادسية ميل . أنظر : ياقوت : معجم البلدان ٥٥/٤ .
(٦) الصولي : أخبار الراضي ٦٨ ، ٦٩ ، ابن الجوزي : المنتظم ٢٧٦/٦ ، الذهبي : العبر في خبر من غبر ١٩٧/٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٨٢/١١
(٧) ابن الأثير : الكامل ٢٤٩/٦ .
(٨) ن . م . س : ٢٤٩/٦ .

الخلافة بمظهر العاجز عن مجابهته ، وبأنه هو الذى يملي شروطه على الخلافة ، مما يضعف عزيمة أهل العراق ، ويهز ثقتهم بالخلافة .

ولم يحج أحد من العراق (٣٢٣هـ/٩٣٥م) وتوجه أبو طاهر القرمطي نحو الكوفة ، وأقام بها أياما ثم رحل .(١) واستمر في غاراته ونهبه ، ودخل الكوفة ثانية (٣٢٥هـ/٩٣٧م) وعاث بها ورجع .(٢) وانقطع الحج من العراق خوفاً من القرامطة الى سنة ٣٢٧هـ / ٩٣٩م .(٣) حتى أن أمير الأمراء بجكم رد الحجيج من خراسان خوفاً عليهم من القرامطة (٤) ، وقد أدى اشتداد قوة القرامطة وعنفوان نشاطهم الذى توافق مع مرحلة خمول وضعف السلطة المركزية في الدولة العباسية ، وقد تسبب عن حالة من الفوضى وعدم الاستقرار وزعزعة الأمن ، ونجمت عنه نتائج أضرت بكثيرا بهيبة الخلافة ومكانتها ، وعززت مواقف الخارجين عليها كثيرا . وفي هذه المرحلة والحالات المشابهة لها ، تنعكس أصالة الأمة . بما يظهر عليها من انضباط وتعاون واتحاد مع السلطة الشرعية ، وما يقوم به المتطوعون من ضمان للحقوق العامة والخاصة ، والتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد مر معنا آنفا موقف الحنابلة ، الذين رفعوا أصواتهم في سبيل نصرة الدين .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٤٩ .
(٢) الصولي : أخبار الراضي ٨٨ ، الذهبي : العبر في خبر من غبر ٢/٢٠٤ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ٦/٢٦٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١١/١٨٩ .
(٤) الصولي : أخبار الراضي ١٣٦ .

استمر القرامطة في اغاراتهم المستمرة على الكوفة وأرض السواد . الا أن أحوالهم اضطربت كما يظهر ، ودب الشقاق بينهم بعد[١] (٣٢٦ هـ / ٩٣٨ م) اذ شملت قياداتهم المختلفة حالة من انعدام الثقة ، مما جعلهم يمتنعون عن مواصلة غاراتهم وعدوانهم على أرض السواد .

وكان الحج من العراق وشرق الدولة ، قد تعطل لمواسم متفرقة كما أسلفنا خوفا من القرامطة . وقد توسط نقيب العلويين عمر بن يحيى العلوى[٢] لدى زعماء القرامطة ، فكاتبهم وطلب منهم أن يسمحوا للحجاج بأداء فريضة الحج ، وأن لا يعترضوا طريقهم . فوافق القرامطة على ذلك ، واشترطوا أن يدفع لهم عن كل جمل خمسة دنانير،[٣] وعن كل محمل ثلاثة دنانير.[٤] ويبدو أن أبا على نقيب العلويين هذا كان يتفاوض بمعرفة السلطة وموافقتها ، اذ يذكر الصولى[٥] بأن رسول القرمطي الهجرى ، قدم مع أبى على هذا ، وطالب بمال مقابل أن لا يعترض حج الناس . وكانت

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ٢٩٦/٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٨٩/١١ .
(٢) عمر بن يحيى العلوى نقيب العلويين . ويبدو من كتابات الصولى عنه ، بأنه رجل فاضل عم نفعه الناس بماله وجاهه ، وأنه لولاه لما تم الحج . والقرامطة يثقون به لما له من مكانة اجتماعية . وكما سبق أنهم يدعون الدعوة لآل البيت فهو محل ثقتهم . الا أن كتب التراجم لم تورد شيئا عن حياته .
(٣) ابن الجوزى : المنتظم ٢٩٦/٦ ، الذهبى : دول الاسلام ١ / ٢٠٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٨٩/١١ .
(٤) الصولى : أخبار الراضى ١٣٦ .
(٥) ن . م . س : ١٤١ .

المكوس تدفع للقرمطي الهجري من الحجاج وقد قيل ان أبا على بن أبي هريرة الشافعي لما طولب بالمكوس وهو خارج للحج رجع وقال " لم أرجع شحا على الدراهم ، ولكن قد سقط الحج لهذا المكس "[١] وهذه أول سنة يدفع الحاج مكوسا .

ومما يذكر الصولي أن ابن رائق قد " دفع للقرامطة رزقه كاملة ، بزيادة خمسة دنانير لكل واحد "[٢] وذلك في أثناء غياب الخليفة وبجكم في الموصل عند ظهوره بعد استتاره . وهذا يوضح أن القرامطة كانوا يأخذون اتاوات من الدولة مقابل التزامهم الهدوء وعدم الاعتداء على الناس ، والتوقف عن اثارة الشغب في السواد .

وفي سنة (٣٢٨هـ/٩٤٠م) حسمت المسألة صلحا . فقد جرى ارسال الأموال التي طالب بها القرامطة لضمان أمن الحج[٣] ، وبناء على الاتفاق السابق لأنه في صالحهم . وقد أهدى القرمطي الهجري فرسين الى أمير الأمراء بجكم الذي بادله الهدايا.[٤] ويبدو أن أمير الأمراء بجكم لم يقم بدور حاسم عسكري لمنع غارات القرامطة ، بل انه لجأ الى تهدئة الأمور بالمال والهدايا . وذلك لاضطراب أحوال الدولة في آخر عهد الخليفة الراضي بالله .

. . . . . .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ٦/١٩٧ .
(٢) الصولي : أخبار الراضي ٢١٩ .
(٣) ن . م . س : ١٤٢ .
(٤) ن . م . س : ١٤٣ ، ١٤٤ .

الخاتمة

نتائج البحث

الخاتمة

بحمد الله تعالى وتوفيقه .. انتهى البحث الخاص بعهد الخليفة الراضي بالله العباسي ، والذى تناول دراسة أحوال الدولة العباسية في تلك الفترة . ولقد جرت - من خلال البحث - محاولة جادة للتعرف على أحوال الدولة العباسية في عصر الخليفة الراضي بالله ، وعلى دوره كخليفة للمسلمين ، وعلى مدى تأثيره في الأحداث والادارة .

وكان لدراسة شخصية الراضي بالله ، والبيئة التي نشأ فيها في ظل والده الخليفة المقتدر بالله ، والاطلاع على ثقافته وتربيته وتعليمه أهمية كبرى في الوصول الى نتائج ايجابية في هذه المحاولة. وقد تبين أنه على الرغم من حالة الفوضى التى عمت العاصمة والدولة عموما خلال فترة حكم والده ، فان ذلك لم يحرمه من المضي في دراسته على أفضل علماء العصر . فالصولي كان المشرف الأول على تأديب وتعليم الراضي وأخيه . كما أنه أحضر لهما أعلم أهل الاسناد والأدب والنحو مثل البغوى واليزيدى النحوى . كما عني بتزويدهما بالعلوم والمعارف . وقد استمرت علاقة الراضي بمؤدبيه الى ما بعد توليه منصب الخلافة . اذاعتمد عليهم ، واتخذهم مستشارين له ، ومعينين فى تحمل أعباء الحكم ومسئولياته .

وقد تمكن البحث بعد ذلك من التوصل الى رسم صورة تكاد تكون واضحة عن دور الخليفة الراضي ، وعن مدى ادراكه لما يحيط به من

ظروف وأوضاع . ولعل هذا ما دفعه منذ بداية حكمه الى الاستجابة لمطالب الجند والتوافق معهم. اذ كانت الظروف تستدعي منه ذلك لأنه - حسب رأيه - كان يحرص بهذا على هيبة الخلافة وتماسكها .

ومن خلال الدراسة يتبين أن الوزارة قد تدهورت في عصر الراضي بالله اذ ضعفت مكانتها ، نتيجة لاعادة استحداث منصب أمير الأمراء ، الذى سلب من الوزير كافة اختصاصاتهم. اذ أصبحت جميع هذه الاختصاصات بيد أمير الأمراء .

كما أوضحت لنا الدراسة المنازعات والحروب التى حدثت بين ولاة الدويلات التابعة للخلافة العباسية من جهة ، وبينهم وبين الحكومة المركزية من جهة أخرى ، والتى كان من نتيجتها انفصال هذه الدويلات عن الخلافة واستقلال أمرائها في الحكم. وتبعيتهم الشكلية فقط للخلافة وكيف اضطر الخليفة الى الاعتراف بشرعية سلطة أمراء الأقاليم استسلاما منه للواقع ، وحرصا على بقاء الوحدة الظاهرية لكيان الخلافة العباسية . ولذلك فقد حاولت أيضا أن تقدم صورة مفصلة عن الأزمات التي أثرت في كيان الدولة . فالأزمة المالية الخانقة والمستحكمة التي تعرضت لها الدولة . كانت مشكلة كبرى حاول الخليفة الراضي بالله الخروج منها بشتى الوسائل ، أو حتى تخفيف آثارها السلبية على أقل تقدير . وقد باءت جميع محاولات الاصلاح - التى قام بها الكثيرون - بالفشل الذريع . فقد اشتدت الأزمة في الدولة واستحكمت ، خصوصا بعد أن انفصلت عنها أغلب الولايات التابعة لها . ما أدى الى ضعف الخلافة والى اشتداد الأزمة المالية واستحكامها لتودى بالدولة

العباسية الى حالة الانهيار التام ، الذى أثر بالتالى على مختلف النواحي الاقتصادية في البلاد ... فانتشرت المجاعات وأصيب الناس والحيوانات بالأوبئة ... ووصل الأمر الى حالة لا تجدى فيها أية حلول .

وقد تعرفنا من خلال البحث أيضا على طبيعة حركة القرامطة ، ومحاولاتهم الافادة مما تعانيه الدولة من أزمات . وكيف حاولوا توسيع نطاق نفوذهم فزعزعوا أمن البلاد ، وأشاعوا الفوضى والاضطرابات حتى أنهم تجرأوا على قطع طريق الحج ، واستغلوا ضعف قوات الخلافة فطالبوا بالضرائب والمكوس والاتاوات واشترطوا دفعها ، مقابل ضمانهم أمن طريق الحج وقوافله ، بين الحجاز ومشرق الدولة الاسلامية .

وقد ألقى البحث الأضواء على المنجزات الحضارية والثقافية ، التي تمت في عهد الراضي بالله . والملاحظ أنه على الرغم من مظاهر الضعف السياسي ، التى اجتاحت الدولة العباسية . الا أن هذا لم يكن له تأثير كبير على الناحية الثقافية . فقد ظهر في عصره علماء كانوا أئمة في النحو والأدب وعلوم الشريعة . هذا اضافة الى زيادة الاهتمام بالنواحى العمرانية .

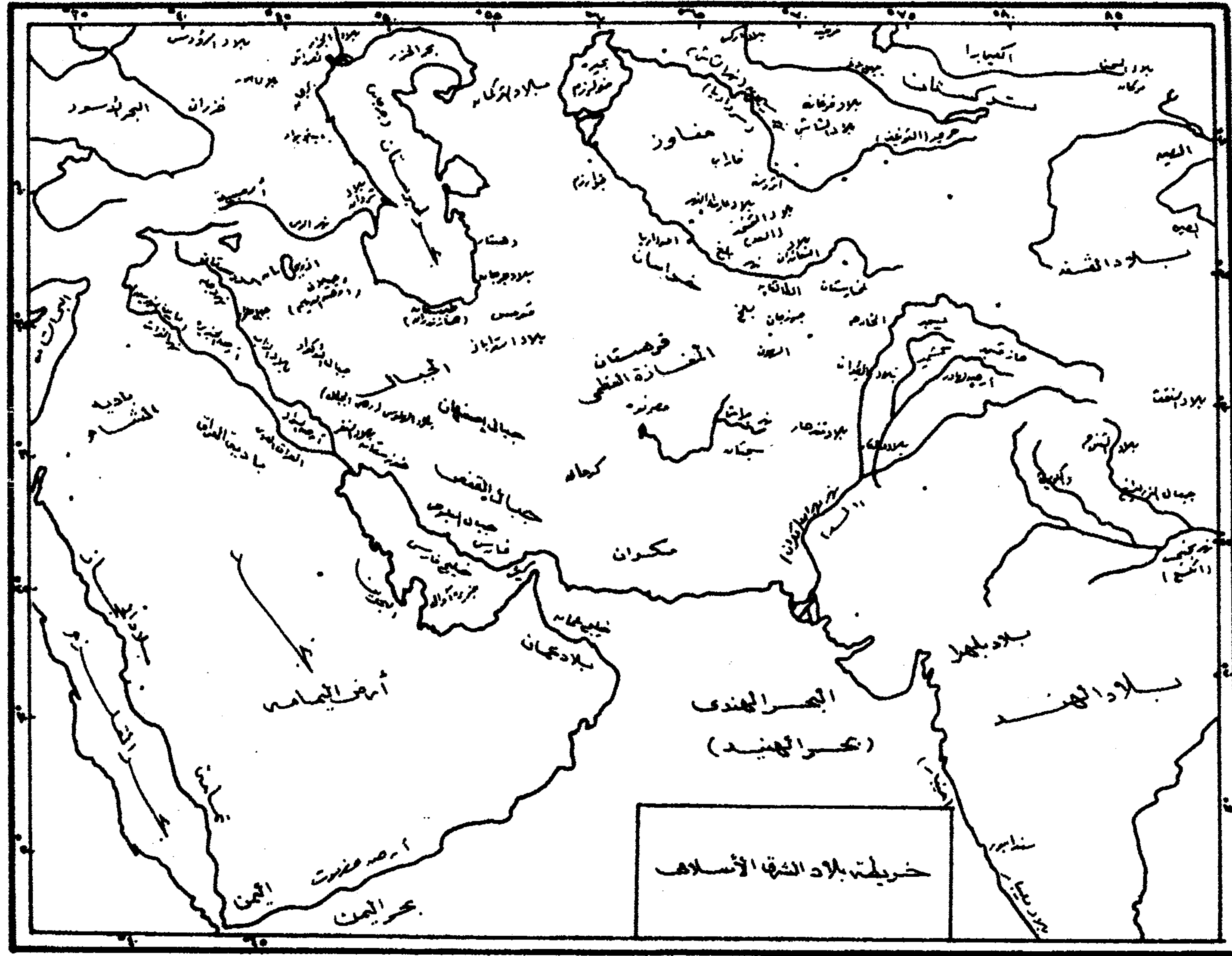
وأخيرا أرجو أن أكون قد وفقت في اعطاء صورة دقيقة للفترة التاريخية التى حكم فيها الخليفة الراضي بالله وأحوال الدولة

العباسية آنذاك بكل تفاصيلها ، لأنير السبيل أمام طالبى العلم، وليصبح بحثي هذا مرجعا لهم ، وليس لي غرض من هذا الارضاء الله سبحانه وتعالى ..

والله من وراء القصد .. وهو حسبنا ونعم الوكيل !

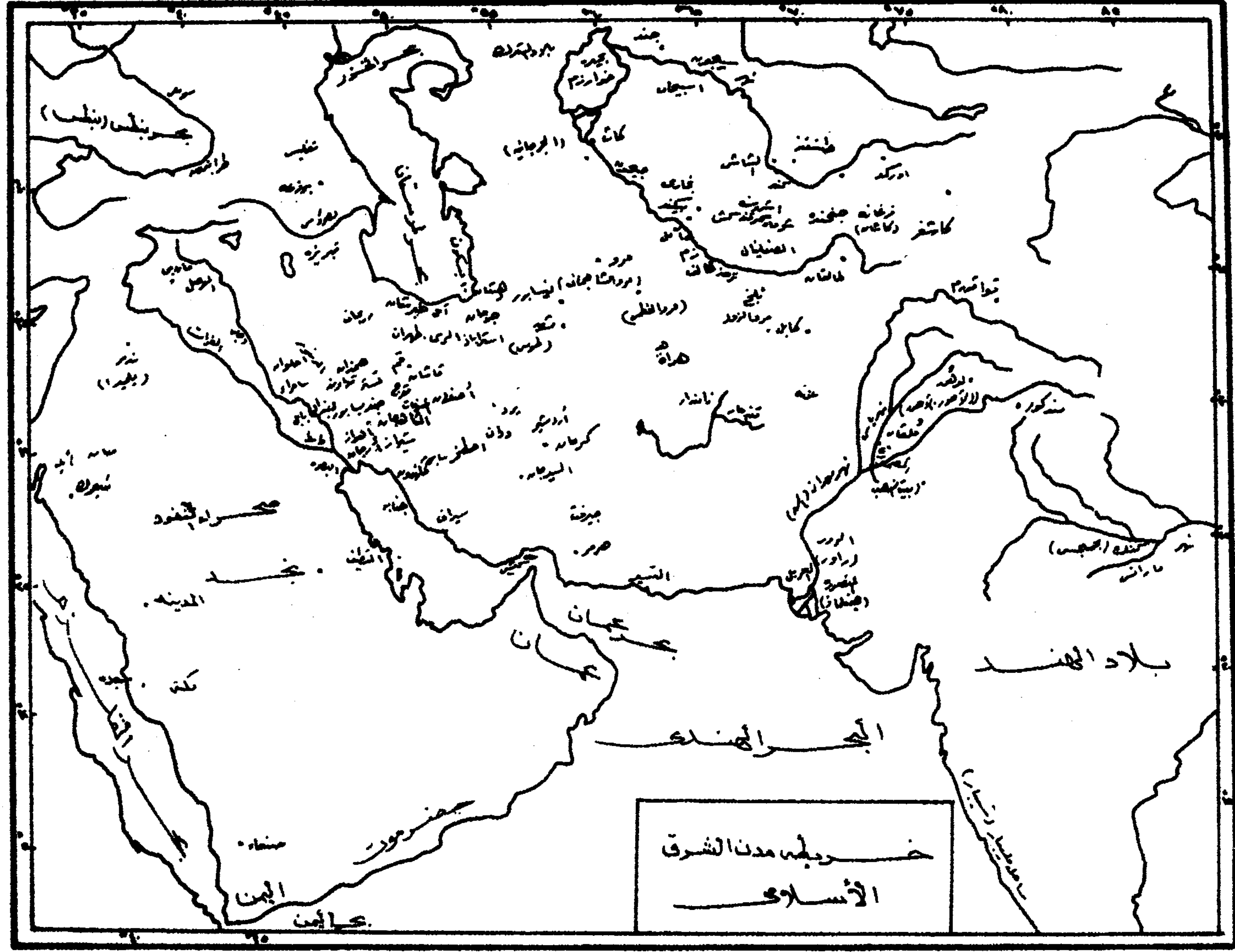
. . . . . .

ملحق الخرائط



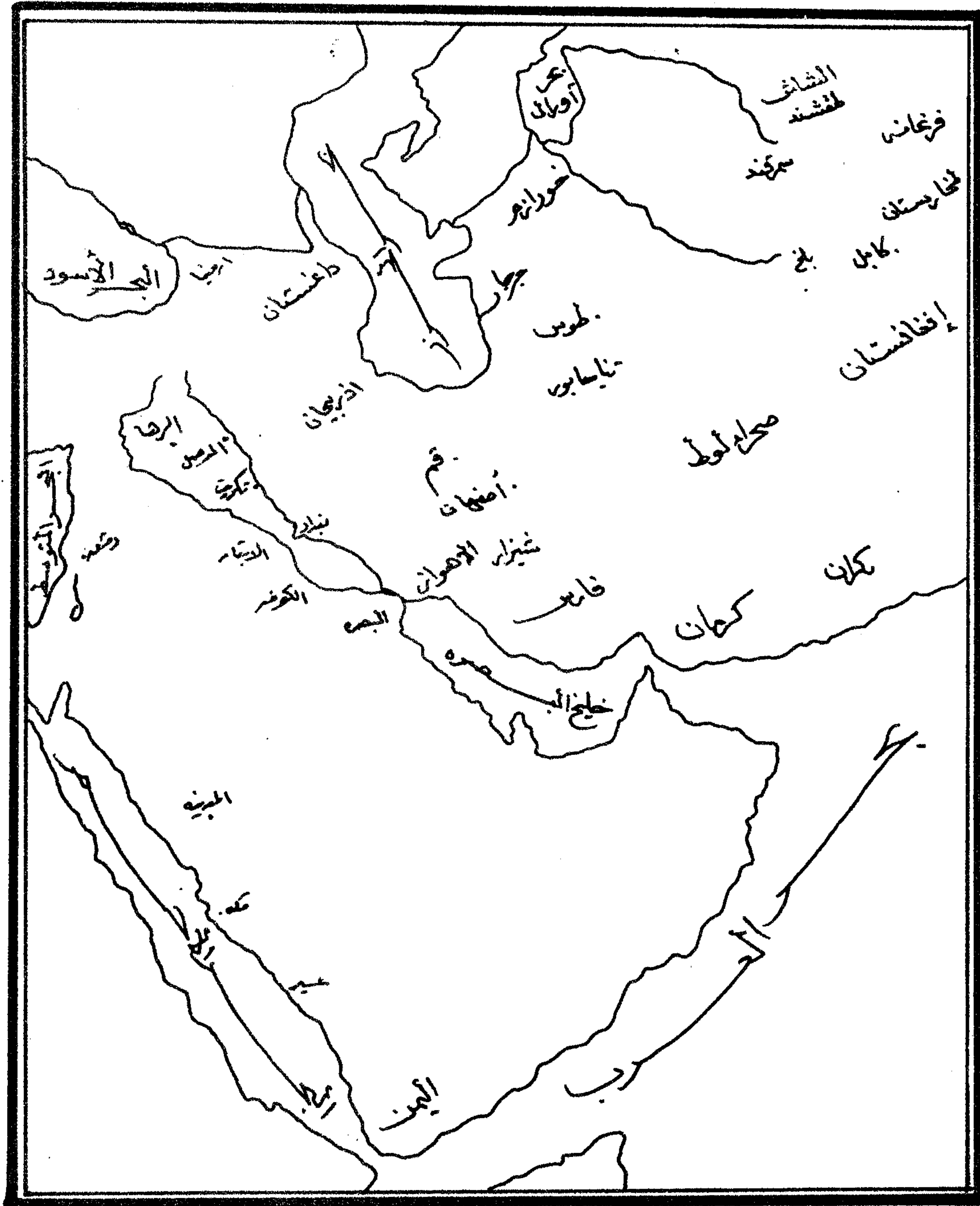
خريطة رقم (١)

مقتبسة من أطلس التاريخ الإسلامى : لهنرى هازرد
الناشر مكتبة النهضة المصرية : القاهرة



خريطة رقم (٢)

مقتبسة من أطلس التاريخ الإسلامي : لهنري هازر
الناشر مكتبة النهضة المصرية : القاهره



خريطة رقم (٣)

مقتبسة من الأطلس التاريخي : عدنان العطار،
منشورات سعد الدين دمشق، القاهرة،

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر العربية :

- ابن الأثير :

عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني
(ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٤ م) .

- الكامل في التاريخ ، في ١٢ مجلد
الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت
الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م .

- ابن الأخوة القرشي :

محمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن الأخوة (ت ٧٢٩ هـ -
١٣٢٩ م) .

- معالم القربة في أحكام الحسبة
تحقيق : د . محمد محمود شعبان ، وصديق أحمد عيسى المطيعي
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٦ م .

- الأربلي :

عبد الرحمن سنبط فنيتو الأربلي (ت ٧١٧ هـ - ١٣١٧ م) .

- خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك .
مكتبة المثنى ببغداد .

- الأزرقي :

أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٢٢٣ هـ) .

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار .
تحقيق : رشدي الصالح ملحس ، مطابع دار الثقافة بمكة .
المطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .

- الأصفهاني :
حمزه بن الحسن (ت ٣٥٦ هـ) .
- تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء .
دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر - بيروت .

- البغدادي :
أبو منصور عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ- ١٠٣٧ م)
- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم .
مكتب نشر الثقافة الاسلامية - قونية ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.

- ابن تغربردي :
جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغربردي الأتابكـــــــي
(ت ٨٧٤ هـ - ١٤٧٠م) .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - الجزء الثالث .
مطابع كوستاتسوماس وشركاه - القاهرة .

- التنوخي :
القاضي أبو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤ هـ - ٩٩٤ م) .
- جامع التواريخ المسمى نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة- ٨ أجزاء
تحقيق : عواد الشالجي المحامي ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.
- الفرج بعد الشدة - جزءان - الطبعة الأولى - دار الطباعة المحمدية - القاهرة ١٩٥٥م.

- الثعالبي :
أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩ هـ -
١٠٣٧م) .

- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر - ٤ أجزاء - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٧٩ م - ١٣٩٩ هـ .

- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب .
تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم - مطبعة المدني - مصر - سنة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م .

- لطائف المعارف .
تحقيق : ابراهيم الابياري ، وحسن كامل الصيرفي .
دار احياء الكتب العربية - القاهرة .

- ابن الجوزي :

أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي الجوزي القرشي الحنبلي . (ت ٥٩٧ هـ - ١٢٠١ م) .

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - ١٠ أجزاء .
طبع في حيدر آباد - الدكن ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية الطبعة الأولى - ١٣٥٧ هـ .

- المصباح المضيء في خلافة المستضيء .
تحقيق : ناجية عبد الله ابراهيم - مطبعة الأوقاف - بغداد - ١٩٧٦ م - ١٣٩٦ هـ .

- حاجي خليفة :

مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي (ت ١٠٦٧ هـ) .

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - مجلدان .
صححه : محمد شرف الدين .
طبع وكالة المعارف - المطبعة البهية - استانبول ١٩٤١ م .

- ابن حوقل :

أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت ٣٥٠ هـ ٩٧٧ م)

- صورة الأرض - دار مكتبة الحياة ١٩٧٩ م .

- الخطيب البغدادي :

الحافظ أبي بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ - ١٠٧١ م)

- تاريخ بغداد مدينة السلام

دار الكتاب العربي - طبع بيروت .

- ابن خلدون :

عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ - ١٣٧٨ م)

- تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر.

مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

- ابن خلكان :

أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ)

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - ٨ أجزاء

تحقيق : احسان عباس - دار صادر - بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

- الخوارزمي :

محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧)

- مفاتيح العلوم

صححته ادارة الطباعة المنيرية - مطبعة الشرق - القاهرة - ١٣٤٢ هـ .

- ابن دحيه :

أبو الخطاب عمر بن أبي علي حسن بن علي (ت ٥٤٤)

- النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس (ت ٥٤٤)
صححه وعلق عليه المحامي عباس العزاوى
مطبعة المعارف - بغداد ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.

- الديار بكرى :

حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٨٣ هـ - ١٥٨٢ م)

- تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس
مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع - بيروت ١٣٨٣ هـ .

- الذهبي :

محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله شمس الدين (ت ٧٤٨هـ - ١٣٤٨م).

- دول الاسلام - جزءان
تحقيق فهيم محمد شلتوت ، ومحمد مصطفى ابراهيم
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

- العبر في خبر من غبر - ٤ أجزاء
تحقيق : الدكتور صلاح الدين المنجد - الكويت ١٩٦٠م.

- ابن رستة :

أبو علي أحمد بن عمر (ت بعد ٢٩٠ هـ).

- الأعلاق النفيسة - المجلد السابع
طبعة ليدن - بمطابع بريل ١٨٩١ م .

- ابن الساعي :

على بن أنجب (ت ٦٧٦ هـ - ١٢٧٥ م)

- مختصر أخبار الخلفاء
المطبعة الأميرية ببولاق - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٠٩ هـ.

- السيوطي :

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ - ١٥٠٥م)

- تاريخ الخلفاء

تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد -
مطبعة السعادة بمصر - الطبعة الأولى - ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢م .

- الشهرستاني :

أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت٥٤٨هـ - ١١٥٣م)

- الملل والنحل - ٣ أجزاء .

تحقيق : عبد العزيز محمد الوكيل
مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع - القاهرة - ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م .

- شيخ الربوة :

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب (٧٢٧ هـ)

- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر

مكتبة المثنى ببغداد .

- الصابي :

أبو الحسين هلال بن المحسن (ت ٤٤٨ هـ - ١٠٥٦ م)

- الوزراء " تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء "

تحقيق : عبد الستار أحمد فراج
دار احياء الكتب العربية - القاهرة - ١٩٥٨م .

- رسوم دار الخلافة

تحقيق ميخائيل عواد - مطبعة العاني - بغداد - ١٣٨٣ هـ
- ١٩٦٤م .

- الصفدى :
صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤ هـ - ١٣٦٢ م)
- الوافي بالوفيات
دار النشر فرانز شتاينر بفسبادن (١٣٨١ هـ - ١٩٦١م)

- الصولى :
أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥ هـ - ٩٤٧ م)
- أخبار الراضي بالله والمتقي لله
أو تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ هـ الى سنة ٣٣٣ هـ من كتاب الأوراق .
دار المسيرة - بيروت - الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

- الطبرى :
أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ - ٩٢٣ م)
- تاريخ الأمم والملوك
الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية المصرية

- ابن الطقطقى :
محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ)
- الفخرى في الآداب السلطانية والدول الاسلامية
دار صادر للطباعة والنشر - بيروت - ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م.

- ابن عبد ربه :
أبو عمر أحمد بن محمد (ت ٣٢٧ هـ).
- العقد الفريد ٧ أجزاء
شرح وضبط أحمد أمين - أحمد الزين - ابراهيم الابيارى
الطبعة الثالثة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة
١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥م.

- ابن العبري :

عز يغوريوس الططي (ت ٦٨٥ هـ - ١٢٨٦م)

- تاريخ مختصر الدول
المطبعة الكاثوليكية - ١٩٥٨ م - بيروت

- العصامي :

عبد الملك بن حسين

- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي - الجزء الثالث
المطبعة السلفية - القاهرة .

- أبن العماد :

أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب
المكتب التجارى للطباعة والنشر - بيروت .

- ابن العمراني :

محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠ هـ)

- الانباء في تاريخ الخلفاء
تحقيق قاسم السامرائي - الناشر المعهد الهولندى للآثار المصرية والبحوث العربية - القاهرة ١٩٧٣م.

- أبو الفداء :

عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢ هـ - ١٣٣١ م)

- المختصر في أخبار البشر
المطبعة الحسينية المصرية - الطبعة الأولى

- الفراء :

أبو يعلي محمد بن الحسين الحنبلي (ت ٤٥٨ هـ)

- الأحكام السلطانية

صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي .

مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة .

الطبعة الثانية ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م .

- القرطبي :

عريب بن سعد (ت ٣٦٩ هـ)

- صلة تاريخ الطبري

تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم

الناشر : دار المعارف - القاهرة

- القرماني :

أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي (ت ٩٨٣هـ)

- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ

مطبعة عباس التبريزي - مدينة الزوراء - ١٢٨٢ هـ .

- القزويني :

زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ)

- آثار البلاد وأخبار العباد

دار صادر - بيروت

- القفطي :

جمال الدين أبو الحسين علي بن القاضي الأشرف يوسف

(ت ٦٤٦ هـ - ١٢٤٨م)

- أخبار العلماء بأخبار الحكماء

دار الآثار للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت .

- أنباه الرواة على أنباه النحاة
تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم
دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠م .

- المحمدون من الشعراء وأشعارهم
تحقيق : رياض عبد الحميد مراد - مطبعة الحجاز بدمشق
١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م .

- القلقشندي :

أحمد بن عبد الله (ت ٨٢١ هـ - ١٤١٨م)

- صبح الأعشى في صناعة الانشا
مطابع كوستاتسوماس وشركاه - القاهرة

- مآثر الانافه في معالم الخلافة
تحقيق : عبد الستار أحمد فراج - الكويت ١٩٦٤م .

- القيرواني :

أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصرى (ت ٤٥٣ هـ) .

- زهر الآداب وثمر الألباب
تحقيق : علي محمد البجاوى
دار احياء الكتب العربية - الطبعة الأولى - ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣م .

- الكتبي :

محمد بن شاكر (ت ٧٦٤ هـ - ١٣٦٣م)

- فوات الوفيات والذيل عليها - ٥ أجزاء
تحقيق : احسان عباس
دار الثقافة - بيروت

- ابن كثير :

عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ - ١٣٧٣ م)

- البداية والنهاية ١٤ جزء

مكتبة المعارف - بيروت - الطبعة الثانية

- الكندى :

أبي عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠ هـ - ٩٦١ م)

- الولاة والقضاة

مطبعة الآبا اليسوعيين - بيروت ١٩٠٨م

- الماوردى :

أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ - ١٠٣١م)

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية

مراجعة : محمد فهمي السرجاني - المكتبة التوفيقية - القاهرة .

- المرزباني :

أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (ت٣٨٤ هـ)

- الموشح : مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر .

تحقيق : على محمد البجاوى - دار نهضة مصر ١٩٦٥م.

- المسعودى :

أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٥ هـ - ٩٥٦ م)

- مروج الذهب ومعادن الجوهر ٤ أجزاء

دار الأندلس للطباعة والنشر - بيروت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦م.

- التنبيه والاشراف

مكتبة خياط - بيروت ١٩٦٥م.

- ابن مسكويه :

أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١ هـ - ١٠٣٠ م)

- تجارب الأمم

مطبعة شركة التمدن الصناعية - القاهرة (ت ١٣٣٢ هـ ١٩١٤م)

- المقريزى :

أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ - ١٤٤٢م)

- السلوك لمعرفة دول الملوك

صححه محمد مصطفى زيادة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة - القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٥٦م

- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار

مطبعة النيل - القاهرة ١٣٢٤ هـ - ١٣٢٦ هـ

- المنذرى :

زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوى (ت ٦٥٦ هـ)

- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ٤ أجزاء

تعليق وضبط مصطفى محمد عمارة

دار احياء التراث العربى - بيروت - الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م.

- المنوفي :

محمد عبد المعطي بن أبي الفتح بن أحمد بن عبد الغني الاسحاقي (ت ١٠٧١).

- أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول

سنة الطبع ، ومدينة الطبع (لا توجد)

- ابن النديم :
أبو الفرج محمد بن اسحاق (ت ٣٨٥ هـ - ٩٩٥م)
- الفهرست
دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت

- أبو نواس :
الحسن بن هانيء (ت ١٩٦ هـ - ٨١٢ م)
- ديوان أبو نواس
حققه وضبطه وشرحه : أحمد عبد المجيد الغزالي -
الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣م.

- ابن الوردي :
زين الدين عمر (ت ٧٤٩ هـ - ١٣٤٨م)
- تتمة المختصر في أخبار البشر مجلدين
تحقيق : رفعت الهدراوي
دار المعرفة - بيروت - الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠م.

- الهمذاني :
محمد بن عبد الملك ت ٥٢١ هـ - ١١٣١م)
- تكملة تاريخ الطبري
تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف - القاهرة .

- اليافعي :
أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سلمان (ت ٧٦٨ هـ - ١٣٦٧م).
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان
منشورات مؤسسة الأعلمي - بيروت - الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

- اليعقوبى :
أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ - ٨٩٧م)
- البلدان
ليدن ١٨٩١م .

.. .. ..

ثانيا : المراجع العربية والمعربة

- أمين :

أحمد أمين

- ضحى الاسلام ٣ أجزاء
- ظهر الاسلام ٤ أجزاء

دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الخامسة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٩ م

- بارتولد :

ف . بارتولد

- تاريخ الحضارة الاسلامية

ترجمة حمزه طاهر - دار المعارف بمصر - الطبعة الثالثة .

- الباشا :

حسن الباشا

- الألقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار

مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٥٧ م

- دراسات في تاريخ الدولة العباسية

دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٧٥ م

- باشا :

محمد مختار

- التوفيقات الالهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية المجلد الأول

تحقيق : د . محمد عمارة

المؤسسة العربية للدراسات والنشر . الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م .

- بروكلمان :
كارل بروكلمان
- تاريخ الشعوب الاسلامية
دار العلم للملايين ١٩٥٣م - بيروت - الطبعة الثانية .

- حافظ :
عبد السلام هاشم
- المدينة المنورة عبر التاريخ
مكتبة دار التراث - القاهرة - الطبعة الثانية

- حسن :
حسن ابراهيم
- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ٤ أجزاء
مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٦٧م.

- حيدر :
محمد علي
- الدويلات الاسلامية في الشرق
عالم الكتب - القاهرة - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

- الخضري بك :
الشيخ محمد

- محاضرات في تاريخ الأمم الاسلامية
مطبعة الاستقامة بالقاهرة - الطبعة العاشرة ١٩٥٩م.

- دحلان :
أحمد زيني
- تاريخ الدول الاسلامية بالجداول المرضية

- الدوري :
عبدالعزيز عبد الكريم
- دراسات في العصور العباسية المتأخرة
مطبعة السريان - بغداد ١٩٤٥م.
- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري
مطبعة المعارف - بغداد ١٩٤٨م.

- الرفاعي :
أنور الرفاعي
- النظم الاسلامية
دار الفكر - دمشق - ١٩٧٣ م - ١٣٩٣ هـ.

- الزبيدي :
محمد حسين
- العراق في العصر البويهي
التنظيمات السياسية والادارية والاقتصادية
دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٦٩ م

- زكي :

أحمد كمال زكي

- شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والاسلامي

دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة - ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

- سابق :

سيد سابق

- فقه السنة ٣ أجزاء

دار الكتاب العربي - بيروت .

- السامرائي :

حسام الدين قوام

- المؤسسات الادارية في الدولة العباسية

مكتبة دار الفتح بدمشق

- السامر :

فيصل السامر

- الدولة الحمدانية في الموصل وحلب

مطبعة الايمان - بغداد - الطبعة الأولى ١٩٧٠م.

- السباعي :

أحمد سباعي

- تاريخ مكة مجلدين

دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران .

مطابع دار قريش بمكة ١٣٨٢هـ - الطبعة الثانية .

- سرنجاوى :

عبد الفتاح

- النزعات الاستقلالية في الخلافة العباسية

الطبعة الرابعة ١٩٤٥ م - دار الكتب الأهلية - القاهرة

- سرور :

محمد جمال الدين

- تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق

دار الفكر العربى - القاهرة

- سزكين :

فؤاد سزكين

- تاريخ التراث العربى مجلدين

الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م

نقله الى العربية : د . محمود فهمى حجازى ، د . فهمى أبو الفضل

- سيديو :

ل . أ . سيديو

- تاريخ العرب العام

نقله الى العربية عادل زعيتر - الناشر عيسى البابى الحلبى .

- شاكر :

محمود شاكر

- " خراسان "

مطبوعات المكتب الاسلامي - بيروت - الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ -

١٩٧٨م .

- الشيباني :

محمد عبد الله

- نظام الحكم والادارة في الدولة الاسلامية منذ صدر الاسلام الى سقوط الدولة العباسية .

مؤسسة الروبية للنشر والتوزيع - الرياض.

- شرف الدين :

أحمد حسين

- اليمن عبر التاريخ

مطابع البادية - الرياض - الطبعة الثالثة

- عارف تامر :

- القرامطة : أصلهم ونشأتهم ، تاريخهم وحروبهم

دار مكتبة الحياة - بيروت

- عبد الرؤوف :

عصام الدين

- الدولة الاسلامية المستقلة في الشرق

دار الفكر العربي

- عمر :

فاروق

- الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية

مكتبة المثنى - بغداد ١٩٧٧ م - الطبعة الثانية .

- كاشف :

سيدة اسماعيل

- مصر في عصر الأخشيديين
دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٧٠م.

- الكبيسي :
حمدان عبد المجيد
- عصر الخليفة المقتدر بالله
مطبعة النعمان - بغداد - ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م.

- كرد علي :
محمد كرد علي
- الاسلام والحضارة العربية
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - الطبعة الثالثة ١٩٦٨م.

- متز :
آدم متز
- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري
نقله الى العربية : محمد عبد الهادي أبو ريده
دار الكتاب العربي - بيروت . الطبعة الرابعة ١٣٨٧ هـ -
١٩٦٧م.

- محمود - الشريف
د . حسن أحمد محمود - د . أحمد ابراهيم الشريف
- العالم الاسلامي في العصر العباسي
دار الفكر العربي - الطبعة الثالثة - ١٩٧٧م.

. . . . . .

ثالثا : المعاجم والموسوعات :

- زامباور :

ادوارد فون

- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي
ترجمة : زكي محمد حسن ورفاقه - مطبعة جامعة فؤاد الأول -
القاهرة - ١٩٥١م.

- الزركلي :

خير الدين

- الاعلام - قاموس تراجم ٨ أجزاء
دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.

- العطار :

عدنان

- الأطلس التاريخي للعالمين العربي والاسلامي
منشورات سعد الدين - دمشق - القاهرة
الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

- كحالة :

عمر رضا

- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ١٥ جزء
مكتبة المثنى - بيروت - ودار احياء التراث العربي - بيروت

- محمد :

د . عبد الرحمن فهمي

- موسوعة النقود العربية وعلم النميات
مطبعة دار الكتب - القاهرة - ١٩٦٥م.

- هارى . و. هازارد :

- أطلس التاريخ الاسلامي
نشر : مكتبة النهضة المصرية - القاهرة

- ياقوت :

شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت عبدالله الحموى (ت ٦٢٢ هـ
- ١٢٢٩م)

- معجم البلدان ٥ أجزاء
بيروت - دار الكتاب العربي

- معجم الأدباء ٢٠ جزء
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ١٤٠٠ - ١٩٨٠ م.

.. .. ..

رابعا : المراجع باللغة الأنجليزية:

1. EL-SAMARRAIE

- Husam Qawam

- Agriculture in Iraq During The 3rd Century, A.H. Printed in Beirrut by HEIDELBERG PRESS - LEBANON 1972.

.. .. ..